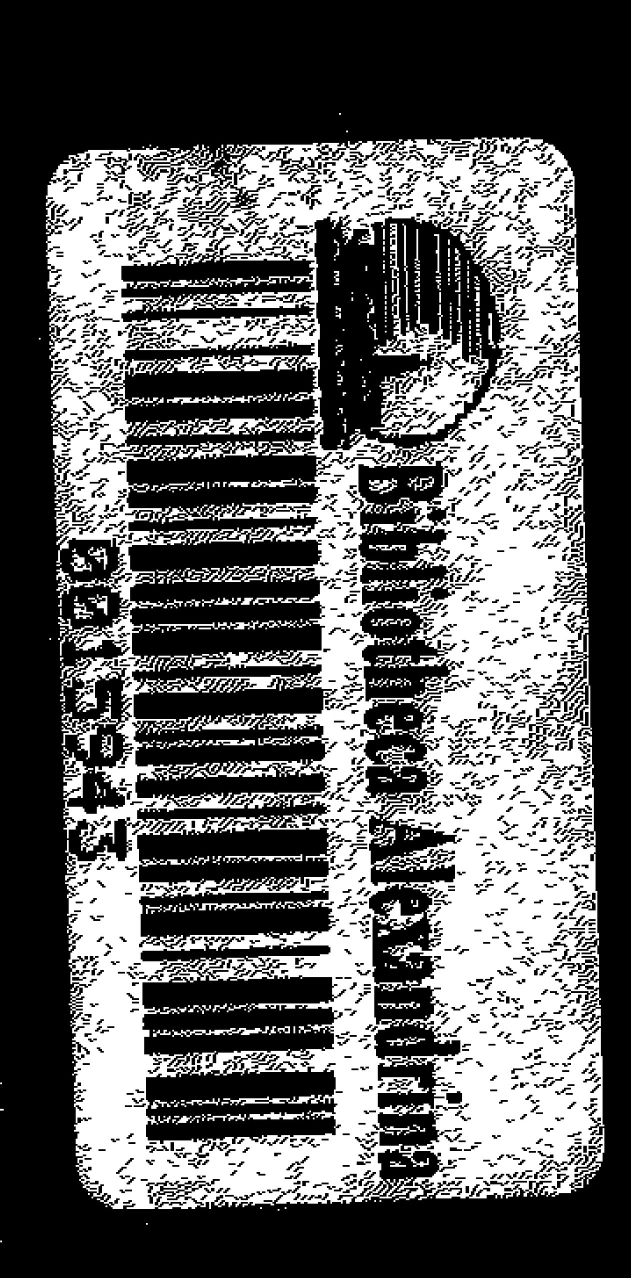


# دولة الإسماعيلية فى إيران

بحث
فى تطور الدعوة الاسماعيلية إلى قيام الدولة
مع ترجمة للنص الفارسى
الذى ورد عنها فى كتاب «تاريخ جهانكشاى»
لعطا ملك الجوينى


بقلم

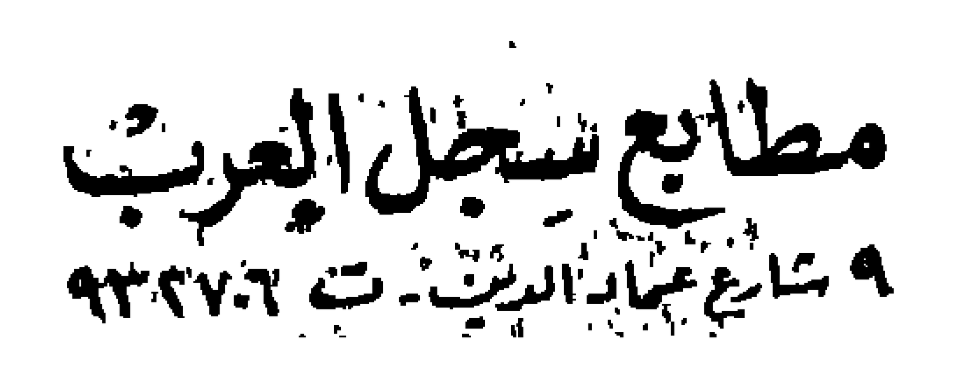
**الدكتور محمد السعيد جمال الدين**

المدرس بكلية الآداب – جامعة عين شمس



١٩٧٥

الناشر
مؤسسة سجل العرب
باشراف الأستاذ الدكتور ابراهيم عبده
٢١ شارع شريف باشا القاهرة
تليفون ٤٩٩٩٩٨ ٥٧٢٠٩


مطابع سجل العرب
٩ شارع عماد الدين - ت ٩٣٢٧٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقـــديم

**بقلم الأستاذ الدكتور عبد النعيم محمد حسنين**
أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها
بكلية الآداب بجامعة عين شمس

يسرنى أن أقــدم للمكتبة العربية وللمشتغلين بالدراســات الشرقية الاسلامية كتابا قيما عن دولة الاسماعيلية فى ايران مــع ترجمة ما جــاء عنها فى كتاب جهانكشـــاى لعطا ملك الجوينى من الفارسية الى العربية .

وصـــاحب هذا الكتاب الزميل الدكتور **محمد السعيد جمال الدين** وهو دارس متخصص فى الدراســـات الشرقية الاسلامية فضلا عن أن الكتاب كان رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الماجستير وحصل عليها بتقدير ممتاز .

**والكتـــاب ينقسم الى قسمين :**

**الأول :** بحث عن دولـــة الاسماعيليـــة فى ايران ، وتعـــريف بدعاتهـــا وفى مقدمتهم الحسن بن الصباح مؤسس هذه الدولة فى ايران ، وقد شك البعض فى طبيعة الكيان الذى أقامـــه الاسماعيلية فى ايران ؛ ولكن البحث أثبت أنهم أقاموا دولـــة لهـــا مقوماتهـــا ونظمهـــا الخاصـــة بها .

**الثانى :** ترجمة النص الذى أورده عطا ملك الجوينى فى الجزء الثـــالث من تاريخه المعروف « جهانكشـــاى » وقـــد نقل عطا ملك ما أورده فى هـــذا الجزء من معلومات عن كتب الاسماعيلية أنفسهم ؛ وهى التى عثر عليها بنفســـه واستخرجها من مكتبـــة ألموت حينمـــا

كـان يرافق هولاكو المغولى فى حملتـه على قلاع الاسماعيلية فى ايران .

وقد تمت ترجمة النص عن الطبعة التى نشرتها مؤسسة « جب » التذكارية وتوفر على تحقيقها العلامة محمد عبد الوهاب القزوينى .
وقد شملت الترجمة العربية الهوامش التى كتبها القزوينى للتعليق على المسائل الواردة فى المتن أو لتوضيحها ؛ كما أضاف المترجم بعض التعليقات المهمة لزيادة توضيح المسـائل المختلفة التى تضمنها النص الفارسى .

والواقع أن نشر البحث والترجمة يزود المكتبة العربية بكتاب مهم لا غنى عنـه للدارسين المتخصصين فى الدراسـات الشرقيـة الاسلامية خاصة والتاريخ الاسلامى بوجه عام .

وانى أتمنى للزميل الدكتور محمد السعيد جمال الدين مزيدا من التوفيق فى خدمة هذه الدراسات .

والله ولى التوفيق

عبد النعيم حسنين

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمـــة

يتمتع الاسماعيلية بمركز ممتاز فى التاريخ الاسلامى ؛ فقـد حظوا ــ منــذ ظهورهم حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ــ باهتمام المؤرخين وعنايتهم ؛ فدرسوا نشـــأتهم وعقائدهم ، وأساليب دعوتهم وتواريخ دولهم التى أقاموها فى المغرب ومصر واليمن والبحرين والهند .

بيد أن هؤلاء المؤرخين كان لهم شـــأن آخر مــع الاسماعيلية فى ايران فقـــد أهملوا تاريخ الدعوة منذ بدئها بتلك المنطقة فى أواخر القرن الثالث الهجرى ؛ولم يصلنا عن الحركة الاسماعيلية فى ايران فى طورها الأول سوى معلومات متفرقـــة فى عـــدد كبير من كتب التاريخ والأدب ؛ فضلا عن أنها معلومات لا يمكن أن ترسم صورة كاملة عن طبيعة الحركة فى طورها المبكر .

ولم يعن هؤلاء المؤرخون بالحركة الاسماعيلية فى ايران الا بعـــد أن احرزت نصرا سياسيا مؤزرا فى المنطقة وأقدمت على تأسيس دولة لهـــا نظمها وعقائدها وملامحها المميزة ؛ وعندئذ لم يكن هناك مفر أمام المؤرخين من الحـــديث عنها وذكر أخبـــارها بعد أن أصبحت حقيقة ماثلة لا يجـــدى الاعراض عن متابعة أخبـــارها لامتداد فعاليتها الى أحـــداث عصرها بحيث أصبحت جزءا لا يتجزأ من الوقائـــع التى يتعرضون لذكرها . ولكنهم رغم ذلك لم يستقصـــوا أخبـــارها ؛ ولم يدرسوا طبيعتها أو يتابعوا تطورات الأحـــداث فيها . وانما تناولوها من حيث علاقة الآخرين بها ؛ فابن الأثير ــ شـــأنه فى ذلك شـــأن الراوندى فى « راحة الصدور » والعماد الاصفهانى فى « تاريخ آل سلجوق » ــ لا يذكر أخبار الاسماعيلية فى ايران الا مقترنة فى الغالب بتأهب سلاطين الدولة السلجوقية لاستئصالهم ؛ أو بقتل فداوية

الاسماعيلية لأحد عظماء الخلافة العباسية أو الدولة السلجوقية ؛ أو باتخاذ الأمراء والحكام لعدد من الاجراءات الوقائية للحيلولة دون انتشار الدعوة الاسماعيلية فى بلادهم . وبذا لا تتصف هذه المعلومات التى وصلتنا عن طريق هؤلاء المؤرخين بالندرة والقصور فحسب بل باصطباغها بروح العداء من حيث كونها كتبت متأثرة بوجهة نظر أعداء الاسماعيلية .

* * *

الى أن قدم هولاكو على رأس الجيوش المغولية للقضاء على الاسماعيلية فى ايران سنة ٦٥٢ وكان فى ملازمته أحد المؤرخين الفرس الثقاة دفعته رغبته فى المعرفة الى طلب الأذن من هولاكو بالاطلاع على مكتبة الاسماعيلية الذائعة الصيت فى « ألموت » بعد استيلاء هولاكو عليها ، فاستخرج المؤرخ علاء الدين عطا ملك الجوينى من تلك المكتبة معلومات قيمة عن دعوتهم وسيرة مؤسس دولتهم بايران الحسن بن الصباح وتاريخ ملوكهم وضمن كتابه « تاريخ جهانكشاى » الذى أتمه فى سنة ٦٥٨هـ هذه المعلومات ؛ وأكملها بما دونه من الأخبار والحوادث التى شاهدها بنفسه أثناء مصاحبته للحملة التى جردها المغول للقضاء عليهم .

وترجع القيمة الحقيقية لنص الجوينى الى أنه منقول أصلا عن مصادر الاسماعيلية أنفسهم ؛ والى أنه أول وثيقة تاريخية وصلتنا عن تاريخ دولة الاسماعيلية اقتدى بها من جاء بعده من المؤرخين ولم يخرجوا عما جاء بها من معلومات .

ولقد قوبل هذا النص الذى عنى بنشره العلامة الايرانى المرحوم الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى ضمن الجزء الثالث من تاريخ جهانكشاى سنة ١٩٣٧ بحفاوة بالغة من جانب الدارسين ؛ فقد أصبح فى مقدورهم أن يطلعوا على تاريخ دولة الاسماعيلية فى ايران منقولا عن مصادرهم التى عثر عليها فى مكتبة الموت ؛ أو مشروحا عن طريق شاهد عيان مباشر عاصر تاريخ دولتهم فترة من الزمن ورافق الحملة المغولية التى وجهت للقضاء عليهم . ولكن هذا النص الفارسى رغم أهميته البالغة ظل منذ نشره بعيدا عن متناول القارىء العربى ، مما دفعنى الى نقله الى

العربية بغية اضافة عمل جديد وهام الى مكتبتها ؛ وقدمته فى القسم الثانى من هذا الكتاب.

* * *

ويبدو الجوينى فى « جهانكشاى » وكأنه يرى أن تاريخ الاسماعيلية فى ايران ينتمى الى أصول فاطمية ، وأن أولئك الاسماعيلية انما هم امتداد للدولة الفاطمية فى مصر والمغرب والشام . فنحن نجده لا يهتم بالمحاولات المستمرة والجهود المضنية التى بذلها دعاة الاسماعيلية فى ايران على مدى قرنين من الزمان قبل نشأة الدولة على يد الحسن بن صباح فى أواخر القرن الخامس ، ولا يلقى بالا الى ذلك الرعيل الأول من الدعاة الذين اكتسبت الدعوة فى ايران بفضله مظهرا خاصا مميزا . وبدلا من ذلك يستهل حديثه عن اسماعيلية ايران بذكر تاريخ الخلفاء الفاطميين . فالجوينى اذن يرد تاريخ الدولة الاسماعيلية فى ايران الى أصول فاطمية فقط ، وهذا يعد — فى رأينا — خطأ كبير .

وكان الوزير السلجوقى الشهير « نظام الملك » ( توفى سنة ٤٨٥ ) معاصرا لقيام دولة الاسماعيلية فى ايران . ولقد أدرك هذا الرجل بنظرته السياسية النفاذة أن هناك صلة وثيقة بين الفترة المبكرة من تاريخ الدعوة الاسماعيلية فى ايران وبين قيام دولة الاسماعيلية فى تلك المنطقة ، فهو يعنى فى كتابه « سياستنامه » ( أى كتاب السياسة ) بأخبار بعض دعاة الفترة المبكرة ، ويتتبع فى اجمال مسيرة الدعوة الاسماعيلية ، وجهود الدعاة فى سبيل نشرها ؛ تلك الجهود التى أسفرت فى النهاية عن قيام دولة لهم فى الشمال الغربى من ايران .

ولكى تكتمل الصورة ، وحتى نتلافى ذلك الخطأ الذى وقع فيه المؤرخ عطا ملك الجوينى باهماله لتاريخ دعوة الاسماعيلية بايران قبل قيام دولتهم بها ، رأينا أن ندخل من المدخل الصحيح لدراسة تلك الدولة فنقدم لترجمتنا العربية لنص كتاب « جهانكشاى » بدراسة نعرض فيها على وجه الاجمال لنشأة الاسماعيلية وعقائدهم ونظام الدعوة عندهم ، ثم ننتقل الى تتبع الدور الذى قام به دعاة الاسماعيلية قبل قيام دولتهم فى ايران .

* * *

وقد راجت منذ فترة من الوقت نظرية قال بها بعض الباحثين المحدثين من العرب ، فذهبوا الى القول بأن الاسماعيلية فى ايران لم ينشئوا دولة بالمفهوم الصحيح بل اقاموا « منظمة ثورية لها كيانها وزعامتها وحماتها وأتباعها » ، وكان لابد لنا من الوقوف مليا عند هذه النظرية وتفحصها ، ولقد خصصنا فصلا بأكمله فى نهاية القسم الأول من هذا الكتاب لدراسة ما اذا كان الاسماعيلية قد اقاموا فى ايران بالفعل نظاما سياسيا له مقومات الدولة .

وعند ترجمة النص الذى أورده المؤرخ علاء الدين عطا ملك الجوينى فى الجزء الثالث من كتابه « جهانكشاى » عن الاسماعيلية حرصت على الابقاء بقدر الامكان على الهوامش التى كتبها الأستاذ محمد عبد الوهاب القزوينى محقق الكتاب ، وذلك بغية تقديم منهج فريد ومتكامل فى التحقيق التزم به المحقق التزاما كاملا رغم ما بذل من عناء فى سبيل ذلك ، فاستخدم ثلاث عشرة مخطوطة من مخطوطات الكتاب فى هذا التحقيق،ورجع الى مئات الكتب والمراجع بمختلف اللغات لتوضيح النص ، فكان من نتيجة ذلك أن خرج الكتاب محققا أفضل ما يكون التحقيق واضحا أشد ما يكون الوضوح .

* * *

ولا يسعنى فى صدر هذا الكتاب الا أن أتوجه بالشكر الى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، والحقيقة أنه لولا ارشاداته العلمية القيمة وتوجيهاته الرشيدة لما قيض لهذا العمل ان يخرج بهذه الصورة . كما أتقدم بالشكر لأستاذى الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد على ما أسداه الى من نصح فى الرجوع الى عدد من المراجع القيمة وامدادى بها .

وأرى لزاما على أن أشكر جميع زملائى من الدارسين الذين ساعدونى فى هذا العمل ، وأن أشكر السادة أمناء مكتبة جامعة القاهرة ودار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية الذين يرجع اليهم الفضل فى اطلاعى على العديد من المخطوطات والكتب .

والله ولى التوفيق

**الدكتور محمد السعيد جمال الدين**

٢٦ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ

٨ أبريل ١٩٧٥ م

# محتويات الكتاب

| الموضوع | صفحة |
|---|---|

# القسم الأول

## الدعوة الإسماعيلية فى إيران

## منذ بدايتها إلى قيام الدولة

# الفصل الأول

## نشـــــأة الاسماعيلية

يجدر بنا قبل أن نبدأ فى دراســـة الاسماعيلية ، وهى احـــدى الفرق الشيعية ، أن نشرع ببحث تمهيدى عن نشــأة التشيع وعلاقة الفرس به والانشقاق الذى حدث فى صفوفه والذى تمخضت عنه تلك الفرق التى تعد الاسماعيلية من أبرزهـــا . معتمدين فى تفاصيل ذلك كله على كتاب فرق الشيعة للنوبختى ( ١ ) المتوفى بين سنتى ٣٠٠ و ٣١٠هـ ، وكتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله أبى خلف الأشعرى القمى المتوفى سنة ٢٢٩ أو ٣٠٠هـ ومقالات الاسلاميين للأشعرى المتوفى سنة ٣٢١ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ( توفى سنة ٤٢٩ ) ، والفصل فى الملل والنحل لابن حزم الأندلسى

---

(١) وهو يعد فى الحقيقة من اغنى المصـــادر واوثقها رواية ، وينسب هـــذا الكتـــاب لأبى محمد الحسن بن موسى النوبختى المتوفى بين ســـنتى ٣٠٠ ، ٣١٠هـ . غير أن البـــاحث الايرانى عباس اقبال فى كتابه « خاندان نوبختى » اى آل النوبختى يرفض هـــذه النسبة ويقول بأن كتاب النوبختى المعروف بهذا الاسم قـــد ضـــاع ، وان مؤلفه الحقيقى هو سعد بن عبد الله الاشعرى المتوفى سنة ٢٩٩ أو ٣٠٠هـ أحد المعاصرين للنوبختى . ويعتمد اقبال فى اصـــدار هـــذا الحكم على عدة فقرات وردت فى كتـــاب معرفـــة الرجال للكشى وغيره من الكتب منسوبة الى الأشعرى المذكور وهى مماثلة تماما لـــا ورد فى كتـــاب فرق الشيعة . وآرتفعت الشبهة التى جـــاء بها عباس اقبال بعد العثور على نسخة من كتـــاب الفرق للأشعرى القمى فى احـــدى المكتبات الخاصـــة فى ايران ، وهى النسخة التى نشرها الدكتور محمد جواد مشـــكور الأستاذ بالمعلمين العليا بطهران ، ويرجح ناشر الكتاب أن الأشعرى ( نسبة الى اشعر وهى قبيلة مشهورة نزحت من اليمن الى ايران ) قد الف كتابه بعد النوبختى وجعل كتاب النوبختى أمامه فنقل منه واضاف عليه ، تلك الأضافات التى سببت تفوق كتابه ورجحانه على كتاب النوبختى . ( انظر مقدمات كتاب المقالات والفرق طبع طهران سنة ١٩٦٣م ) .

( توفى سنة ٤٥٩ ) ، وبيان الاديان لأبى المعالى ( ألف الكتاب سنة ٤٨٥ ) ، والملل والنحل للشهرستانى المتوفى سنة ٤٥٨ .

وسنسترشد بالبحوث التى قام بها بعض المستشرقين فى الموضوع من أمثـال يوليوس فلهوزن ( ١ ) ، وجولد زيهر ( ٢ ) ، وفان فلوتن ( ٣ ) ، وادوارد براون ( ٤ ) ، وآرثر كرستنسن ( ٥ ) . وغير ذلك من المصـادر سنذكرها فى الحواشى .

* * *

١ — الشيعة :

الشيعة فى اللغة هم الأتباع والأنصار ( ٦ ) ، ويطلق هذا اللفظ فى عرف الفقهاء والمتكلمين على أتباع على بن أبى طالب وبنيه ( ٧ ) . ويرجع ابن النديم سبب هذه التسمية الى مخالفة طلحة والزبير على على رضى الله عنه عندما أبيا الا الطلب بدم عثمان فسار اليهما على ليقابلهما حتى يفيئا الى أمر الله فتسمى من اتبعه على ذلك « الشيعة » . وكان على يقول

---

(١) فى كتابه « أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الاسلام » ترجمه عن الألمانية عبد الرحمن بدوى ونشر بالقاهرة فى سنة ١٩٥٨م .

(٢) فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الاسلام » ترجمه عن الألمانية محمد يوسف موسى وآخران ونشر بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٣) فى كتابه « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات » ، ترجمه عن الفرنسية حسن ابراهيم و محمد زكى ابراهيم ونشر بالقاهرة سنة ١٩٣٤ .

(٤) فى المجلد الأول من موسوعته « تاريخ الأدب فى ايران » وقد نقله الى الفارسية على باشا صالح وطبع فى طهران سنة ١٣٣٥هـ . ش .

(٥) فى كتابه « ايران فى عهد الساسانيين » ترجمه عن الفرنسية يحيى الخشاب ونشر سنة ١٩٥٧م بالقاهرة .

(٦) القاموس المحيط للفيروز ابادى مادة « شاع » .

(٧) مقدمة ابن خلدون ، طبع على عبد الواحد وافى ص ٥٢٧ .

« شيعتى ( ١ ) » . بينما يرى الشيعة ، على أختلاف فرقهم وطوائفهم ، أن نشـــأة التشيع ترجع الى عصر النبى ( ص ) ، بل يذهب بعضهم الى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام،جنبا الى جنب وسواء بسواء،«ولم يزل النبى يتعاهدهـــا بالسقى والعناية حتى نمت وازدهرت ثم أثمرت بعـــد وفاته ( ٢ ) » .

ويمكن القول بأن التشيع بدأ بعد وفاة النبى ( ٣ ) ، عندما نشـــأ بين كبار الصحابة ، منـــذ بدأت مشكلة الخلافة ، جماعة لم توافق على الطريقة التى انتخب بها الخلفاء الثلاثة الأول ، الذين لم يراع فى انتخابهم درجـــة قرابتهم من أسرة النبى . وقد آثرت هذه الجماعة على بن أبى طالب ابن عم النبى وزوج ابنته فاطمة ، ولم تجـــد هـــذه الجماعـــة الفرصـــة مواتية لتجاهر برأيها فى هـــذا الصـــدد الا فى عهد عثمان الذى انتهج سياســـة ثابتة طيلة مدة خلافته وهى تفضيل أقاربه من بنى أمية ، فأصبحت هـــذه السياسة مثارا للسخط فى كافة الأمصار الاسلامية ، واتاحت لأنصار على الفرصـــة لتحويل الخلافة لآل البيت .

ورغم المظهر الدينى الذى أتخذه التشيع فى مراحله الأولى ، الا أنه كان ينطوى على غرض سياسى محض ( ٤ ) ، فلـــم يختلف أنصـــار على عن ســـائر الأمة من حيث المعتقدات الدينية بوجه من الوجوه . كما كانت هذه الجماعة من أنصـــار على عربية خالصة لم تحاول أن تكسب تأييد الأجناس التى خضعت للعرب ودخلت الاسلام أو تحظى بنصرتهم .

---

(١) الفهرست لأبن النديم ص ١٧٥ طبع ليبزج .

(٢) أصـــل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٥٤ وما بعـــدها طبع مصر .

(٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٣ طبع النجف .

(٤) انظر « السيادة العربيـــة » لفان فلوتن ص ٦٨ ومـــا بعدهـــا ، « والعقيدة والشريعة » لجولد زيهر ص ١٦٨ ، أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ، ص ١٨ من الأصل الانجليزى و ص ٨٣ من الترجمة العربية .

غير أن الوضــع اختلف بعــد مقتل على ، رضى الله عنــه ، فقد بدأ الشيعة فى عهــد الخــلافة الأموية يتجهون فى حركتهم اتجاها دينيا (١) ، وارتكزوا فى معارضتهم للأمويين ، وغيرهم من الدول التى جــاءت بعدهم ، على موضوع الخلافة ، فذهبوا الى أن الرئيس الشرعى الأوحــد للمسلمين هو الامام ، والامام الأول عندهم هو على ، الذى يعتبره أهل السنة والجماعة رجلا ذا فضــائل جمة ومعارف غير عادية ، دون أن يمسوا حقوق أسلافه فى الخلافــة ، ولقد سماه الحسن البصرى « ربانى هــذه الأمة (٢) » .

الا أن الشيعة وقفوا الحق الشرعى للامامة على على وأبنائه من بعده ، وذهبوا الى أن هــذا الحق الشرعى هو بأمر من الله سبحانه ونص منــه الى نبيه ، فلقد نص النبى على على وأشــار اليه باسمه وعينه وقلد الأمة امامتــه ، واقامه ونصبه لهم علما ، وعقــد له عليهم امرة المؤمنين وجعله وصيه وخليفته ووزيره فى مواطن كثيرة (٣) : منهــا أن النبى (ص) فى عودته من حجة الوداع نزل بالجحفة عند غــدير خم (٤) فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجــة ، حيث نزل عليه جبريل بالآية القرآنية الكريمــة : « يا أيها الرسول بلــغ ما أنزل اليك من ربك . وان لم تفعل فمــا بلغت رســالته . والله يعصمك من الناس » . فنادى النبى بالصــلاة ، حتى اذا فرغ منها خطب الناس ، وهو آخــذ بيــد على بن أبى طالب ، وقال عليه الصــلاة والســلام فى خطبته : « ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفســه ؟ قــالوا بلى يا رســول الله . قــال : من كنت مولاه فعــلى مولاه . اللهم وال من والاه ، وعــاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار » فأقبل الصحابة على على ليهنئوه بأنه

---

(١) فان فلوتن ص ٧٣ ، جولد زيهر ص ١٧٤ — ١٧٦ .

(٢) الأمالى لأبى على القالى ج ٣ ص ١٧٠ — ١٩٤ .

(٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ١٩ ، وكتاب المقالات والفرق للأشعرى القمى ص ١٦ .

(٤) موضــع بين مكة والمدينــة .

أصبح مولى جميع المسلمين ( ١ ) . وعلى هذا الجديث يستند العلويون منذ أقدم العصور الاسلامية لتدعيم العقائد الشيعية وتبريرها ( ٢ ) ، ولاسيما عقيدتهم فى الامامة ، التى تتمثل فى أعقاب النبى ( ص ) الذين تسلسلوا من أولاد ابنته فاطمة وزوجها على ، فحفدة النبى هم أحق الناس بأن يعرفوا حقيقة رسالة جدهم ، لأنهم وحدهم دون غيرهم ورثة علم النبى .

وللامامة عند الشيعة اهمية عظمى فهى : « من أجل الأمور بعد الرسالة اذ هى فرض من أجل فرائض الله فاذن لا تقوم الفرائض ولا تقبل الا بامام عدل ( ٣ ) » . والامام ، عند الشيعة عامة ، مكانه على راس الجماعة الاسلامية حاكما وفقيها ، وقد وهبه الله قوى روحية فائقة تسمو به عن مستوى البشر ، فروحه أنقى من روح الآدميين العاديين لخلوها من نزعات الشر وتحليها بالصفات القدسية . ويرتفع بعض غلاة الشيعة بعلى والأئمة من بعده الى مراتب تجعلهم صورا واشكالا يتمثل فيها الجوهر الآلهى ذاته ، ويرون أن جثمانية هذا الجوهر ليست سوى حادث طارىء ، ومن هؤلاء طائفة تعرف « بالعليائية » أو « العلياوية ( ٤ ) » .

والامام عند الشيعة ، فوق أنه معصوم من الخطأ بلطف من الله عز وجل ، يتميز بأنه يتوارث علما باطنيا وآيات رمزية متواترة تنتقل بالوراثة فى اسرة النبى من جيل الى جيل ، وهى تشمل حقائق الدين وكافة حوادث العالم . وعلى ذلك لا يصح عندهم الفصل فى المسائل الدينية الا برأى

---

(١) المسند لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ، ج ٤ ص ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، والتنبيه والأشراف للمسعودى ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٣٥ .

(٢) أنظر الهاشميات ( للكميت بن زيد الأسدى المتوفى سنة ١٢٦هـ ) ، ص ٨١ طبع الرافعى :

ويوم الدوح دوح غدير خم  أبان له الولاية لو أطيعا

(٣) النوبختى ص ١٩ ، الأشعرى القمى ص ١٦ .

(٤) القمى ص ٥٩ — ٦٠ ، ابن حزم ج ٤ ص ١٨٦ ، الشهرستانى ج ١ ص ٣٧٠ — ٣٧٢ ، مقدمة ابن خلدون طبع وافى ص ٥٣٠ وما بعدها .

الامام ، ولا يكون للاجماع ، وهو من المبادىء الأربعة التى أقرتها عقائد أهل السنة والجماعة ، قيمة الا بمساندة الامام ومعاونته .

وتعتقد بعض الطوائف الشيعية بخلود الامام ورجعته ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما (١) . ويذكر الاصفهانى فى الأغانى (٢) خطبة القاها أبو حمزة الخارجى ( سنة ١٣٠هـ ) فى المدينة عن الشيعة نفهم منها (٣) أن الفرق المعادية للشيعة أقامت نقدها لهم ، فى تلك الفترة المبكرة ، على أساس أن آراءهم ومعتقداتهم فى « الامام » تمثل خروجا على أحكام الشريعة لاعتقادهم بأن الامام فوق مستوى البشر : يعلم الغيب ، من اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسئوليه (٤) .

---

(١) وتخالفهم فى ذلك الاسماعيلية . وان كنا نلاحظ ان نظرية المهدى ، مثلها فى ذلك مثل نظرية الرجعة ، قد ظهرت لدى الاسماعيلية فى طور مبكر، عندما بشر دعاتهم بقرب رجعة الامام الغائب ، محمد بن اسماعيل ، ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما . وقد سبب قيام الدولة الفاطمية فى المغرب على يد عبيد الله المهدى ، كما سنرى فيما بعد ، اضطرابا كبيرا فى العقائد الاسماعيلية المتعلقة برجعة الامام ، بل سبب انشقاقا فى صفوف الدعاة . والثابت أن الاسماعيلية فى جزيرة « الرى » بايران لم يعترفوا بالامام الفاطمى ، تعلقا بعقيدتهم السابقة برجعة محمد بن اسماعيل،الا بعد عصر المعز لدين الله الخليفة الفاطمى . وبعد موت الحاكم بأمر الله الفاطمى اعتقد بعض الاسماعيلية فى رجعته .

(٢) ج ٢٠ ص ١٠٧ .

(٣) نرى نفس اللهجة فى الهجوم على معتقدات الشيعة فى كتاب أرسل به الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر ( أنظر الطبرى طبع دى خوية القسم الثانى ص ١٦٨٢ ) .

(٤) ولقد وصل الاسماعيلية فى ايران فى نهاية الأمر كما سنرى فيما بعد ، الى المجاهرة برفع التكاليف ونبذ أحكام الشريعة ، ليس فقط بمقتضى « تأويلهم » المتعسف لبعض آيات القرآن الكريم ، ولكن أيضا لأن امامهم ، الحسن بن محمد بن بزرك اميد ( على ذكره السلام ) ، قد سمح لهم بذلك .

نخلص من هذا الى أن مسألة الأمامة ، وما يتعلق بها من عقائد ، هى أعظم الأصول الأيمانية فى العقائد الشيعية ، وهى التى تميز المذهب الشيعى عن غيره من المذاهب الاسلامية .

ولقد كانت موقعة « كربلاء » سنة ٦١هـ هى أول وأقوى دافع لتحول التشيع الى ذلك الاتجاه الدينى ، ففضلا عن المظهر العاطفى الذى اكتسبه الاتجاه الجديد نجده قد اصطبغ بلون من ألوان الحماسة الشديدة وبالمناداة « بثارات الحسين » . وقد علق المستشرق الانجليزى ادوارد براون على تلك الموقعة بقوله : « لقد ظل الشيعة ، على ما رأينا لسوء الحظ، تنقصهم الحماسة وبذل النفس ، بيد أن هذا كله قد تبدل منذ ذلك الحين ، وغدت ذكرى موقعة كربلاء الملطخة بدماء ابن بنت النبى ، مع ما قاساه من شدة العطش واحاطته بجثث القتلى من أقاربه الذين تساقطوا هناك ، كل ذلك غدا منذ ذلك الحين كافيا لاثارة عاطفة الحماسة التى كانت أشد ما تكون ، وعاطفة الحزن التى تملكت النفوس ، حتى عند أكثر الناس فتورا وتراخيا . وأصبحت هذه الروح التى لا تبالى بالآلام والاخطار ، بل وبالموت ، ترى كل هذه أمورا هينة غير جديرة بالتفكير فيها (١) » .

## ٢ — الفرس والتشيع :

كان استياء الموالى ، من الفرس وغيرهم ، والمظالم التى يشكون منها مرتعا لكل حركة ثورية حدثت فى عهد الدولة الأموية ، فما ان اتجهت الحركة الشيعية اليهم اتجاها قويا حتى التف حولها جمع غفير منهم : اعتنقوا مبادئها ، ودافعوا عنها ببسالة منقطعة النظير .

---

(١) تاريخ الأدب فى ايران ج ١، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ من الأصل الانجليزى ، ص ٣٣٣ من الترجمة الفارسية . ولقد نشأ فى الأدب الشيعى بوجه عام ، بعد مأساة كربلاء ، موضوع قائم بذاته لا ينضب معينه وهو موضوع « محن آل البيت » وتمثل أشعار « التعزية » التى تظهر بكثرة فى الأدب الفارسى فى العصر الصفوى جانبا هاما من جوانب هذا الموضوع تلك الأشعار التى تتحدث حديثا مسرحيا مؤثرا عن مآسى يوم كربلاء وفجائعه .

ويرى « جوبينو (١) » ويذهب « براون » مذهبه (٢) ان العقيدة المتعلقة بالحق الآلهى التى اودعت فى الأسرة الساسانية كانت ذات اثر عظيم فى تاريخ الفرس والتشيع ، : « فلقد جاءت فكرة انتخاب الخليفة متمشية مع ديمقراطية العرب (٣) ، غير أنها لا يمكن أن تظهر فى نظر الفرس الا بمظهر ثورى غير مطابق لطبيعة الأشياء » . ويعتقد الفرس أن الحسين بن على ، وهو أصغر ولدى فاطمة بنت النبى ( ص ) ، قد تزوج « شهربانو » ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين . واستنادا الى هذا أصبح الأئمة من الشيعة بقسميها ( الأثنى عشرية والاسماعيلية ) لا يمثلون حق أهل بيت النبوة وخصائصها فحسب بل يمثلون حق الملك وفضائله أيضا ، من حيث كونهم يتمتعون بانحدارهم من أصل مزدوج ، من بيت الرسالة ومن أسرة ساسان . ومن هنا نشأت هذه العقيدة السياسية (٤) .

وسواء حدث هذا الزواج أم لم يحدث ، فالشيعة الفرس يقبلونه كحقيقة تاريخية . ومن أوائل المؤرخين الذين أشاروا اليه اليعقوبى الذى كان يعيش فى نهاية القرن الثالث الهجرى ، فقد قال فى حادثة قتل الحسين: « وكان للحسين عليه السلام من الولد ، على الأكبر لابقية له ، قتل بالطف (٥) ، وأمه ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى ، وعلى

---

(١) ونحن ننقل رأيه هنا عن براون فى المصدر الآتى ذكره فى الحاشية التالية .

(٢) تاريخ الأدب فى ايران ، ج ١ ص ١٣٠ من الأصل الانجليزى ، ص ١٩٥ من الترجمة الفارسية .

(٣) ويعزو كرستنسن فى كتابه « ايران فى عهد الساسانيين » ( ص ٤٩٣ — ٤٩٤ من الترجمة العربية ) الى الديمقراطية التى أدخلها الاسلام فى ايران السبب فى تدهور النظام الايرانى القديم فقد أدت هذه الديمقراطية الى القضاء تدريجيا ونهائيا على طبقات الأشراف التى يعدها المؤلف المذكور أساس الحضارة فى عهد الساسانين ، وضيعت الصفات التى كانت تميزهم عن غيرهم .

(٤) تاريخ الأدب فى ايران ج ١ ص — ١٣٠ و ص ١٩٥ من الترجمة الفارسية . لازال لشهربانو منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر منزلة كبيرة فى الأدب الفارسى ، أنظر ايضا براون فى نفس المرجع ص ١٣١ — ١٣٤ من الأصل الانجليزى ، ص ١٩٧ — ٢٠٠ من الترجمة الفارسية .

(٥) قسم من « خوزستان » يجاور الأراضى الصالحة للزراعة فى العراق .

الأصغر وأمه حرار بنت يزد جرد وكـــان الحسين سماها غزالة (١) » .
فهى بذلك تعتبر أم على زين العابدين الأمام الرابـــع لدى الشيعة ، ويبدو أن
هـــذا المعتقد كـــان من أقوى العوامل التى دفعت الفرس الى أخـــذ البيعة
لهذا الأمام وأعقابه من بعـــده .

وقد أدى كلف الفرس بالتشيع الذى يضفى صفة قدسية على الامام
الى ظهور الوهم القائل بأن التشيع فى منشئه ومراحـــل نموه يمثـــل الأثر
التعديلى الذى أحدثته أفكـــار الفرس بعد اعتناقهم للاسلام . فقـــد قـــال
دوزى فى كتابه « مقالة فى تاريخ الاســـلام » : « كـــانت الشيعة فى حقيقتها
فرقـــة فارسية ، ... لقـــد كان مبـــدأ انتخـــاب خليفة للنبى أمرا غير
معهود ، ولأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم ، لهـــذا اعتقدوا أنه
مادام محمد لم يترك ولدا يرثـــه فان عليـــا هو الذى كـــان يجب أن يخلفه ،
وأن الخلافـــة يجب أن تكون وراثية فى آل على . ومن هنـــا فان جميـــع
الخلفـــاء ـــ ماعـــدا عليـــا ـــ كانوا فى نظرهم مغتصبين للحكم لاتجب لهم
طاعـــة . وقوى هـــذا الاعتقاد عنـــدهم كراهيتهم للحكومـــة وللسيطرة
العربيـــة ، فكانوا فى الوقت نفســـه يلقون بأنظـــارهم النهمة الى ثروات
ســـادتهم . وهم قـــد اعتادوا أيضـــا أن يروا فى ملوكهم أحفادا منحدرين
من أصـــلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هـــذا التوقير الوثنى الى على وذريته .
فالطاعة المطلقة « للامام » الذى من نســـل على كانت فى نظرتهم الواجب
الأعلى . حتى اذا ما أدى المرء هـــذا الواجب ، استطاع بغير لائمة ضمير
أن يفسر ســـائر الواجبات والتكاليف تفسيرا رمزيا وان يتجاوزها . ولقد
كان «الامام » عندهم هو كل شىء ، انه الله قـــد صـــار بشرا . فالخضوع
الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات ـــ ذلك هو الأساس فى مذهبهم (٢) » .

والى هذا الرأى يـــذهب أيضا « مولر » ويضيف اليه أن الفرس كانوا
تحت تأثير الأفكار الهندية ـــ قبل الاسلام بزمن طويل ـــ يميلون الى القول

---

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢١٨ طبع النجف .

(٢) عن كتاب أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صـــدر الاسلام ،
ص ٢٤٠ .

بأن الشاهنشاه هو تجسد لروح الله التى تنتقل فى أصلاب الملوك من الآباء الى الأبناء (١)

وقد بين فلهوزن فى فصل حسن الحجة ( ٢ ) من كتابه « احزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الاسلام:الخوارج والشيعة » خطأ هذه النظرية منتهيا الى قوله « أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الايرانيين فهذا أمر لا سبيل الى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الايرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلا عليه . بل ان الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك ، اذ تقول ان التشيع الواضح الصريح كان قائما أولا فى الدوائر العربية ، ثم انتقل بعد ذلك منها الى الموالى ( ٣ ) ، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الدوائر ( ٤ ) » .

حقيقة أن صفة المعارضة التى تميز بها التشيع قد صادفت عند الفرس قبولا وترحيبا ( ٥ ) ، فاعتنقوا ، مثلهم فى ذلك مثل العرب سواء بسواء ، هذه الفكرة الاسلامية وأثروا فى نموها وتطورها بفضل عقيدتهم الوراثية القديمة المتعلقة بالحق الالهى . غير أن بوادر هذه العقيدة لا يشتم منها وجود مثل هذا التأثير الفارسى ، فالتشيع اذن عربى فى نشاته وفى أصوله التى نبت منها .

ولقد أثرت نزعة المعارضة التى ينطوى عليها التشيع فى الكيفية التى اعتنق بها كثير من الفرس التشيع ، اذ انضموا الى جانب أكثر فرقة تطرفا وغلوا ، ولا يصح أن نزعم أن مرجع هذا هو العصبية الفارسية

---

(١) أنظر أحزاب المعارضة ص ٢٤١

(٢) نفس المرجع ص ٢٣٤ — ٢٥٤ .

(٣) ويقول ياقوت فى معجم البلدان ( ج ٤ ص ١٦٠ ) ان العرب المهاجرين هم الذين نقلوا التشيع الى أهل « قم » والقرى التى حولها فى الشمال الغربى لايران وأن ذلك قد حدث فى وقت مبكر ( سنة ٨٣هـ ) .

(٤) أحزاب المعارضة ص ٢٤١ .

(٥) جولد زيهر ، العقيدة والشريعة ص ٢٠٥ .

القومية ، لأن الفرق المذهبية تتسم بأنها أكثر انطباعا بالدين وأقل تمسكا بالعصبية القومية ( ١ ) .

وهناك رأى يلقى تأييدا من جانب بعض الباحثين المحدثين من الايرانيين يذهب الى أن الفرس اعتنقوا التشيع للمحافظة على كيانهم القومى من الضياع فى مواجهة طغيان الخليفة العباسى السنى فى بغداد . ويقول الأستاذ سعيد نفيسى فى مقدمته لكتاب « قابوس نامه (٢) » بأن الروح الايرانية : « كانت على الدوام يقظة متحفزة طيلة السنين الأربعمائة الأولى من الهجرة ، فقد قام البعض بمجابهة العرب بالسيف والعداء ، والتمس البعض فى مذهب زردشت ومذهب مزدك وسيلة يستطيعون بها القضاء على نفوذ العرب ، وأحدث البعض قوانين جديدة يتوسلون بها لطرد الغرباء ، ودخل البعض من طريق السلم فأخذوا بغداد من كل جانب وأقروا المدنية الساسانية على عرش خلفاء بنى العباس ، اذ تقلد بعضهم العمل كوزير أو كاتب أو عامل ديوان ، وسلك البعض طريق النفاق ولبسوا مسوح الاعتزال والشعوبية ، والصوفية والقرمطية وغيرها ، فكانوا يبثون الاضطراب فى مقدرة خليفة العرب ، وقام البعض بتأسيس عرش واتخاذ تاج فى ناحية من نواحى ديارهم وقبلوا الاذعان للخليفة اما عن خداع واما عن خشية . وبعد هذه السنين الأربعمائة حذقوا كافة الوسائل الممكنة واتفق الايرانيون جميعا على أن أفضل طريق للخلاص من هذا الخطر الداهم المهلك هو أن يبقى الخليفة للعرب والا يفكر فى حكم الايرانيين ، ومن هذه المشكلة المحيرة نبع التشيع » .

فسعيد نفيسى اذن يرجع السبب فى اعتناق الفرس للتشيع الى نزعة تعصبية قومية ، وهو بهذا التفسير ، الذى أراد به أن يمجد قدم النزعة القومية لدى الفرس ، يسلب المناحى الايجابية لكل ما قام به الفرس فى نطاق الحضارة الاسلامية من جهود وما تركوه من آثار فائقة القيمة لا تقل عما

---

(١) أحزاب المعارضة لفلهوزن ص ٢٥٢ .
(٢) طبع طهران ص ز .

تركه العرب أنفسهم أن لم تكن تفوقه فى بعض النواحى ، ويجعل ذلك برمته سلبية مطلقة هدفها الأسمى طرد الغرباء والانتقام للساسانيين . والثابت تاريخا أن الأسرات الحاكمة التى قامت فى عصر الدولة العباسية فى ايران والتى يقال انها تنحدر من أصل ساسانى ويعتبرها الفرس رمزا لاستعادة مجد الساسانيين القديم كالسامانيين ، لم تتخذ التشيع مذهبا تتوسل به الى القضاء على سلطان الخليفة العربى بل كان مذهبها سنيا كمذهب الخليفة سواء بسواء . أما المناطق الواقعة فى الشمال الغربى لايران كطبرستان وجيلان والديلم فان أهلها لم ينتقلوا من مذهب اسلامى كانوا يتبعونه الى التشيع لأنهم وجدوا فيه مخلصا ، انما كان اسلامهم على يد الشيعة الزيدية دعاة طبرستان فدخلوا فى الاسلام على مذهب الشيعة ( ١ ) .

**فلا سبيل اذن الى القول بان تشيع الفرس يمثل نزعة تعصبية قومية .**

غير ان التشيع ، وقد انتشر فى ايران فى عصر مبكر من عصور الاسلام ، لم يسلم من تقبل بعض الأفكار والآراء الفارسية التى كانت شائعة قبل ظهور الاسلام فى تلك المناطق . وتعد الفكرة الخاصة بظهور « المهدى » الذى يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا من العلامات الفارقة فى تاريخ التشيع ، وهى الفكرة التى يميل بعض المستشرقين الى ردها الى أصول فارسية قديمة . ويذهب كل من فان فلوتن وجولد زيهر الى أن فكرة ظهور المهدى التى أدت اليها نظرية الامامة والتى تجلت معالمها فى الاعتقاد بالرجعة منشؤها المؤثرات اليهودية والمسيحية (٢) .

الا أن « ماسينيون ( ٣ ) » يرجع بفكرة **المهدى** الى الاسلام فيقول انها

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٤٣٠ طبع بولاق ، وتاريخ طبرستان لسيد ظهير الدين المرعشى ص ٢٧٨ .

(٢) فان فلوتن فى كتاب « السيادة العربية » ص ١٢١ — ١٢٣ من الترجمة العربية وجولد زيهر فى « العقيدة والشريعة فى الاسلام » ص ٢٠٥ من الترجمة .

(٣) محاضرات فى الكلية الفرنسية سنة ١٩٣٦ ص ٣٧ ، نقلا عن برنارد لويس فى كتابه أصول الاسماعيلية ص ٨٦ من الترجمة العربية حيث ينقل لويس الآراء المختلفة التى يذهب اليها المستشرقون فى أصل هذه العقيدة .

نشـــأت من القرآن وتقاليد المسلمين ومن القصص الشعبية العربيـــة . وانتعشت بتأثير الأحوال الاجتماعية (١) .

ولكن الملاحظ أن لفظ المهـــدى بمعنـــاه المفهوم لدى الفرق الشيعيـــة المتأخرة ، قد ظهر أول ما ظهر فى ثورة المختار الثقفى (٢) ضـــد بنى أمية ، تلك الثـــورة التى أعلنهـــا سنة ٦٦هـ مستظهرا بالموالى من الفرس (٣) فى الكوفة .

ولقـــد كانت استعانة المختار بالموالى فى ثورته هذه مطلع حركة خطيرة بعيـــدة الأثر فى التاريخ الاســـلامى . ولقـــد ادعى المختار أن أحـــد ابناء على من أم حنفية ، هو المهدى وجعله اسمى ممثل للحكومـــة الالهية على الأرض ، وخليفة على والرسول بتفويض من الله سبحانه . وقد أدى هـــذا الى ظهور عقيدتى الغيبة والرجعة المهديتين اللتين قالت بهما جميع الفرق الشيعية المتأخرة تقريبا . ونجد أصولا لعقيدة الرجعة كانت قائمة فى ايران قبل ظهور الاسلام . فبعد أن قتل مانى ( سنة ٢٧٦م ) ومزدك ( سنة ٥٢٩م ) شـــاع بين اتباعهما انهما لم يقتلا وانما رفعا الى السماء ، وأن كلامنهما سيعود ليملأ الأرض عدلا بعـــد أن ملئت ظلما (٤) .

---

(١) أيضا ، ويرى المفكر الاســـلامى الكبير محمد اقبال أن فكرة المهدى ليست اســـلامية وانما ظهرت بتأثير الفكر المجوسى فهو يقول فى كتـــابه « تجـــديد التفكير الدينى فى الاســـلام » ص ١٧٧ من الترجمـــة العربية ، « لقد ســـار ابن خلدون على هدى من نظرته الى التاريخ فأفاض فى نقده ، وقضى — فيما أعتقد — قضـــاء نهائيا على الأســـاس المزعوم لفكرة ظهور مخلص فى الاســـلام . وهى فكرة شبيهة فى آثارها السكيولوجية بالفكرة المجوسية الأصلية التى كانت قد ظهرت تحت تأثير الفكر المجوسى » .

(٢) الطبرى ، القســـم الثـــانى ، ص ٦١١ طبع ليدن ، وان كان لفظ المهدى قـــد أطلـــق على على والحسن والحسين من قبيل التعظيم وبمعنى سياسى ( انظر مقال ماكدونالد عن المهدى فى دائرة المعـــارف الاســـلامية، وفلهوزن فى أحزاب المعارضـــة ص ٢٤٦ ) .

(٣) انظر الدينورى فى الأخبار الطوال ص ٢٨٨ .

(٤) كرستنسن « ايران فى عهـــد الساسانيين » ص ١٨٧ — ٢٤٤ من الترجمة العربية . ويحيى الخشـــاب « ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى » ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

والواقع أن التشيع ظهر فى البيئات الفارسية بشكل واضح بعد ثورة المختار الثقفى ، وانتشر دعاته (١) فى أيران . وكانوا من الكثرة والقوة بحيث خشيهم دعاة العباسيين عندما اصطدموا بهم فى خراسان مما اضطر محمد بن على بن عبد الله بن العباس الى تتويج الدعوة بعبارة مبهمة هى : « الرضا من آل محمد » فاجتمعت الدعوتان العلوية والعباسية ظاهرا وافترقتا باطنا وأن عرفتا بالدعوة الهاشمية نسبة الى هاشم الجد المشترك لكل من العباسيين والعلويين . وكان أن ظفر العباسيون بهذا الجهد المشترك فى الدعوة واقاموا الدولة العباسية بفضل الجهود التى بذلها أبو مسلم الخراسانى فى القضاء على دولة بنى أمية .

## ٣ — بدء الانقسامات الداخلية فى التشيع :

لقد اصطبغ التشيع ، بعد ثورة المختار ، بصبغة ثورية لازمته فى مراحل تطوره كلها تقريبا . والواقع أن تسرب الموالى الى التشيع لم يكن هو الأثر الوحيد لثورة المختار ، فقد أحدثت هذه الثورة أثرا آخر لا يقل أهمية عن سابقه ، ذلك هو بدء قيام الانقسامات الداخلية فى التشيع ، ففى خلال تلك الفترة التى تربو على السبعين سنة بين انتهاء ثورة المختار وظهور الاسماعيلية ظهرت فى الفرق الشيعية الغالية نزعتان متباينتان يصح تسميتهما بالحنفية والفاطمية (٢) . كان أصحاب النزعة الأولى أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه من عقبه ، وأصحاب النزعة الثانية أتباع الأئمة من سلالة على وفاطمة أى الحسن والحسين وذريتهما .

---

(١) أصبح « الدعاة » ظاهرة مميزة للشيعة بعد مقتل الحسين مباشرة فى كربلاء ، أنظر الطبرى طبع ليدن ، القسم الثانى ص ٥٠٧ وما بعدها فى شأن « عبيد الله المهدى » والملاحظ أنه فى هذه العصور المبكرة ( سنة ٦٥هـ ) اتخذت الدعوة السياسية شكل « الموعظة » الدينية .

(٢) أنظر لويس فى كتابه أصول الاسماعيلية ص ٢٦ من الأصل الانجليزى ، ص ٨٨ من الترجمة العربية .

وقـــد استطاع دعاة العباسيين فى مهارة أن يستوعبوا فى دعوتهم لبنى العباس غلاة الشيعة فى الكوفة وخراسان من أصحاب النزعة الحنفية (١) وأن يستخدموهم أداة لهم . ومن ثم فقدت الحنفية بعد قيام الدولة العباسية السبب الذى يبرر وجودها . ولـــا زالت الحنفية أصبحت الفاطمية — بعد أن استغرقت بقايا الحنفية — هى الفرقة الغالية بين الشيعة ، وواصلت نضـــالها القديم ضـــد الشيعة المعتدلين (٢) .

والحقيقة أن للحنفية بعض الأهمية فى تبيان اصول كثيرة من الأفكـــار والعقائد الاسماعيلية وقد افترقت هذه الفرقة بعد وفاة محمد بن الحنفية الى فرقتين :

١ — **الكربية** : وهم أصحاب أبى كرب الضرير ، زعموا أن محمد بن الحنفية حى لم يمت ، وأنه فى جبل رضوى بالقرب من المدينة وعنده عين من المـــاء وعين من العســـل (٣) ، وأنه المهدى سيعود ليملأ الأرض قسطا وعدلا (٤) .

وكان ممن ذهب مذهب الكربية حمزة بن عمارة البربرى الذى ادعى أنه نبى وأن محمد بن الحنفية هو الله (٥) . ومن الكربيـــة أيضـــا

---

(١) وتسمى الحنفيـــة أيضـــا بالكيسانية نسبة الى كيســـان . وكان اسما للمختـــار الثقفى ( البغـــدادى فى الفرق بين الفرق طبعـــة محمد بدر ص ٢٧ ، جهانكشـــاى ج ٣ ص ١٤٣ وما يقابلها من الترجمـــة ، جامـــع التواريخ الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ٩ ) .

(٢) ان بحثنا هنـــا يتنـــاول فرق الغلاة دون المعتدلين وهم الاماميـــة أو الاثنا عشرية .

(٣) ينسب فلهوزن هـــذه الفكرة الى الأنجيل ( انظر أحزاب المعارضـــة فى صـــدر الاسلام ص ٢٤٧ من الترجمة العربية ) .

(٤) فرق الشيعة للنوبختى ص ٢٥ ، كتـــاب المقـــالات والفرق للقمى ص ٢٧ ، مقـــالات الاسلاميين للأشـــعرى ج ١ ص ١٧ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ( طبعة محمد بدر ) ص ٢٧ ، بيان الأديان لأبى المعالى ص ٣٥ .

(٥) النوبختى ص ٢٨ ، القمى ص ٣٢ — ٣٣ .

رجلان يقال لأحدهما بيان وللآخر صائد وقد أنشأ كل منهما فرقة باسمه ( ١ ) .

٢ ـ **الهاشمية** ( ٢ ) : قالوا ان محمد بن الحنفية مات والامام بعده ابنه عبد الله وكان يكنى أبا هاشم . وغلوا فى أبى هاشم وقالوا أنه يحيى الموتى . فلما توفى أبو هاشم سنة ٩٨هـ تفرق أصحابه أربع فرق :

( أ ) فرقة قالت : ان أبا هاشم مات وأوصى الى أخيه على بن محمد بن الحنفية ثم أوصى بالأمامة لبنى العباس .

(ب) فرقة قالت انه أوصى الى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبى طالب ابو على وهم أصحاب عبد الله بن الحارث ويسمون الحارثية ، وكان ابن الحارث هذا من أهل المدائن . ومالت فرقة من الحربية اليهم ( ٣ ) .

(ج) فرقة قالت أوصى أبو هاشم الى محمد بن على بن عبد الله العباسى بأرض الشراة بالشام . ويسمى هؤلاء الروندية .

(د) فرقة قالت ان الامام القائم المهدى هو أبو هاشم وقد مات ويرجع فيقوم بأمر الناس ويملك الأرض ولا وحى بعده . وقد قتل بيان على هذه المقالة وصلب فى سنة ١١٩ .

وتخبرنا مصادرنا بأن هذه الفرق كلها بشرت بعقائد غالية وادعت ان للامام قوى خارقة ، وذهب بعضها ومنها الكربية ، الى تأليه الامام . كما تنسب المصادر الى هذه الفرق نظريات اباحية ، كحمزة بن عمارة

---

(١) النوبختى ص ٢٥ ، ٣٠ . القمى ص ٥٦ ، وفى البيانية أنظر القمى أيضا ص ٣٧ ، البغدادى ص ٢٢٧ ، الشهرستانى ص ٢٩٥ وما بعدها ، الأشعرى ج ١ ص ٥ ، ابن حزم ج ٤ ص ١٧٩ .

(٢) النوبختى ص ٣٠ ، القمى ص ٣٨ ، الأشعرى ج ١ ص ٢٠ ، الشهرستانى ج ١ ص ٢٩ وما بعدها ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازى ص ٦٣ .

(٣) « الحربية فرقة من غلاة الشيعة من أصحاب عبد الله بن عمرو بن الحرب الكندى ، وهم يقولون بالتناسخ » ( القمى ص ٢٦ ) .

البربرى الذى نكح ابنته وأحل جميع المحارم وقال : من عرف الامام فليصنع ما شـاء (١) . وكانت هذه الفرق ، بلا استثناء ، تؤمن بالرجعة والغيبة وكان بعضهم يزعم أن محمد بن الحنفية يظهر بعد الاستتار عن خلقه فينزل الى الدنيا ويكون فيها بين المؤمنين وهذا معنى الآخرة عندهم (٢) .

ومما يسترعى الانتباه الفكرة التى انبثقت فى عقائد هذه الفرق وهى تأويل الآيات القرآنية ، تلك التى أدت فى النهاية لدى الاسماعيلية الى نبذ كل أحكام الشريعة وفرائضها .

هذه هى الفرق الرئيسية للحنفية ، وقد اختفت هذه الفرق عن الوجود باستيلاء العباسيين على الحكم (٣) . واستغرقت الفاطمية ما بقى من أتباعها .

والفاطمية نسبة الى فاطمة الزهراء بنت الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وزوج على ابن أبى طالب وأم الحسن والحسين . ويجدر بنا أن نشير الى الفرق المتصلة بذرية الحسن قبل ننتقل الى الكلام على السلالة الفاطمية الحسينية .

ولقد أعلن محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على ( ١٠٠ — ١٤٥ هـ ) أنه القائم المهدى وأنه الامام . وكان المغيرة بن سعيد العجلى قد قال بهذا القول وعمل على نشره وكون فرقة نسبت اليه وسميت بالمغيرية . وزعم المغيرة أنه رسول نبى . ولما توفى محمد النفس الزكية ادعوا بأنه فى الغيبة وسوف يرجع . وكان المغيرة قد خرج بالكوفة

---

(١) النوبختى ص ٢٨ ، القمى ص ٣٤ .

(٢) النوبختى ص ٢٩ ، القمى ص ٣٤ . وقد ظهرت هذه الفكرة فى أوج قوتها لدى الاسماعيلية فى ايران فى دعوة القيامة التى نادى بها الحسن على ذكره السلام ، كما سيأتى .

يرى فان فلوتن فى كتاب السيادة العربية ( ص ٩٦ من الترجمة العربية ) أن حركة الدعوة العباسية التى سبقت استيلاءهم على الحكم لم تكن فى صميمها الا نوعا من التشيع الحنفى .

فى امـارة خالد بن عبد الله القسرى ، فظفر به خالد وصـلبه سنة ١١٩ . ويظهر أن لهذه الفرقة أثرا كبيرا فى تطور الأفكار الباطنية (١) . ولم يكن النفس الزكيـة يميل الى الاعتراف بالمغيرة (٢) . وهو عنـد الاماميـة ملعون (٣) .

والواقـع أن السلالة الفاطمية قـد أصيبت بالخـذلان من جراء قتل أساطين دعاتها فى فاجعة كربلاء . غير أنها بعد أن استعادت قوتها ، لم تلبث أن قامت بحركة خطيرة تولاها زيد بن على زين العابدين الذى ادعى الأمامـة العلوية فى الكوفـة سنة ١٢٠هـ . والتف حوله جمع كثير سموا بالزيدية نسبة اليه . والزيدية هى أكثر فرق الشيعة تساهلا وأقربها الى السنة فأتباعها لا يكفرون أبا بكر وعمر والصحابة الذين لم يعترفوا بعلى كخليفة أول للنبى .

اما السلالة الفاطمية الحسينية فقـد اشتدت شوكتها وكثر أتباعها كثرة هائلة فى حيـاة محمد الباقر الامام الخامس . وانشعبت منهم فرقـة هامة واحـدة على الأقل هى المنصورية أتباع أبى منصور العجلى . وكان رجلا من أهل الكوفة ادعى أنه خليفة الباقر ثم عاد فزعم أنه نبى وأنه عرج به الى السماء . كما زعم أن الجنـة رجل أمر الناس بموالاتـه وهو امام الوقت . وأن النـار رجل أمروا بمعاداتـه وهو خصم الامام . واستحل المحارم وأحلها لأصحابه وتأولها كلها على اسماء رجال أمر الله بمعاداتهم . وأبطل الفرائض كالمواريث والطلاق والصلاة والصيام والحج وتأولها على

---

(١) برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ص ٢٩ من الأصل الانجليزى ، ص ٩٤ من الترجمـة

(٢) النوبختى ص ٣٥ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ٤٢ ، ٤٣ . القمى ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ . الشهرستانى ج ١ ص ٣٧٣ وما بعدها . البغدادى ص ٢٢٩ وما بعدها . الأشعرى ج ١ ص ٦ ومـا بعدها . ابن حزم ج ٤ ص ١٨٤ . الكشى ص ١٤٥ — ١٤٨ .

(٣) انظر بوجه أخص الكشى فى نفس الموضـع .

أسماء رجال أمر النـــاس بموالاتهم . وكـــان يأمر أصحابه بخنق من خالفه وقتلهم بالاغتيال ، ويقول : من خالفكم كافر مشرك فاقتلوه . وقد انتهى أمر أبى منصور هـــذا بالصلب على يد يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشـــام بن عبد الملك ، حوالى سنة ١٢٥ ، الذى نكل بأتباعه ( ١ ) . وواضـــح أن هذه الفرقة الفاطمية قد شـــاركت فى وضع الأسس العقائدية لفرقة الاسماعيلية عندما نشـــأت .

وبعد وفاة محمد الباقر تبع أكثر أتباعه ابنه جعفر الصـــادق وقالوا بامامتـــه ، وكـــان من أبرزهم رجل يقـــال له أبو الخطـــاب مؤسس فرقة الخطابية .

وبعد وفاة الصـــادق سنة ١٤٨هـ حـــدث انشقاق خطير فى صفوف الفاطمية يمثل اتجاهات رئيسية ثلاثة ( ٢ ) :

١ — الناووسية ( ٣ ) — وهم الذين زعموا أن جعفر بين محمد حى لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلى أمر الناس وهو القائم المهدى .

---

(١) النوبختى ص ٣٩ ، القمى ص ٤٦ — ٤٨ ، الشهرستانى ج ١ ص ٣٧٧ — ٣٧٩ . البغدادى ( الفرق بين الفرق ) ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، ابن حزم ( الفصل فى الملل والنحـــل ) ج ٤ ص ١٨٥ — ١٨٦ ، الأشعرى ( مقالات الاسلاميين ) ج ١ ص ٩ — ١٠ ، الكشى ص ١٩٦ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازى ص ٥٨ . الطبرى القسم الثانى ص ١٦٤٧ — ١٦٨٨ . ويشذ النوبختى عن كافة المصـــادر فى نسبة الاباحة والتبشير بالمادية الفلسفية الى المنصورية . ولقد عدها ابن حزم فرقة من فرق الخطابية التى سنتحدث عنها فيما بعد .

(٢) يجعل النوبختى ص ٤٧ وما بعدها ويتبعه القمى ص ٧٩ وما بعدها هـــذا الانشـــقاق فى ســـت فـــرق . ويحصـــره برنـــارد لويســـ فى «أصول الاسماعيلية» ص ٣٠ — ٣١ من الأصل الانجليزى وص ٩٥ وما بعدها من الترجمة العربية فى هذه الاتجاهات الثلاثة .

(٣) الأشعرى ج ١ ص ٢٣ ( ويسميها بالبابوسية ) ، الفهرست لابن النديم ص ١٩٨ ، ( ويطلق على واحـــد من أتباعها البابوشية بالشين ) . البغدادى ص ٣٩ ( الناوسية ) التبصير فى الدين للاسفراييني ص ٢٢ ، تلبيس ابليس ص ٢٢ .

٢ — أتبـاع موسى الكـاظم بن جعفر الصـادق — وهم الاماميـة أو الاثنا عشريـة .

٣ — الاسماعيلية — الذين زعموا أن الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل ثم من بعـده ابنه محمد بن اسماعيل .

وسرعان ما انقرضت الجماعة التى تمثل الاتجاه الأول . ونشـأ من الاتجاه الثانى الشيعة الاثنا عشريـة المعتدلة . اما الثـالث فقـد احتفظ بالتقاليد الرئيسية للتشيع المتطرف ( ١ ) .

* * *

## ٤ — نشـأة الاسماعيلية :

يـذهب النوبختـى الى القـول بوحـدة الحـركتين الخطابيـة والاسماعيلية (٢) . والخطابية هم أتباع أبى الخطاب محمد بن زيد الأسدى الأجدع الذى يعد بانشـائه هـذه الفرقة أول من نظم حركة ذات طابع باطنى خاص .

ولقـد قال الخطابية ان أبا الخطاب نبى مرسل أرسله جعفر الصادق ، الذى زعموا أنه ذو طبيعة الهية وأنه يتمتع بقوى خارقة ويستطيع أن يأتى بالمعجزات ، فتبرأ جعفر من أبى الخطاب وأتباعه وأمر بالبراءة منه (٣) . وقال الخطابية بالتأويل وتوصلوا عن طريقه الى تحليل المحـارم وأظهروا الاباحات : وقالوا بالتناسخ ، وزعموا أن الايمان سبع درجات . كما زعموا أن الالهية نور فى النبوة ، والنبوة نور فى الامامة ولا يخلو العالم من هـذه الآثار والأنوار ( ٣ ) ، فأدخلوا بذلك نظرية « النور » الشرقية القديمة فى التناسخ ، تلك التى فصـل النوبختى ملامحهـا عندهم ، وهى تماثل كل

---

(١) انظر برنارد لويس ، أصـول الاسماعيلية ص ٣١ من الأصـل الانجليزى و ص ٩٦ من الترجمة العربية .

(٢) فرق الشيعة ص ٦٩ ، وكذلك كتاب المقالات والفرق ص ٨٢ .

(٣) معرفة الرجال للكشى ص ١٨٩ .

(٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ج ١ ص ٣٨١ .

المماثلة ماورد فى كتابات الاسماعيلية المتأخرة (١) . وكان رؤساء الخطابية قد لزموا المسجد بالكوفة وأظهروا التعبد ودعوا الناس سرا الى مذهبهم فبلغ خبرهم عيسى بن موسى عامل الكوفة فى عهد أبى جعفر المنصور ، فبعث رجلا من أصحابه اليهم فقتل منهم فى المسجد سبعين رجلا ، وأسر أبو الخطاب فأخذه عيسى بن موسى وضرب عنقه وصلبه سنة ١٣٨ (٢) .

وبعد موت أبى الخطاب تحولت فرقة من الخطابية الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وعدوه الامام وأعلنوا ولاءهم له ، « فكانت فرقة الاسماعيلية هى الخطابية نفسها (٣) » أو بمعنى أصح نشأت الاسماعيلية من الخطابية ، ويقول القمى : « أما الاسماعيلية الخالصة فهم الخطابية (٤) » . ويعنى الشهرستانى (٥) بدراسة الفرق التى تفرعت عن الخطابية بعد موت أبى الخطاب ويحصرها فى أربع فرق هى : المعمرية ، البزيغية ، العميرية ، المفضلية . وليس هناك خلاف حقيقى من حيث العقيدة بين هذه الفرق ، وانما الخلاف بينها قائم فى الرؤساء الذين تولوا قيادتها .

ورغم أن كتاب المقالات من أهل السنة لا يشيرون فى كتاباتهم الى وجود صلة مباشرة بين الخطابية والاسماعيلية ، الا أن ما أوردوه من عقائد الخطابية يؤيد ما ذهب اليه النوبختى من وحدة الحركتين . فالأشعرى (٦)

---

(١) برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ص ٣٣ من الأصل الانجليزى و ٩٩ من الترجمة العربية .

(٢) الكشى ص ١٨٩ .

(٣) أيضا .

(٤) المقالات والفرق ص ٨١ .

(٥) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٣٨٢ — ٣٨٥ ، وانظر أيضا البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ٢٤٢ .

(٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩ .

ينسب للخطابيــة عقيــدة الامام الصــامت والنــاطق ( ١ ) وهى عقيدة اختصت بها الاسماعيلية . كذلك ينسب ابن حزم (٢) والشهرستانى (٣) الى الخطابية أسلوب التأويل الاسماعيلى لآيات القرآن الكريم. وواضح أن كلا من عطا ملك الجوينى (٤) ورشيد الدين فضل الله ( ٥ ) يدركان الصلة بين اتبــاع أبى الخطــاب والاسماعيلية . كل هــذه الشــواهد المستمدة من التشابه بين العقائد المذهبية لكل من الخطابيــة والاسماعيلية ، والقرائن المستمدة من كتابات المؤرخين تدلنا دلالــة واضحة على وجود علاقــة بين الخطابية والاسماعيلية (٦) .

وهناك بعض روايات أوردها الكشي فى كتابه « معرفة الرجال » تشير الى وجود علاقة وثيقة بين الخطابية واسماعيل بن جعفر ، وهى العلاقة التى استنكرها جعفر وقلق على ابنه من أجلها لأنها ستجره حتما ، بسبب انسياقه وراء آراء أبى الخطاب المتطرفة ، الى القتل على يد العباسيين . وهــذه هى عبارة الكشى : « قال جعفر للمفضل بن عمر ( الجعفى وهو من الخطابية ) : يا كافر يا مشرك مالك ولابنى ( ٧ ) ؟ » ثم قال: «ما تريد الى ابنى ؟ أتريد أن تقتله (٨) ؟ » . ويرى برنارد لويس فى كتابه « أصــول الاسماعيلية » استنادا الى روايات الكشى ، أن اسماعيل كان على صلة

---

(١) سنناقش فكرة الناطق ( النبى ) والصــامت ( الامام ) فيما بعــد عند الكلام على عقائد الاسماعيلية .

(٢) الفصــل فى الملل والنحل ج ٤ ص ١٨٥ — ١٨٦

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٣٨٠ وما بعدها .

(٤) جها نكشاى ج ٣ ص ١٥٢ وما يقابلها من الترجمة فى القسم الثانى من كتابنا هــذا .

(٥) جامع التواريخ ( الجزء الخاص بالاسماعيلية ) طبع طهران ص ٩ .

(٦) ويرى ماسينون ، أنظر مقاله « القرامطــة » فى دائرة المعــارف الاسلامية ، أن أبا الخطاب من المؤسسين الأول للاسماعيلية .

(٧) معرفة الرجال للكشى ص ٢٠٦ .

(٨) أيضــا ص ٢٠٧ .

وثيقة بالأوساط المتطرفة والثورية التى أوجدت الفرقة المسماة باسمه ( الاسماعيلية ) . وأن خلع جعفر لاسماعيل كان بسبب هذه الصلة ( ١ ) . غير أن لويس يقول بأن أبا الخطاب واسماعيل قد أنشآ متعاونين نظام عقيدة صارت أساسا للمذهب الاسماعيلى (٢) . وهو بهذا يحمل روايات الكشى ، التى اعتمد عليها فى اصدار هذا الحكم ، فوق ما تحتمل .

ويقسم النوبختى ( ٣ ) ، ويتبعه القمى ( ٤ ) ، من قال بامامة اسماعيل بعد وفاة أبيه جعفر الصادق الى فرقتين :

١ — فرقة زعمت أن الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل ، وأنكرت موت اسماعيل فى حياة أبيه ، وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس لأنه خاف فغيبه عنهم ، وزعموا أن اسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه القائم . وهذه الفرقة هم الاسماعيلية الخالصة .

٢ — فرقة زعمت أن الامام بعد جعفر هو محمد بن اسماعيل ، وقالوا ان الأمر كان لاسماعيل فى حياة أبيه فلما توفى قبل أبيه جعل جعفر الصادق الأمر لمحمد بن اسماعيل وكان الحق له ، ولايجوز غير ذلك لأن الامامة لاتنتقل من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين ولاتكون الا فى الاعقاب . وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركية برئيس لهم يقال له المبارك مولى اسماعيل بن جعفر ( ٥ ) .

ويبدو أن المباركية قد ضمت أتباع أبى الخطاب ثم تحولت بعد أبى الخطاب الى محمد بن اسماعيل .

---

(١) برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ص ١١١ من الترجمة العربية .

(٢) برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ١١٠ من الترجمة العربية .

(٣) فرق الشيعة ص ٦٧ — ٧٦ .

(٤) المقالات والفرق ص ٨٠ — ٨٦ .

(٥) يرى نظام الملك خطأ فى سياستنامه ( ص ١٨٣ طبع شفر ) أن المبارك وقرمطويه شخص واحد .

وقد افترق المباركية عدة فرق منها فرقة « القرامطـــة » سميت بذلك لرئيس لهم من أهل السواد من الأنباط كان يلقب « قرمطويه » ، وهؤلاء خالفوا المباركية بعد أن كانوا على مقالتهم فقالوا : يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم سبعة ائمة : على وهو امام ، والحسن ، والحسين ، وعلى ابن الحسين ، ومحمد بن على ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو القائم المهدى وهو رسول (١). وهؤلاء رسل أئمة. أما هو فيعد لديهم خاتم النبيين ، وزعموا أنــه لم يمت وأنه غائب مستتر . وللعـــدد « سبعة » عندهم أهمية بالغة . وقالوا بالتأويل فزعموا أن معنى الجنـــة هو الاباحة للمحـــارم ، واستحلوا قتل المخالفين وسفك دمائهم وأخـذ أموالهم .

وبهذا نرى أن المباركية ضمت اليها قسما كبيرا من الخطابية ، بعـــد أن أقتبست عقائدهم بشىء من التحوير ، والتفت جول محمد بن اسماعيل فنشـــأت منها الدعوة الاسماعيلية الموجدة التى تمخضت عنها التطورات العظيمـــة ذات القيمة التاريخيـــة الهامـــة ( ٢ ) . كما نرى أن الحركـــة الاسماعيلية ما هى الا استمرار لحركات الغلو فى التشيع .

* * *

(١) « ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد » ( المقالات والفرق للأشعرى القمى ص ٨٤ ) .

(٢) أنظر برنارد لويس فى « أصول الاسماعيلية » ص ١١٤ من الأصل الانجليزى و١١٦ من الترجمة العربية . ولويس ماسينيون فى مقاله « القرامطة » فى دائرة المعـــارف الاســـلامية ، وبراون فى تاريـــخ الأدب فى ايران الجزء الثـــانى ، ترجمة المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربى ص ٢٤١ .

# الفصل الثانى

## عقـــائد الاسماعيليـــة

لقـد كان تزعم الاسماعيلية لحركة الغلو ذا أثر كبير فى معتقداتها التى تمثل تطرفا شديدا أثار تأفف الفرق الأخرى واستنكارها . حقيقة ان عقائد الفرق الشيعية الغالية قد أثرت فى عقائد الاسماعيلية تأثيرا لا يمكن انكاره ، غير أن نشـأة العقائد الاسماعيلية ، وتطورها فى مراحله الأولى ، قـد صـادفت ظاهرة لا تقل أثرا من حيث تشكيل هـذه العقائد وتأصيلها فى وعاء فلسفى ، ونعنى بها اليقظة الفكرية التى بدأت لدى قيـام الدولـة العباسية فى عصر أبى جعفر المنصور ( ١٣٦ – ١٥٨ ) . ولقد كانت هـذه اليقظة نفسها اثرا من آثار حركة النقل من الفارسية والسنسكريتية والسريانية واليونانية الى العربية ( ١ ) . فلم يكد القرن الثانى الهجرى يوشـك على الانتهاء حتى تم للعالم الاسـلامى الوقوف على أهم كتب أرسطو الفلسفية وعلى نخبة من كتب الشروح لأهل الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وعلى جملة من كتب جالينوس الطبية وطائفة من الكتب العلمية الفارسية والهندية . ولقد بلغ التأثير اليونانى أمده فى عصر المـأمون ( ١٩٨ – ٢١٨هـ ) لمـا كان يبديه من نزعة عقلية وصلت الى القول بمـا قـال به المعتزلة من وجوب التوفيق بين أحكام الشريعة وبين أحكام العقل ( ٢ ) .

ويذهب البعض الى القول بأن من أقوى المؤثرات التى ساعدت على تطور الأفكار الاسلامية عامـة مـا أتى عن طريق الفلسفة الأفلاطونيـة

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٢) ص ٣٤٣ .

الحديثـة (١) . ولقد أثرت نظرية الفيض الأفلاطونيـة (٢) فى العقائد الاسماعيلية أيما تأثير ، فنظام الأدوار النبوية ما هو الا صورة تاريخيـة منعكسـة لنظريـة الفيض الكونى التى وضحتها هـذه الفلسفة (٣) . فالاسماعيلية يعتقدون أنه قد مرت على النبوة ستة أدوار عظمى هى أدوار آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد . ولقد بدأ الدور السابع بظهور محمد بن اسماعيل وهو القائم أو صـاحب الزمان وتظهر على يديه العقيدة الباطنية لأول مرة ، ومن ثم يكون الفهم الواقعى للشريعة . وكل واحـد من هؤلاء الأنبياء ( النطقاء ) لابد له من صـاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته الى أن يبلـغ شريعته الى غيره يكون شـأنه مه كشـأنه هو مع نبيه الذى اتبعه وهكذا الى أن يأتى على تلك الشريعة سبعة أشخاص يقال لهم الصامتون لثباتهم على الشريعة اقتفوا فيها أثر واحـد هو أولهم ، وسمى الأول الأساس أو السوس ( أى الجذر ) . وفيما يلى أسماء الأنبياء الناطقين وأساس كل واحد منهم (٤) :

| الناطـق | **الأساس** ( أو الصامت الأول أو الامام الأول من الصوامت وهم الأئمة السبعة ) . |
| --- | --- |
| ١ — آدم | شيث (لكل صامت أو امام اثناعشر حجة أونقيبا) (٥) . |
| ٢ — نوح | سـام |
| ٣ — ابراهيم | اسماعيل |
| ٤ — موسى | هارون |
| ٥ — عيسى | شمعون بطرس |

---

(١) جولد زيهر ، العقيدة والشريعة ص ٢١٣ .

(٢) تلك الفكرة التى تبناهـا الصوفية ، والتى تعد أساسـا للفلسفة الدينية لجماعة اخوان الصفا الاسماعيلية .

(٣) جولد زيهر ، العقيدة والشريعة ص ١٣ .

(٤) براون : تاريخ الأدب فى ايران ، ج ١ ص ٤٠٨ — ٤٠٩ من الأصل الانجليزى ، ٥٩٦ — ٥٩٧ من الترجمة الفارسية .

(٥) انظر الشهرستانى فى الملل والنحل ج ١ ص ٤٢٥ .

٦ — محمد بن عبد الله — على بن أبى طالب وأعقابه الحسن والحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل

٧ — محمد بن اسماعيل — عبد الله بن ميمون القداح وابناه أحمد ومحمود وحفيده سعيد الذى عرف فيما بعد بعبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب ( وقد ادعى أنه حفيد محمد ابن اسماعيل ) .

وهكذا نرى أن محور المذهب يقوم على العدد سبعة . اما مادون ذلك فيقوم على العدد اثنى عشر . وهم يستدلون على ذلك بأمور منها أن الله تعالى خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة ، وجعل أيضا السماوات سبعا والأرض سبعا ، والبروج اثنى عشر ، والشهور اثنى عشر ، ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر ، وفى ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة ، اشارة الى حجج الامام القائم الأثنى عشر .

ويزعم الاسماعيلية ان الفاصلة بين الله والانسان خمسة أصول أو نشآت ويسمونها مراتب الوجود ( وهى العقل الكلى ، النفس الكلية ، الهيولى ، الملأ أو المكان ، الخلأ أو الزمان ) اذا أضيف اليها « الله » و « الانسان » تكونت منهم أجمعين طبقات الوجود السبع .

ولا يستطيع الانسان معتمدا على نفسه ومن غير تأييد الهى أن يصل الى الحقيقة بل هو فى حاجة دائمة الى التعليم ، وينبغى على المرء أن يتلقى تعليمه من العقل الكلي ، فمن وقت لآخر يظهر رسول أو ناطق يمثل العقل الكلى ، فيتولى التعليم على نحو اتم واكمل ممن سبقه تمشيا مع التطور والتكامل فى فهم البشر للحقائق الروحية الموجبة للرشاد .

وقد كان الاسماعيلية يعتمدون فى نشر العقائد وغيرها على تنظيم رائع للدعوة يضم دعاة مهرة على مراتب متفاوتة . ولم تكن عقائدهم تلقن للمستجيب دفعة واحدة ، انما كان يتلقاها على درجات كل واحدة منها مترتبة على السابقة . ويتحكم العدد سبعة أيضا فى هذه الدرجات ، فقد

كانت مراتب الدعوة فى البداية سبع درجات ثم زيدت الى تبع ، ربما لكى تطابق كراسى الفلك التسعة ، وهى عبارة عن السبعة السيارة ، وفلك الثوابت والفلك الأعلى ( ١ ) وقد أورد هذه الدرجات مفصلة النويرى ( متوفى سنة ٧٣٢ ) فى كتابه نهاية الأرب ، والمقريزى ( متوفى سنة ٨٤٥ ) فى كتابه الخطط . . وسنعتمد فى تقديم مختصر لهذه المراحل على كل من النويرى والدوادارى والمقريزى مستفيدين بالاضافات والتعليقات التى أوردها براون فى الجزء الأول من كتاب تاريخ الأدب فى ايران مستندا الى ما كتبه كل من دى ساسى وكازانوفا فى الموضوع ( ٢ ) :

**الدرجة الأولى :** يسأل الداعى من يدعوه الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ، موهما اياه أن الدين أمر مكتوم وأن أكثر الناس به جاهلون ، فهو صعب مستصعب وعلم خفى غامض . ويسأل الداعى المستجيب ، بغية اثارة حب استطلاعه ، : « ما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب » ، « ما سبعة أبواب النار وما ثمانية أبواب الجنة » ، ولم جعلت السماوات سبعا والأرضين سبعا والمثانى من القرآن سبع آيات ؟ » ، « وما معنى قول الفلاسفة : الانسان عالم صغير والعالم

(١) ص ٥٩٨ من الترجمة الفارسية Browne, A Lit. Hist. of Persia Vol. 1 p. 410.

(١) ويبدو أن النويرى فى نهاية الأرب والمقريزى فى الخطط ينقلان عن الشريف أخى محسن ، ولازال كتاب الشريف فى النقيض على الباطنية مفقوداً ، ونجد تفصيلات ليست موجودة لدى النويرى والمقريزى فى كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر » لابن أيبك الدوادارى المتوفى فى القرن الثامن الهجرى ، ويبدو أنه كان معاصرا للنويرى ، وقد نال نص النويرى عناية كبيرة من جانب المستشرقين فقد ترجمه دى ساسى الى الفرنسية فى كتابه Exposé de la religion des Druzes, Paris 1828, Vol. 1 p. IXXIV — CXIVII..

كما ترجم النص برمته مرة آخرى الى الفرنسية كازانوفا فى كتابه : La Doctrine Secrete des Fatmid d'Egypte. Le Caire, 1920-1921 pp. 9—43.

( الطبيعـــة ) انســـان كبير » . « وما معنى الم ( ١ ) ، والمص ( ٢ )، وكهيعص ( ٣ ) » . ثم يقول الداعى لمن حوله : فكروا أولا فى أنفسكم ، أين أرواحكم ؟ وكيف صورها ؟ وأين مستقرها ؟ وما أول أمرها ... الا تتفكرون فى حالكم وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وأنه فعل جميـــع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية . فاذا علم الداعى ( ٤ ) أن نفس المستجيب قد تعلقت بما ســـأله عنه وطلب منـــه الجواب عنها أمهله مـــدة ليستيقن أن المحاولة قـــد أثرت فى نفســـه ، ثم يأخـــذ عليه العهد بألا يفشى لهم سرا ولا يظـــاهر عليهم أحـــدا ولا يطلب لهم غيلـــة ولا يكتمهم نصحا ولا يوالى لهم عدوا ( ٥ ) » .

**الدرجة الثانية** : يتعلم المستجيب فيها أن فرائض الاســـلام لا تؤدى الى مرضـــاة الله الا اذا كـــانت عن طريق أئمة نصبهم للنـــاس وأقامهم لحفظ شريعته .

**الدرجة الثالثة** : وفيها يتقرر عند المستجيب أن الأئمة سبعة ، ويلقن معنى العـــدد سبعة فى عالم المـــادة والمعنى . فاذا تقرر عند المستجيب أن الأئمة سبعة انحل عن معتقد الامامية الأثنا عشرية واعتقد أن أئمتهم الستة بعد جعفر الصـــادق ، قد فقـــدوا العلوم الروحية فى حين أن محمد بن اسماعيل عنـــده علم المستورات وبواطن المعلومات وعلم التـــأويل وتفسير ظـــاهر الأمور .

---

(١) تبـــدأ بعض الســـور فى القرآن الكريم بكلمـــة الم مثـــل البقرة ، وآل عمران .

(٢) يشير الى أول سورة الأعراف .

(٣) يشير الى أول سورة مريم .

(٤) وهم يسمون الداعى الذى يتولى هذه الدرجة « الداعى المكاسر » اى الذى يكسر عقائد المستجيبين ويشككهم فيها .

(٥) نجـــد صورة كاملة للعهد الذى يأخذه الداعى على المستجيب فى كل من نهاية الأرب للنويرى ج ٢٣ ورقة ٥٨ ، وكنز الدرر وجامع الغرر ج ٦ ورقة ٦٧ ، والخطط للمقريزى ج ٢ ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .

**الدرجة الرابعة :** لا يشرع الداعى فى تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم ، فاذا تيقن منه صحة الانقياد ، قرر عنــده المبدأ المتعــلق بأدوار النبوة السبعة وكيفية الناطق والسوس والصوامت الستة ، ويقرر عنده أن الســابع من النطقــاء ( الأنبياء ) هو صــاحب الزمان وهو محمد ابن اسماعيل. يقول النويرى : « فهذه درجــة قررها الداعى عند المدعو بنبوة نبى بعد محمد صــلى الله عليه وســلم وسهل بها طريق النقل عن شريعته ... فدخل المدعو بذلك فى جملة الكفار والمرتدين ( ١ ) » . وبظهور محمد بن اسماعيل الناطق الأخير والقائم أى صــاحب الأمر تنتهى علوم الأولين وتبدأ العقيدة الباطنية وعلم التأويل ( ٢ ) .

**الدرجة الخامسة :** يتلقن فيهــا المستجيب المزيد من التعليمات فيما يتعلق بعلم الأعــداد والتأويل على نحو يجعله يرفض الكثير من الأحاديث النبوية فيفقد الأهتمام تدريجيا بمنطوق كلام الله ، الى أن يصــل فى النهايــة الى رفض كافة تعاليم الاســلام . كذلك يتقرر لديه أنه لابد أن يكون مــع كل امام فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الأرض وعدتهم اثنا عشر رجلا ، وترمز اليهم الخرزات الاثنتا عشرة الموجودة فى ظهر الانسان ، بينما ترمز خرزات العنق السبعة الى الأنبياء النطقاء السبعة والائمة السبعة الذين يتبعون كل رســول .

**الدرجة السادسة :** يتعلم المستجيب فى هــذه الدرجــة التــأويل والمعنى المجازى لشرائــع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض ، ويبين له الداعى أن هــذه الأشياء وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معان اخر غير مايدل عليه الظاهر. فيضعف اعتقاده فى الدين وأركانه . ثم ينقله الى الكلام فى الفلسفة ويحضــه على النظر فى كلام فلاسفة اليونان ، ويرى الاقتداء بالأدلة العقلية والفلسفية والتعويل عليهــا .

---

(١) نهاية الأرب ج ٢٣ ورقة ٥٩ .

(٢) Browne, A Litrary History of Persia, Vol. 1, p 414.
و ص ٦٠٣ من الترجمة الفارسية .

**الدرجة السابعة :** لم يصل الى هذه المرتبة الا كبار الدعاة . وفيها تظهر العقيدة الثنائية حيث يلقن المستجيب أنه لابد للمفيد أى السابق من مستفيد أى التالى واللاحق وتؤدى هذه العقيدة بالمستجيب الى العدول عن التوحيد ( ١ ) .

**الدرجة الثامنة :** وفيها تتبلور العقيدة التى لقنت للمستجيب فى المرحلة السابقة فيتقرر لديه أنه فوق المفيد والمستفيد أو السابق واللاحق وجودا لا اسم له ولا صفة . ولا ينبغى لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده ( ٢ ) . ثم يقرر عنده أن الأنبياء الناطقين لا يأتون بمعجزات ودلالات خارقة انما يأتون بأمور تنتظم بها السياسة ووجوه الحكم وترتب بها الفلسفة . ثم يشرح له أمر القيامة وحصول الجزاء من الثواب والعقاب « على أمور ليست مما يعتقده الموحدون فى شىء » .

**الدرجة التاسعة :** وهى المرحلة الأخيرة فى التعليمات المذهبية لدى الاسماعيلية ، حيث لا وجود لعقائد قطعية أو فرائض لازمة ، أو بمعنى آخر لا وجود لعلم اليقين ( ٣ ) . وحيث تندرس آثار الدين وعلاماته ، فيحال المستجيب حينئذ على طلب الأمور وتحقيقها وحدودها والاستدلال

---

(١) أنظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٧ .

(٢) ويطلق أتباع زردشت على هذا الوجود اسم « زروان اكرانه » أى الزمان غير المحدود ، ويشك براون فى أن يكون مذهب زردشت هو أصل هذه العقيدة الاسماعيلية ، ويحبذ الأخذ بقول النويرى فى أن الاسماعيلية ثنوية مادية . ( أنظر براون المصدر المذكور ص ٤١٤ من الأصل الانجليزى ، ص ٦٠٤ من الترجمة الفارسية ) غير ان النويرى يرى فى موضع آخر ( ج ٢٣ ورقة ٦٤ ) أن هناك تشابها بين الأسباب التى ترتبت عليها هذه العقيدة وبين ما يقوله المجوس ، ويعنى بهم الزرادشة ، فى توليد أهرمن ( الشيطان ) من فكرة عرضت للسابق .

(٣) ص ٦٠٤ من الترجمة الفارسية A Lit. Hist. of Persia, Vol. 1, p. 414.

عليها من طرق المتفلسفة وأدراكها من كتبهم ، ويصبح حرا فى اختيار طريقه « فربما صار البالغ فى النظر فى هذا الى اعتقاد مذهب مانى وابن ديصان،وربما الى مذهب المجوس،وربما دان بما يحكى عن أرسطاطاليس، وربما صار الى أمور تحكى عن أفلاطون وربما اختار من تلك معانيا مركبة من هذه الأمور كما يجرى كثير من هؤلاء المتحيرين ( ١ ) » .

جملة القول فى عقائد الاسماعيلية أنها تكون مذهبا فلسفيا باطنيا ، استخدموا فيه الدين لخدمة الفلسفة واخضعوا أحكام الشرع لها . ويرى معظم المستشرقين أن الحركة الاسماعيلية لم تكن فى صميمها سوى حركة اتبعت أسلوب التوفيق بين الآراء المعارضة للحالة التى وصل اليها العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ( ٢ ) . فلقد كان من أول غايات الاسماعيلية التجديد . ويقول ماسينيون فى وصف هذه الحركة بأنها : « نظام اتخذ صفة الحركة الاصلاحية للأوضاع الاجتماعية السائدة فى العالم الاسلامى فى القرن التاسع ( الميلادى ، الثالث الهجرى ) . لقد كانت هذه الحركة تهدف الى اخضاع النظم القائمة والشرائع والعقائد للعقل ، واخضاع العلاقات الاجتماعية لمبدأ المساواة ( ٣ ) » .

واذا كان المرحوم الدكتور محمد كامل حسين يرى وجوب تطبيق منهج التطور التاريخى فى دراسة العقائد الاسماعيلية ( ٤ ) فان ايفانوف ( ٥ )

---

(١) نهاية الأرب ج ٢٣ ورقة ٦٥ ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(٢) The Syncretic Origins of The Fatimid Da'wa by P.J. Vatikiotis, Islamic Culture, Oct. 1954, pp. 475, — 491

(٣) Esquisse d'une Bibliographie Qarmath, Browne presentation Volume 1922. نقلا عن المرجع السابق .

(٤) فى مقدمته على كتاب « سيرة الأستاذ جودر » ص ١٧ .

(٥) Brief Survey of the Evaluation of Ismailism, by Ivanow · p. 29.

يقترح تقسيم مراحل تطور هـذه العقائد الى ثلاث مراحل :

١ ـ المرحلة المبكرة منذ تأسيس الدعوة حتى قيام الفاطميين بالمغرب سنة ٢٩٧ .

٢ ـ المرحلة الفاطمية منذ سنة ٢٩٧ حتى بداية القرن السادس .

٣ ـ فترة ألموت ( عاصمة دولة الاسماعيلية فى ايران ) وتبدأ منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع .

وتعتبر المرحلة الأولى ، فى نظرنا ، مرحلة غلو وتطرف فى هـذه العقائد ، بقدر ما تعتبر المرحلة الثانية مرحلة اعتدال وتوسط ، الا أن المرحلة الأخيرة فى الموت تمثل فى غالب الأحيان ارتدادا الى الغلو والتطرف فى العقائد الاسماعيلية ، فرغم أن عقائد الأولين منهم قد حظيت على يد الفاطميين بشىء من التغيير والتبديل بغية وضعها موضع الاعتدال الا أننا نشاهد هـذه العقائد المتطرفة تعيش ـ كما سنرى ـ الى ما بعد انتهاء العصر الفاطمى وتؤثر تأثيرا كبيرا فى اسماعيلية ايران . فالعقيدة الاسماعيلية المتطرفة التى قالت بأن محمد بن اسماعيل نبى مرسل ، مثله فى ذلك مثل محمد بن عبد الله ( ص ) لم تلبث أن تراجعت بفضل الفاطميين على نحو معتدل جعل محمد بن اسماعيل مجرد امام كغيره من الأئمة يجرى عليه ما يجرى على غيره من البشر من موت وحياة ( ١ ) . ولكنهم يسمونه ، كما يسمون غيره من أئمتهم ، صاحب التأويل ، ويليه أئمة آخرون بحيث يستغرق تسلسلهم الخلفاء الفاطميين . ولكن هـذا لا يعنى أن الفاطميين سلبوا أئمة الاسماعيلية كل صفة قدسية كانوا يتمتعون بها قبل قيام الدولة الفاطمية بل انهم وضعوهم فى مرتبة تعلو على مرتبة غيرهم من البشر ، فجعلوا المخلوقات قسمين قسم ظاهر للعيان وقسم باطن خفى ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسموا الباطن ممثولا والظاهر

(١) سيرة الأستاذ جوذر .

مثلا ، وعلم الباطن وقف على الأئمة من أهل البيت دون غيرهم من سائر المسلمين ( ١ ) .

والاسماعيلية ، فى معرض تقديسهم لأئمتهم ، لايذهبون الى القول بالرأى كالمعتزلة ولا بالقياس كأهل السنة ، بل يرفضون الأخذ بهما ، ويقولون بوجوب الرجوع الى الامام المعصوم والى علوم أهل البيت التى خصهم بها الله تعالى دون سائر البشر . هذه عقيدة الفاطميين فى الأئمة ، بشر ولكنهم معصومون ، أصحاب التأويل وأصحاب العلوم اللدنية .

كذلك كان للفاطميين الفضل فى رد عقيدة الغيبة ، التى كانت تعتبر من الأصول الأيمانية لدى الاسماعيلية الى الاعتدال . فقد كانوا ، قبل ظهور عبيد الله المهدى أول الخلفاء الفاطميين ، يعتقدون أن محمد بن اسماعيل لم يمت وسيرجع ( ٢ ) . قال الفاطميون بتسلسل الأئمة من بعد محمد بن اسماعيل حتى عبيد الله المهدى وأطلقوا على الفترة بينهما « دور الستر » ويبدأ « دور الظهور » بعبيد الله هذا ، لأنه لا يصح أن تخلو الأرض من امام اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور . ولقد أقام الاسماعيلية فى ايران عقيدتهم المشهورة المسماة « بالتعليمية » فى عصر الحسن بن الصباح على هذا الأساس الذى وضعه الفاطميون ( ٣ ) وتقضى هذه العقيدة بضرورة وجود امام فى كل زمان يتلقى عنه الناس أحكام الشرع ويتعلمون منه أمور دينهم .

* * *

(١) انظر « نظرية المثل والمثول وأثرها فى شعر مصر الفاطمية » للدكتور محمد كامل حسين و « ديوان داعى الدعاة » ص ١٠٦ — ١٠٨ و « أدب مصر الفاطمية » ص ٢٧ وما بعدها . وهو يرجع هذه النظرية الى الأفلاطونية الحديثة بل يرجع عقيدة التأويل برمتها الى أصول فلسفية نادى بها بعض فلاسفة الاسكندرية . ولقد ظلت هذه العقيدة سائدة فى ايران ، كما سنرى فيما بعد ، حتى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، أى بعد قيام الدولة الفاطمية فى المغرب بما يربى على نصف قرن .

(٢) تاريخ جها نكشاى للجوينى ج ٣ ص ١٥٠ وما يقابلها من الترجمة .

(٣) انظر جهانكشاى للجوينى ج ٣ ص ١٩٦ وما بعدها وما يقابلها من الترجمة .

# الفصل الثالث

## مراتب الدعوة الاسماعيلية فى عهد الفاطميين

أنشأ الاسماعيلية تنظيما محكما للدعاة تجلت ملامحه فى عصر الدولة الفاطمية ، بينما يحيط الغموض الشديد بتنظيم الدعوة ومراتبها فى الفترة السابقة على قيام الفاطميين الأمر الذي يجعلنا نقصر حديثنا فى هذا الفصل على مراتب الدعوة عند الفاطميين .

يقول المقريزى : « وظيفة داعى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية ( ١ ) » ، وهذا يدل على مدى اهتمام الفاطميين بالدعوة والاحتفاء برجالها ، ولا غرو فقد كانت الدعوة هى السبب فى انتشار مذهبهم فى ربوع البلاد الاسلامية من الهند حتى بلاد المغرب ومن جنوب بحر قزوين فى الشمال حتى اليمن فى الجنوب ، كما كانت السبب فى قيام الحركات السياسية المناوئة للعباسيين وغيرهم ممن يعتنقون مذهبا يخالف مذهب الاسماعيلية ، وكانت الدعوة أيضا هى السبب فى قيام دولة ذات نظام سياسى فريد فى المناطق الواقعة جنوب بحر قزوين ونعنى بها « دولة الاسماعيلية فى ايران » . لذلك عنى الاسماعيلية بالدعوة عناية كبيرة واولوها من الاهتمام حقها ، وتفقهوا فيها حتى وضعوا عنها الكتب الكثيرة فصارت علما من العلوم المدونة ، له أصوله وقواعده ( ٢ ) .

ورغم الجهود القيمة التى بذلت منذ بداية هذا القرن لاستخراج المخطوطات الاسماعيلية من بطون المكتبات واخراج بعضها مطبوعا ، الأمر

---

(١) الخطط ج ١ ص ٢٢٧ .

(٢) أيضا ، ج ٢ ص ٢٣٤ .

الذى أدى الى معرفة الكثير من معتقداتهم وآرائهم ، الا أن العمل الذى كان يعهد به لكل مرتبة من مراتب الدعوة لايزال من أعوص الأسرار وأخفاها، غير أننا نجد الداعى حميد الدين الكرمانى ( توفى بعد سنة ٤١١هـ ) يبين لنا فى كتابه « راحة العقل ( ١ ) » مراتب الدعوة على نحو ينتظم كافة المتصلين بها من الناطق ( النبى ) حتى المستجيب ، وهذه هى :

١ — الناطق — وله رتبة التنزيل .

٢ — الأساس — وله رتبة التأويل .

٣ — الامام — وله رتبة الأمر والسياسة للأمة التى هو بعض منها .

٤ — الباب ( داعى الدعاة ) — وله رتبة فصل الخطاب ( ٢ ) .

٥ — الحجة — وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .

٦ — داعى البلاغ — وله رتبة البلاغ وتعريف المعاد .

٧ — الداعى المطلق — وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية .

٨ — الداعى المحدود — وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة .

٩ — المأذون المطلق — وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

١٠ — المأذون المحدود — وهو المكاسر وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة .

---

(١) نشرته الجمعية الاسماعيلية ببومباى ، وقام بتحقيقه والتقديم له الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمى ، وطبع بالقاهرة سنة ١٩٥٢ ، أنظر ص ١٣٠ — ١٣٨ .

(٢) انشئت هذه الرتبة فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى ، أنظر الباب السابع عشر من كتاب زهر المعانى للداعى ادريس وقد نشره ايفانوف فى كتابه The Rise of the Fatimid ص ٥٤ .

فلقد كان داعى الدعاة على رأس التنظيم الخاص بالدعوة ( ١ ) ، وهو يشبه الى حد كبير ما سمى فى العصر الحديث « بوزير الدعاية » ، اذ كان يتولى الاشراف على كل ما يختص بالدعوة وعقد مجالسها بالقصر أو دار العلم ، ويقول القلقشندى بأن داعى الدعاة كان يلى قاضى القضاة فى المرتبة ويتزيى بزيه فى اللباس وغيره ( ٢ ) .

غير أنه من الملاحظ أن لكل من قاضى القضاة وداعى الدعاة عملا مستقلا يختلف تمام الاختلاف عن عمل الآخر ، ثم ان مرتبة داعى الدعاة مرتبة روحية ، وهو يعد أحد دعائم العقيدة الاسماعيلية ( ٣ ) . كما أنه يلى مرتبة الامام مباشرة كما نشاهد فى تنظيم الكرمانى لمراتب الدعوة .

كان داعى الدعاة اذن على قمة التنظيم ، ويعمل تحت رئاسته المباشرة اثنا عشر حجة وهم متفرقون فى « جزائر » الأرض كل منهم مختص باقليم محدد ، فقد أعتقد الاسماعيلية أن الأرض مقسمة الى اثنى عشر قسما على مثال الاثنى عشر شهرا من شهور السنة وسموا كل قسم من هذه الأقسام « الجزيرة » ولا يقصد بها الجزيرة بمعناها اللفظى ، انما يقصد بها « جزء » أو قسم من الناس ، كجزيرة الترك وجزيرة الزنوج .. الخ . وهذا التقسيم لا يستند فى الواقع الى اعتبارات جغرافية أو جنسية أو لغوية ، فهناك اختلاف كبير بين المؤلفات الاسماعيلية فى تحديد هذه

---

(١) فالامام لا يدخل فى تنظيم الدعوة ، لأن هذا ليس واجبه الأساسى ، ورغم ذلك فهو سيد الدعوة بحيث لا تقوم الا به ( انظر Ivanow, Brief Survay of the Evaluation of Ismailism. p. 65. ويجوز ان يستقبل الامام الدعاة ولقد ترقب الحسن بن الصباح عندما ما كان فى القاهرة ان يستدعى لمقابلة المستنصر .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧ .

(٣) ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ص ٥٧ .

الجزائر ( ١ ) . ويرجح ايفانوف أن هؤلاء الحجج كانوا من الدعـــاة المهرة القدماء الذين كونوا مجلســـا على النطـــاق المركزى ، وكانوا يصـــدرون الأوامر لتنظيم الدعوة مشفوعة بموافقة الامام ( ٢ ) . ولكن رأى ايفانوف فى حاجـــة الى اعـــادة نظر ، اذ المشــــاهد أن الحجج لم يكونوا مقمين فى القاهرة بحيث يستطيعون تكوين مجلس على النطـــاق المركزى بل كانوا موزعين فى جزرهم ، فناصر خسرو مثلا الملقب بحجة خراســـان لم يبق فى القاهرة بل كان ، أثناء قيامه بمهام رتبته ، يدير الدعوة فى خراســـان ؛ كذلك كان المؤيدفىالدين الشيرازى مقيما فى فارس أيام كان حجة لها . وكانت مكانة الحجة فى نفوس الاسماعيليـــة المقيمين فى جزيرته كبيرة للغايـــة ، فكان موضـــع ثقتهم ومحط أسرارهم ، يقول المؤيد الشيرازى فى سيرته وهو يحـــادث الوزير بشـــيراز : « معـلوم ما بينى وبين الديلم ( ٣ ) من الأحوال الممهدة ، والأسباب المؤكدة ، وان احدهم اذا اختصـــم مـــع أهله ليلا فانه يباكرنى شـــاكيا الى وموردا جملة أمره وتفصيله على ( ٤ ) » .

والكرمانى يجعل الدعاة الذين يتلون الحجة مباشرة على ثلاث مراتب متفاوتة : داعى البلاغ ، والداعى المطلق ، والداعى المحـــدود . ولســـنا فى الحقيقة نعرف اختصـــاصات كل واحد من هؤلاء الدعاة وحدوده ، وكل ما نعرفه أنه استطرادا للقـــاعدة الاسماعيلية الســـابقة فى تنظيم الدعوة على شاكلة المشاهدات المحسوسة أى من نظام دورة الفلك ينبغى أن يكون

---

(١) انظر ايفانوف The Rise of the Fatimid. p. 20 N.I. وأدب مصر الفاطمية للدكتور محمد كامل حسين ص ٣٨ ، ٣٩ حاشية ١ .

(٢) الظاهر أنه يعنى بالديلم الاسماعيلية ، وربما كان علما يطلق على الشيعة عامة ، فقد كان البويهيون الشيعة الذين يطلق عليهم المؤرخون اسم الديالمة الكبـــار ، هم حكـــام فارس فى ذلك الوقت . راجع السيرة المؤيدية فى مواضع متفرقة .

(٣) Brief Survay ... p. 65.

(٤) السيرة المؤيدية ص ٩ .

مع الحجة ثلاثون داعيا على مثل أيام الشهر ، وان يكون لكل داع أربعة وعشرون « مأذونا » على عدد ساعات الليل والنهار ( ١ ) .

ويذكر الكرماني طائفتين من « المأذونين » : المأذون المحدود أو المكاسر ، والمأذون المطلق . أما المأذون المكاسر فيبدو أنه هو الذى يتناول المستجيب بادىء ذى بدء بالتشكيك فى عقيدته ومذهبه ويوقع الوهم فى قلبه بأنه على ضلال ، ويثير فى شعوره رغبة فى البحث والتمحيص ويوقظ فى نفسه روح الشك ، ولايزال به حتى يطلب اليه أن يدله على الصواب ولكنه يحاوره ويداوره حتى اذا وثق من اقتناعه بكونه على ضلال أحاله على المأذون المطلق الذى يأخذ عليه العهد والميثاق بألا يفشى لهم سرا ولا يظاهر عليهم أحدا ولا يكتمهم نصحا ( ٢ ) .

وينبغى أن تتوافر فى الداعى ( ٣ ) صفات يمكن تلخيصها فى ثلاثة أشياء ( ٤ ) : العلم والتقوى والسياسة ، قسموا العلم بين الظاهر والباطن، فعلم الظاهر هو علم الفقه والحديث والتاريخ وعلوم القرآن ثم الجدل والكلام ، وعلم الباطن هو المحسوس والمعقول ، أما التقوى فأن يكون الداعى من أهل العلم والعمل بالدين . أما السياسة ( ٥ ) فتكون أولا سياسة الداعى نحو نفسه فيصلحها ويمنعها عن الشهوات والمنهيات ويحملها على اقتناء الفضائل ، وهذه تسمى السياسة الخاصة، وأما

---

(١) ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ص ٥٤ .

(٢) نهاية الأرب ج ٢٣ ورقة ٥٨ ، الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٣) نعنى بالداعى كل من ينتظم فى سلك الدعوة من المأذون المكاسر حتى داعى الدعاة .

(٤) أنظر ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ص ٥٥ حيث ينقل عن تحفة القلوب وفرجة المكروب لحاتم بن ابراهيم الحامدى،ضمن الجزء الثانى من كتاب الأزهار الموجود بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن ( نسخة خطية رقم ٢٥٨٤٩ ) .

(٥) ولقد عثر الشريف أخى محسن على كتاب من كتب الاسماعيلية يعرف بكتاب « السياسة » فيه وصايا الدعوة ، ونقل عنه طرفا من هذه الوصايا ، أنظر نهاية الأرب للنويرى ج ٢٣ ورقة ٦٦ — ٦٧ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

السياسة العامة فهى أن يقوم الداعى بتدبير من هو سائسهم فى اصلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم .. وأن يعرف حقوق من يهاجر اليه .. وأن يقدر أهل العلم ويكون جلوسه معهم .. مع وجوب أن يكون الداعى نسيبا فى قومه فان الشرف بالنسب يجل فى أعين الناس . وربما يمارس الداعى حرفة مثل التجارة أو تطبيب العين أو أمثال ذلك — ويكون هدفه للوهلة الأولى أن يجذب جيرانه تحت تأثير ما يتظاهر به من زهد وتقوى وحب للخير ( ١ ) . وكان الذين يعهد اليهم بالدعوة يتلقون علومهم فى النحو والفلسفة والمنطق والنجوم وأصول الفقه فى « الأزهر » وحينما يبلغون فيه اشدهم العلمى يغادرونه الى « دار الحكمة » حيث تلقى عليهم أصول القيام بمهام شؤون المذهب ، وكان هذا القسم من دار الحكمة يقال له « مائدة الرشد ( ٢ ) » .

ولقد حرص الفاطميون على الا يخلو بلد من دعاتهم فها هو ذا المعز لدين الله الفاطمى يقول فى خطاب له الى الحسن القرمطى : « ومع هذا فما من جزيرة فى الأرض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلون علينا : بتصاريف الألسن وفى كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ( ٣ ) » .

وبرغم الغموض الشديد الذى كان يكتنف الدعوة الاسماعيلية قبل قيام الدولة الفاطمية ، عندما كان الأئمة ودعاتهم يتخذون الستر تقية على أنفسهم خوفا من بطش العباسيين ، فقد تمكن عدد من الباحثين المحدثين بفضل الكشف عن بعض المخطوطات الاسماعيلية أن يعثروا على أسماء بعض الدعاة الذين عاشوا فى تلك الفترة . فمنهم الحسين بن حوشب

---

(١) والترجمة الفارسية ص ٥٩٩ A Litrary History of Persia Vol 1. p. 411.

(٢) الفلك الدوار فى سماء الأئمة الأبرار ص ١٦٥ نقلا عن ديوان المؤيد ص ٧ .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ص ٢٦٠ .

ابن زادان الملقب بمنصور اليمن الذى تولى الدعوة فى اليمن ، ولقد أوفد ابن حوشب تلميذه أبا عبد الله الشيعى داعية الى المغرب ( ١ ) . ومنهم الداعى « فيروز » وكان داعى الدعاة فى عهد المهدى قبل ظهوره بالمغرب ، وكان من أجل النـــاس عند الامام ومن أعظمهم منزلة والدعاة كلهم « أولاده ( ٢ ) » ومن تحت يــده ، وهو باب الأبواب للأئمة ( ٣ ) . ويذكر كتاب « استتار الامام » أسماء مجموعة من الدعاة اجتمعت للبحث عن الامام المستور ، والد عبيد الله المهدى ، وهم أبو غفير وأبو ســلامة وأبو الحسن الترمذى وجياد الخثعمى وأحمد بن الموصلى وأبو محمد الكوفى ( ٤ ) وهؤلاء جميعا لا نعرف عنهم شيئا . وفى دور الظهور ، الذى يبدأ بظهور عبيد الله المهدى فى المغرب ، وصلت الينا أسماء عدد كبير من الدعاة كما وصلت الينا بعض كتبهم ( ٥ ) أما دعـــاة الاسماعيلية فى أيران فسنتحدث عنهم فى الفصـــليين التاليين مباشرة .

---

(١) انظر حواشى القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٣٤٨ — ٣٥١ .

(٢) اصطلاح اسماعيلى ، ويعنى به الاسماعيلية الأبوة الروحية .

(٣) استتار الامام ، نشر بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ج ٢ المجلد الرابع عدد ديسمبر ١٩٣٦ .

(٤) سيرة جعفر الحاجب نشرت بنفس العدد من مجلة كلية الآداب .

(٥) راجع المقدمة التى كتبها المرحوم الدكتور محمد كامل حسين لكتاب المجالس المستنصرية .

# الفصل الرابع

## الدعوة الاسماعيلية فى ايران
## فى الطور المبكـــر

سنقسم بحثنا فى هـذ الفصـــل الى قسمين نقدم فى الأول منهما دعاة الاسماعيلية فى الشمال الغربى لايران حيث بدأت الدعوة فى طور أسبق . ونتبعهم فى القسم الثـانى بدعاة خراســـان وما وراء النهر ( ١ ) . وينبغى بادىء ذى بـــدء أن نشير الى أن الدعوة الاسماعيليـــة بـــدأت كما يقول المسعودى ( ٢ ) فى سنة ٢٦٠ ، وسيكون حديثنا متعلقـــا بالفترة التاليـــة مباشرة لتلك السنة ، وسنلاحظ فيما يلى أن دعاة الاسماعيلية فى ايران قد ابتعدوا فى أثناء الفترة التى سنتحدث عنها فى هـــذا الفصـــل عن المناطق الجنوبية الغربية من ايران كاقليم فارس ، ولم يجعلوها من الأماكن التى يمتد اليها نشاطهم فى الدعوة ، ولعل السبب فى ذلك كما يقول ابن النديم ( ٣ ) ، هو أن دعاة القرامطة فى البحرين كانوا يرسلون الى هذه المناطق بالدعاة فلم تعـــد ثمة حاجة الى بذل جهود أخرى يقوم بها دعاة ايران . ومصدرنا الرئيسى فى هـــذا الفصـــل هو كتاب « سياستنامـــه » الـــذى ألفه الوزير الســـلجوقى نظـــام الملك فى سنة ٤٨٤هـ ( ٤ ) ، ويتضمن نصـــا ذا أهمية بالغـــة عن الدعوة فى تلك الفترة ، تليه مصـــادر أخرى ربما نقل بعضها

---

(١) ونحن فى هذا التقسيم نتابع نظام الملك فى كتابه سياستنامه .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٣٩٥ .

(٣) الفهرست ص ١٨٨ طبع ليبزج .

(٤) سنرجع الى طبعتين من طبعات سياستنامه ، طبعة « شفر » فى باريس سنة ١٨٩٢م وطبعة طهران سنة ١٣٣٤هـ . ش .

عنه ، وربما رجعوا جميعا الى مصدر مشترك ( ١ ) وهى : « الفهرست » لابن النديم ( ألف سنة ٣٧٧هـ ) ، « والفرق بين الفرق » للبغدادى ( ألف فى نهاية القرن الرابع الهجرى ) ، « وجامع التواريخ » لرشيد الدين فضل الله ( ٢ ) ( ألف فى القرن الثامن ) ، « وكنز الدرر » لابن أيبك الدوادارى ( حوالى القرن الثامن ) ، « واتعاظ الحنفا » للمقريزى (٤) ( القرن التاسع ) ( ٥ ) .

وسنهتم فى هذا الفصل بدراسة الظروف التاريخية التى احاطت بكل داع من الدعاة حتى نخرج فى النهاية بصورة متكاملة عن طبيعة الدعوة وتطورها وأهدافها وغاياتها .

---

(١) لا نقصد بعبارتنا هذه كتاب الفهرست ، اذ لا يمكن أن يكون قد نقل عن سياستنامه لأن عصره أسبق ، وهو يشير الى أنه ينقل عن ابن رزام . ويذكر الدوادارى فى كتابه كنز الدرر ( ج ٦ ورقة ٦٦ ) أنه ينقل عن الشريف أخى محسن ، الذى يبدو انه هو المصدر الأصلى للمقريزى فى اتعاظ الحنفا لأن نص الدوادارى مماثل لنص اتعاظ الحنفا وان كان الدوادارى أكثر تفصيلا . أما البغدادى ورشيد الدين فلا يشير كلاهما الى المصدر الذى نقل عنه .

(٢) الجزء الخاص بالاسماعيلية طبع طهران سنة ١٣٣٨ هـ.ش.

(٣) كنز الدرر وجامع الغرر لأبى بكر محمد بن أيبك الدوادارى الجزء السادس ( نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٨ تاريخ ) .

(٤) يعيب النص الخاص بالدعوة فى ايران أنه ناقص وغير واضح فى طبعة الدكتور جمال الدين الشيال لذلك الكتاب ، فلجأنا الى الاطلاع على النسخة المصورة فى جامعة الدول العربية برقم ٦ تاريخ .

(٥) وقد عنى اثنان من المستشرقين بموضوع الدعوة الاسماعيلية فى العصور المبكرة ، فألف فيه ايفانوف كتابه
Studies in Early Persian Ismailism, Lieden, 1948
وكتب سترن Stern مقالا بعنوان The Early Ismail Missionaries in North-West Persian and in Khurasan and Transaxani
والقى محاضرة فى نفس الموضوع بكلية الآداب بجامعة طهران فى مايو ١٩٦١ بعنوان The First Appearance of Ismailism.
وقد ترجمت محاضرته هذه الى اللغة الفارسية ونشرت مع النص الانجليزى بعنوان « اولين ظهور اسماعيليه در ايران » .

## أولا — دعاة الاسماعيلية فى الشمال الغربى لايران

يقول نظــام الملك ( ١ ) ان أول الدعــاة الاسماعيليــة رجل يقال له **خلف** ( ٢ ) أوفده عبد الله بن ميمون القداح قائلا له : « توجــه الى الرى فســائر من فى الرى وآبــة وقم وكاشـــان وولايــة طبرستان ومازندران رافضــة يدعون للشيعة وسوف يستجيبون لدعوتك » . وهــذا يدلنــا دلالة واضحة على أن الدعوة الاسماعيلية ركزت اهتمامها على المنــاطق المصطبغة بالصبغة الشيعية . والحقيقة أن الرى ظلت مركزا سنيا الى أن حولهــا شخص يسمى أحمد بن الحسن المــاردانى الى مركز شيعى سنة ٢٧٥هـ ( ٣ ) . اما قم فيخبرنا ياقوت ( ٤ ) بأن التشيع بدأ فيهــا فى وقت مبكر ( ســنة ٨٣هـ ) ويقول الاصطخرى بأن أهــل قم كلهم شيعة ( ٥ ) . ويذكر القزوينى فى آثار البلاد ( ٦ ) أن آبة أهلها شيعة .

ولقــد أقــام أئمة الشيعة الزيدية المعروفون بالدعاة دولة قويــة فى طبرستان استمرت من سنة ٢٥٠ حتى سنة ٣١٦هـ ( ٧ ) .

---

(١) طبع شفر ١٨٤ — ١٨٧ ، طبعة طهران ( سنة ١٣٣٤ ) ص ٢١٦ — ٢٢٠ .

(٢) « يعرف بخلف الحلاج كان صــاحب محلجــة قطن » ( ابن أيبك الدوادارى ورقة ٦٦ ) .

(٣) يقول ياقوت فى معجم البلدان ( ج ٢ ص ٩٠١ ) « وكان أهل الرى أهل سنة وقربهم اليه ... ساتكين ( صح : اذكوتكين بن اساكتين ) التركى وتغلب على الرى وظهر التشيع بها واستمر الى الآن » . ولم نعثر على اية اشارة الى الماردانى هذا لا فى الطبرى ولا فى ابن الأثير .

(٤) معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٠ .

(٥) المسالك والممالك ص ١١٩ .

(٦) ج ٢ ص ٣٠٢ ، وكذا معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٣ .

(٧) انظر حواشى جهانكشاى ج ٣ ص ٣٠٦ ولقد ظل أهل طبرستان وما حولها على مذهبهم الشيعى بعد انقضاء هذه الدولة ( انظر المقدسى فى أحسن التقاسيم ص ٣٦٧ ) ، ولا غرو فقد دخلوا فى الاسلام بفضل دعاة يتخذون التشيع مذهبا .

يقول نظام الملك ان خلفا توجه الى المناطق المجاورة للرى وأقام فى قرية يقال لها « كلين » من نواحى « بشابوية (١) » ، وبدأ خلف بدعوة أهل هذه القرية وكان يقول لهم : « آن هذا المذهب هو مذهب أهل البيت وينبغى اخفاؤه الى حين ظهور المهدى ، وخروجه وشيك » . فلقد كان دعاة الاسماعيلية الأول يدعون لمحمد بن اسماعيل على أنه المهدى المنتظر ، ولم يكونوا يعترفون بأئمة من أعقابه (٢) . ولما وقف عظيم القرية على خبر خلف هرب وتوجه الى الرى ومات بها ، وقد قبل جماعة من أهل القرية مذهبه .

وبعد موت خلف تولى أمر الدعوة ابنه أحمد بن خلف ، وقد تمكن من السيطرة على رجل يقال له « **غياث** » ، كان عارفا بالأدب والنحو ، وجعله خليفة له فى الدعوة ، فطعم غياث هذا أصول المذهب الاسماعيلى بآيات القرآن وأخبار الرسول ( ص ) وأمثال العرب والأشعار والحكايات . وألف كتابا سماه « البيان » ذكر فيه المعنى اللغوى للصلاة والصوم والطهارة والزكاة والألفاظ الشرعية . وكتابه على هذا النحو يشبه من حيث التنظيم العام كتاب « الزينة (٣) » لأبى حاتم الرازى ، الداعى الاسماعيلى حيث تختفى الملامح الاسماعيلية تماما بدرجة تجعل من العسير على السنى أن يدرك أن المؤلف اسماعيلى (٤) ولقد بدأ غياث فى مناظرة أهل السنة وتلقين الناس مذهبه فأقبلوا عليه . فأطلق على بعضهم اسم « الخلفية » وسمى بعضهم بـ « الباطنية » .

---

(١) يقول الاصطخرى ( ص ١٢٣ ) ويتبعه ياقوت ( معجم البلدان ج ٢ ص ٨٩٤) بأن بشابوية من أعمال الرى،ويشير اليها أيضا حمد الله المستوفى ( فى نزهة القلوب ص ٥٤ ) ويقول ان كلين قرية من أعمال « بشابوية » .

(٢) انظر فى هذا النويرى الذى ينقل عن الشريف أخى محسن ( نهاية الأرب ج ٢٣ ورقة ٥٨ من النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة ) .

(٣) حقق هذا الكتاب وطبعه الدكتور حسين فيض الله الهمدانى فى القاهرة فى سنة ١٩٥٦ .

(٤) انظر مقال Stern المشار اليه فى B.S.R.A.S. 1960 p. 60.

ولم يكد القرن الثالث الهجرى يوشك على الانتهاء حتى كان هـذا المذهب قد انتشر وشـاع فى تلك المنطقة .

ويقول نظـام الملك ان عبـد الله الزعفرانى أثـار أهـالى الرى على الاسماعيلية . ويبدو ان الاشـارة هنا للزعفرانى المعتزلى الـذى استقل بآرائه عن فرقة « النجارية ( ١ ) » التى ألفها الحسين بن محمد النجار ، واسس لنفسـه فرقة سميت باسمه : « الزعفرانية » ، وكان لهـا نفوذ كبير فى الرى ( ٢ ) . ولقد اضطر غياث الى الهرب من الرى وتوجيـه الى خراسـان حيث استطاع أن يلوذ بحمى الحسين بن على المروروذى الذى لعب دورا كبيرا على مسرح السياسـة فى ايران فى تلك الفترة ، كما كان خير عون للدعوة على الانتشـار والرواج ، وسنتعرض لذكره فى القسم الثـانى من هـذا الفصـل .

وعاد غياث الى الرى وأقام الدعوة على العهد السـابق وتمكن من أن يدخل فى زمرتها رجلا : « يجيد معرفة الشعر العربى ويتحدث العربيـة بطلاقة يقال له أبو حاتم وجعله خليفة له » . ولاريب فى أن الاشـارة هنا **لأبى حاتم الرازى** الفيلسوف المعروف واحد دعاة الاسماعيلية المشار اليهم بالبنان ، ويقول نظام الملك ان أصله من ناحية بشابوية ( ٣ ) ، بينما يسمى فى كافة المواضع الأخرى التى ورد فيهـا ذكره بالورسنانى ، وربما كانت

(١) انظر البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ١٩٧ ، والشهرستانى فى الملل والنحل ١ ص ١٤٠ وتاج العروس ٣ ص ٢٣٨ ، والمقدسى فى أحسن التقاسيم ص ٣٩٥ .

(٢) ويقول المقدسى ( توفى سنة ٣٨٧هـ ) فى أحسن التقاسيم ان النجارية قد كثروا فى أيامه بجرجان .

(٣) وردت خطأ فى سياستنامه طبعة طهران ص ٢١٨ « نيشابور » .

«ورسنان» احدى القرى التابعة لبشابوية عند قدوم أبى حاتم الى الرى (١) .

ولما انصرف غياث مرة أخرى عن الرى وعاد الى خراسان اتفق الاسماعيلية بالرى على رجل من أعقاب خلف وولوه رئاستهم ، ولما مات جعلوا عليهم ابنه المسمى ، « ابا جعفر الكبير » الذى اضطر بسبب مرض أقعده عن مزاولة نشاطه الى أن ينيب عنه فى الدعوة أبا حاتم ، فاستبد أبو حاتم بالرئاسة دونه وانتزعها من بيت خلف ( ٢ ) .

ولقد شهدت الدعوة فى عهد أبى حاتم ، انطلاقة كبرى الى الأقاليم المحيطة بالرى ، حيث انساح الدعاة يجتذبون الناس الى صفوف مذهبهم فى طبرستان وآذربيجان واصفهان وكان أبو حاتم يتولى الدعوة بنفسه فى الرى شأنه فى ذلك شأن أى داع من دعاته الذين بثهم فى تلك الأقاليم، وقد استطاع أن يجتذب حاكم الرى « أحمد بن على » ويضمه الى صفوف الاسماعيلية . وهذه أول اشارة عن وجود صلة بين الاسماعيلية وحاكم الرى . ولقد حكم أحمد بن على الرى من سنة ٣٠٧ حتى سنة ٣١١ وقتل فى السنة الأخيرة على يد يوسف بن أبى الساج .

كانت فرقة الاسماعيلية فى الشمال الغربى لايران ، قبل بداية القرن الرابع الهجرى مباشرة ، مجرد فرقة مستضعفة لاحول لها ولا طول . وكانت عاجزة تماما عن جذب انتباه رجال ينتمون الى الطبقات العالية (٣) . غير أن الاسماعيلية أحرزوا تقدما ملحوظا خلال الفترة التى أعقبت احتلال السامانيين للرى فى سنة ٢٨٩ ( ٤ ) .

---

(١) يذكر الاصطخرى ( ص ١٢٣ ) قرية من اعمال خوار الرى تسمى « ورزنين » ولعلها هى .

(٢) سياستنامه طبع شفر ص ١٨٦ ، طبع طهران ص ٢١٩ .

(٣) The Early Ismaili Missionaries ... p. 62.

(٤) الطبرى المجلد الثالث ص ٢٢٠٨ طبع ليدن ، ابن الأثير ج ٧ ص ٢٠٧ طبع مصر .

ولقد كان أول حكام السامانيين فى الرى هو منصور بن اسحاق ، أحد أعضاء الأسرة السامانية ( ١ ) ، وفى سنة ٢٩٦ أختير أبو جعفر محمد بن على صعلوك حاكما على الرى من قبل السامانيين . ويقول مايلز ( ٢ ) فى كتابه « تاريخ العملات النقدية للرى ( ٣ ) » انه يبدو أن محمدا هذا ترك الرى الى طبرستان فى سنة ٢٩٨هـ ، غير أننا نجد اسمه ظاهرا على عملة ضربت فى سنة ٣٠٢ ( ٤ ) . ويذكر الكرديزى فى « زين الأخبار ( ٥ ) » أن محمد بن على تولى حكم الرى فى سنة ٢٩٦ ، فهو يعد بهذا الحاكم التالى مباشرة للمنصور بن اسحاق ، وفى سنة ٣٠٤ تمكن يوسف بن أبى الساج والى آذربايجان من دخول الرى وانتزعها من يد محمد بن على صعلوك الذى آثر الفرار غير أن الخليفة العباسى أرسل قواته فى سنة ٣٠٥ أو ٣٠٦ بقيادة خاقان المفلحى ( ٦ ) لانتزاع الرى من يد يوسف فهزم يوسف قوات الخليفة الذى ما لبث أن أعد جيشا كثيفا لمحاربة يوسف ، أرسله بقيادة مؤنس الخادم ، فانضم الى مؤنس أحمد بن على صعلوك وأخوه محمد بن على ، فاضطر يوسف لمغادرة الرى ، فلقد الخليفة وصيفا البكتمرى الرى وقزوين (٧) . ولقد تقلد على بن وهسودان ، أحد أعضاء أسرة جستان ( ٨ ) ، حكم الرى من قبل الخليفة العباسى فى سنة ٣٠٧ بعد وصيف البكتمرى ( ٩ ) ، وفى تلك السنة أيضا ( ٣٠٧هـ ) سار أحمد بن على صعلوك ، أخو محمد المذكور من قم الى الرى فاستولى

---

(١) الكرديزى ، زين الأخبار ، ص ٢١ .

(٢) اسمه بالحروف اللاتينية George Miles.

(٣) The Numismatic History of Ray, New York, 1938.

(٤) Ibid, p.p. 135 — 136.

(٥) ص ٢٢

(٦) هناك اشارة فى ابن الأثير ( ج ٧ ص ٢٠٧ طبع مصر ) الى أن محاولات السلطات المركزية فى بغداد لاحتلال الرى كانت مبكرة ففى سنة ٢٨٩ ، وهى نفس السنة التى استولى فيها السامانيون على الرى ، أرسل وزير الخليفة جيشا للاستيلاء عليها .

(٧) ابن الأثير ج ٨ ص ٧٤ طبع ليدن .

(٨) انظر عن على بن وهسودان حواشى جهانكشاى ج ٣ ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

(٩) ابن الأثير ج ٨ ص ٧٥ طبع ليدن .

عليها فأنكر الخليفة ذلك عليه فأظهر أحمد الخلاف وكتب الخليفة يأمر « نحرير الصغير » والى همدان ليسير هو ووصيف الى الرى لمنع أحمد بن على عنها ، غير أن أحمد تمكن من هزيمتهم واستولى على الرى ، واضطر الخليفة فى النهاية الى الاعتراف بالأمر الواقع وأقره عليها وعلى دنباوند وقزوين وزنجان وأبهر ( ١ ) .

ومع أن نظام الملك يقول ان أبا حاتم تمكن من اجتذاب هذا الحاكم وضمه الى صفوف الاسماعيلية ، الا أننا لانعثر على اشارة فى أية عملة من عملاته المتبقية تؤيد كلام نظام الملك فى اعتناق أحمد بن على لمذهب الاسماعيلية ( ٢ ) . وربما كان نظام الملك يقصد أن أحمد كان يستمع الى أبى حاتم كداع لمذهب من المذاهب ، ولعله اعتنق هذا المذهب فعلا ولكن هذه كلها احتمالات فرضية تحتاج الى دليل ( ٣ ) .

ومهما يكن من أمر ، ففى سنة ٣١١ سار يوسف بن أبى الساج الى الرى ، وحارب أحمد بن على ، وهزمه وقتله وأنفذ رأسه الى بغداد واستولى يوسف على الرى واستخلف عليها غلامه مفلحا فثار عليه أهلها وأخرجوه من المدينة فاضطر يوسف الى العدول اليها ، وكان ذلك فى سنة ٣١٣ ( ٤ ) .

وفى سنة ٣١٤ وقعت الرى فى قبضة السامانيين ، اذ استولى عليها نصر بن أحمد السامانى ثم عاد عنها واستعمل عليها محمد بن على صعلوك الذى استمر يحكمها حتى سنة ٣١٦ ، وفى تلك السنة مرض محمد

---

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ٧٥ طبع ليدن .

(٢) Miles, The Numismatic History of Ray p.p. 137—140.

(٣) Stern, The Early Ismaili Missionaries ... p. 62, First appearance of Ismailism p. 10.

(٤) ابن الأثير ج ٨ ص ٩٩ — ١٠٠ طبع ليدن .

بن علي فراسل الحسن بن القاسم الداعي حاكم طبرستان « وماكان بن كالي » قائده في القدوم ، فقدما اليه وسلم الري اليهما وسار عنها ، فلما وصل الدامغان مات . ولقد انتهز أسفار بن شيرويه الديلمي غياب « الداعي » عن طبرستان واستولى عليها ، فسار اليه الداعي وقائده « ماكان » والتحم معه في معركة قتل الداعي في أثرها أثناء فراره ، فاستولى أسفار على طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ وأعلن ولاءه للسامانيين . وفي السنة نفسها ( ٣١٦ ) خرج على أسفار قائده مرداويج بن زيار الديلمي وقتله واستولى على الري (١) . لقد استطردنا في ذكر الحوادث التاريخية حتى نتمكن من فهم عبارة نظام الملك الغامضة التي سنترجمها فيما يلي :

يقول نظام الملك : « ثم أن أهل ديلمان ثاروا على العلويين في طبرستان وقالوا لهم أنتم أهل بدعة ، اذ تزعمون أن العلم وقف على أسرتكم وليس مشاعا لكل الناس ، في حين أنكم اذا تعلمتم عرفتم ، واذا تعلم رجل ليس منكم أصاب من المعرفة ما أصبتم ، فالعلم اذن لا يجري مجرى الميراث ، ولقد أرسل الله عز وجل رسوله عليه السلام الى الناس كافة لم يخص ( به ) قوما دون قوم ، فلماذا تكذبون علينا » . ولقد اغتنم أبو حاتم فرصة هذا الخلاف المذهبي وما وقع فيه الديلم من الحيرة والشك ( ٢ ) ، فتوجه الى طبرستان واتصل بالديلم وكان قائدهم هو أسفار بن شيرويه ( ٣ ) ، فقابله أبو حاتم وانضوى تحت لوائه ، وبدأ دعوته بذم العلويين وقرر فساد مذهبهم .

---

(١) أنظر تفصيل هذه الحوادث في ابن الأثير ج٨ تحت التواريخ المذكورة .

(٢) وربما كانت الحيرة والشك قد حدثا من أثر دعاة أرسل بهم أبو حاتم الى هذه المنطقة .

(٣) نجد هنا اختلافا بين طبعتي سياستنامه : فهو « شروين بن ورداوندي » في طبعة طهران « وشرشير » في طبعة باريس — غير ان « سترن » يرى أنه « أسفار بن شيرويه ورداوندي » (Early Ismaili Missionaries p. 64.).

وفى أيام مرداويج هرب أهالى ديلمان وجيلان من المطر ( يعنى الشيعة الزيدية ) فوقعوا فى النهر ( الاسماعيلية ) ( ١ ) . ولقد وعد أبو حاتم بظهور الامام الغائب ، فلما جاء الموعد الذى حدده لظهوره ولم يظهر رجعوا عن مذهبه الى مذهب الشيعة الزيدية ، ورغبوا فى قتل أبى حاتم، فلاذ بالفرار ثم مات .

ولا يذكر نظام الملك تاريخ مغادرة أبى حاتم للرى وتوجهه الى طبرستان الا أنه يبدو أن ذلك قد حدث قبل موت حاميه أحمد بن على فى سنة ٣١١ . كذلك لا يذكر نظام الملك اسم الداعى حاكم طبرستان الذى ثار الديلم عليه ، ولكن الظاهر أن تلك الثورة قد حدثت فى عهد الحسن بن القاسم المعروف بالداعى الصغير الذى حكم طبرستان وجيلان فى الفترة ما بين ٣٠٤ و ٣١٦ بعد وفاة الناصر الكبير مباشرة ( ٢ ) . وهو الذى قتل — كما ذكرنا — على يد أسفار .

ويقول البغدادى فى الفرق بين الفرق ( ٣ ) : « ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبى حاتم فاستجاب له جماعة من الديلم منهم أسفار بن شيرويه » .

ويذكر المقريزى ( ٤ ) اسم أبى حاتم بل يذكر اسم أسفار فى قوله : « ومال اليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفار فلما قتل مرداويج أسفار عظمت شوكة القرامطة فى أيامه بالرى وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى افنوا خلقا كثيرا » . أما رشيد الدين فضل الله فيقول ( ٥ ) :

---

(١) أنظر سترن Stern فى الموضع المذكور فى الحاشية السابقة .
(٢) أنظر عنه حواشى جهانكشاى ج ٣ ص ٣٠٩ .
(٣) طبعة محمد بدر ص ٢٦٧ .
(٤) اتعاظ الحنفا مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية برقم ٦ تاريخ ورقة ٩١ .
(٥) جامع التواريخ . الجزء الخاص بالاسماعيلية طبع طهران ص ١٢ .

« ادخل ( أبو حاتم الرازى ) بعض الديالمة فى الدعوة ( ١ ) واستجاب له أيضـــا مرداويج » ويتحـدث المسعودى ( ٢ ) عن أسفار قائلا : « وكان لايدين بملة الاســـلام » ولعل هــذا القول يعتبر غلوا فى رأى المسعودى بالنسبة لأسفار ، لأنه لم يكن سوى رجل يعتنق مذهب الأسماعيلية ، ذلك المـذهب الذى يبدو أن البعض عـــده فى ذلك الوقت مروقـــا لا يمت الى الاســـلام بصـــلة .

وانتقل أبو حاتم الى حماية مرداويج بعد قضـــائه على اسفار .

وقـــد أورد أبو حاتم الرازى فى كتابه « أعلام النبوة ( ٣ ) » جزءا من المناظرات ( ٤ ) التى وقعت بينه وبين الطبيب والفيلسوف المشهور أبى بكر محمد بن زكريا ء الرازى الذى كان يعيش فى الرى فى أيام مرداويج ( ٥ ) . وتاريخ وفاة أبى بكر الرازى غير معروف على وجه التحديد فالبعض يجعل وفاته فى سنة ٣٢٠ ويجعلهــا آخرون فى سنة ٣١٣ أو ٣١١ ( ٦ ) ، فاذا كان الأمر كذلك تبين لنا أن ابا بكر لم يكن يعيش فى عهد مرداويج ، وانما كان يعيش فى عهد أمير آخر لعله أحمد بن على .

---

(١) ربما كان يعنى بلفظ « بعض » أسفار بن شيرويه .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣١ طبع بولاق ، ويذكر قصة مؤذن جامع قزوين الذى أمر أسفار بالقائه من المنارة الى الأرض . وقد ذكرها أيضا ابن الأثير ج ٨ ص ٩٩ طبع ليدن .

(٣) أنظر ايفانوف A. Guide to Ismaili Litrature p. 32.

(٤) وقد نشر هذه المناظرات بول كراوس فى كتابه « رسائل فلسفية لأبى بكر محمد بن زكرياء الرازى مع قطع بقيت من كتبه المفقودة » طبع مصر ١٩٣٩م أنظر ص ٢٩١ ومابعدها كما نشر بول كراوس أيضا مقتطفات من كتاب أعلام النبوة فى المجلد الخامس من مجلة orientala سنة ١٩١٦ .

(٥) لابد وأن هناك شيئا هاما جعل فلاسفة الاسماعيلية يتصدون لآراء محمد بن زكرياء الرازى فى فلسفته الالهية ، فأبو حاتم الرازى والكرمانى ( فى كتاب الأقوال الذهبية ) وناصر خسرو ( فى زاد المسافرين ) كلهم عقدوا فصولا بأكملها فى كتبهم فى تسفيه آراء محمد بن زكرياء ونسبوه الى الالحاد .

(٦) رسائل فلسفية لأبى بكر محمد زكرياء الرازى ص ٢٩١ .

ويشير الصولى ( ١ ) الى أن مرداويج تحالف مع قرامطة البحرين فى فترة متأخرة من حياته ، وربما حدث ذلك بعد قبوله مذهب الاسماعيلية . غير أن العملات النقدية المتبقية من عهد مرداويج لا تحمل سوى أسماء الخليفتين العباسيين المقتدر والراضى مع اسم الأمير السامانى نصر بن أحمد ( ٢ ) . ويقول المقريزى فى نهاية نصه الخاص بالدعوة فى الرى : « ثم خرج مرداويج الى جرجان لقتال نصر بن أحمد السامانى ، فتغير عليهم ( يعنى على الاسماعيلية ) وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم الى مفلح ، غلام ابن أبى الساج ، فاستجاب له » . وبهذه الفقرة تستكمل الصورة ملامحها ، وتتضح معالم النص الغامض فى هذا الموضع لنظام الملك ، اذ يبدو أن السبب الرئيسى فى تغير مرداويج على الاسماعيلية هو فشل نبوءة أبى حاتم فى تحديد موعد ظهور الامام المهدى .

وأول ما نصادفه اسم « مفلح » نجده فى سنة ٣١٣ واليا على الرى من قبل يوسف بن أبى الساج حاكم آذربايجان(٣) ، وفى سنة ٣١٧ نجده حاكما لآذربايجان(٤) ،وفى سنة ٣٢٠ اضطر مفلح الى الهرب من آذربايجان ويبدو أنه تغلب على المصاعب التى صادفته لأننا نجده بعد ذلك فى بردعة ، ولقد هرب أبو حاتم قاصدا مفلحا بعدما شعر بالخطر المحدق به من جراء تحقق كذب نبوءته . فتمكن من ضمه الى صفوف الاسماعيلية ، ويقول نظام الملك ان أبا حاتم مات فى اثر هربه ، ويقول ابن حجر

---

(١) فى أخبار الراضى والمتقى ص ٢٠ : « وتحدث الناس عنه انه يريد تشتيت الدولة وقصد بغداد وانه لساهم لصاحب البحرين مجتمع معه على ما يحاوله » .

(٢) Miles, The Numismatic History of Rayy pp. 137 — 140.

(٣) ابن الأثير ج ٨ ص ١٤٥ طبع ليدن .

(٤) ذيل تاريخ الطبرى لعريب ابن سعد ص ٧٥ طبع مصر .

العسقلانى فى موسوعته الضخمة « لسان الميزان »(١) انه مات فى سنة ٣٢٢.

وبعد موت أبى حاتم أصيبت الدعوة الاسماعيلية فى الشمال الغربى من ايران بضعف وخور شديدين وانصرف عنها أغلب من دخلوا فيها(٢) . ويقول نظام الملك بأن الاسماعيلية اتفقوا فى الخفاء على أن يجعلوا رئاسة الدعوة لرجلين يقيمان فى الرى ، يقال لأحدهما عبد الله الكوكبى ، وللآخر « أبو اسحاق ( ٣ ) » . ويضيف رشيد الدين فضل الله فى جامع التواريخ ، بعد ذكر هذين الداعيين اسم داع آخر هو « عبد الملك الذى كان يسيطر على كردكوه ( ٤ ) » . وكانت كردكوه هذه من أمنع قلاع دولة الاسماعيلية فى ايران ، واستولى عليها الاسماعيلية فى عهد الحسن بن الصباح ( ٥ ) ، فالاسماعيلية اذن قد استولوا على هذه القلعة قبل قيام دولتهم فى ايران بقرنين من الزمان ( ٦ ) .

(١) طبع حيدر آباد الدكن ج ١ ترجمة رقم ٢٣٥ .

(٢) سياستنامه ص ١٨٧ طبع شفر ، ص ٢٢٠ طبع طهران .

(٣) هنا ينتهى نص نظام الملك عن الدعوة فى الرى وما حولها ، لأن المصدر الذى اعتمد عليه قد انتهى — فيما يبدو — عند هذه النقطة .

(٤) جامع التواريخ، القسم الخاص بالاسماعيلية ص ١٢ طبع طهران .

(٥) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٨ وما يقابلها من الترجمة العربية .

(٦) بل ان عطا ملك الجوينى يشير الى أن أحد الحكام الذين اعتنقوا مذهب الاسماعيلية وهو «سياه جشم الديلمى» قد استولى على قلعة الموت نفسها فى مثل ذلك الوقت المبكر سنة ٣١٦هـ انظر جهانكشاى ج ٣ ص ٢٧٠ — ٢٧١ وما يقابلها من الترجمة العربية فى هذا الكتاب ، وابن الأثير ج ٨ ص ١٤٠ طبع ليدن فى حوادث سنة ٣١٦ .

ويشير ابن النديم فى الفهرست ( ١ ) الى « أبى يعقوب خليفة الامام المقيم كان بالرى » وكان يرأس الدعوة بالجزيرة ( الموصل وبغداد ) . ويدل ظاهر حديثه فى هذا الموضع أنه يتحدث عن فترة تقع بين سنتى ٣٢٠ ، ٣٣١ . ولا يمدنا ابن النديم بأية تفصيلات عن هذا الداعى ، غير أنه لما كانت العادة جرت على أن يكنى اسحاق بأبى يعقوب فانه من المحتمل أن يكون أبو يعقوب هذا هو اسحاق الذى أشار اليه نظام الملك فى نصه عن الرى . وربما كان اسحاق هذا هو نفسه **أبو يعقوب السجستانى** ( ٢ ) الداعى والفيلسوف الاسماعيلى المشهور فلسوف نصادف بعد فترة وجيزة هذا الداعى معروفا فى خراسان وسجستان بوجه أخص ، غير أنه ليست لدينا أدلة تاريخية تشير الى أن أبا يعقوب السجستانى قضى الفترة الأولى من حياته رئيسا للدعوة الاسماعيلية فى الرى ثم انتقل بعدها الى خراسان .

يقول ابن النديم فى أول العبارة التى اقتطفنا منها الفقرة السابقة « بنو عمار من المواصلة وهؤلاء كانوا أصحاب الدعوة بالجزيرة وما والاها من قبل أبى يعقوب خليفة الامام المقيم كان بالرى ، ولقد صنفوا كتبا واضافوها الى عبدان » (١)

وسنحاول الآن أن نجلى غموض عبارة ابن النديم ، فلقد كان لقرامطة البحرين علاقات غير واضحة تماما مع الفاطميين ، وفى سنة ٢٨٦ وقع انشقاق خطير فى صفوف الاسماعيلية عندما أنكر رؤساء الدعوة فى العراق ما قام به عبيد الله المهدى من تغيير لاحدى العقائد الأساسية فى المذهب وهى العقيدة التى استندت اليها الدعوة فى القول برجعة محمد بن اسماعيل

---

(١) طبع ليبزج ص ١٨٩ .

(٢) انظر هذه المادة فى Encyclopeadia of Islam.

على أنه المهدى أو القائم (١) . ويحتمل أن يكون القرامطة فى البحرين قد أجروا تعديلا جزئيا على عقائدهم الأصلية فى شأن رجعة محمد بن اسماعيل ، ذلك لأنهم أيدوا عبيد الله المهدى عندما أسس الدولة الفاطمية فى شمال افريقيا . غير أنهم لم يسلموا بالاعتراف به كاملا وانما كانوا ، فيما يبدو ، يعدونه قائدا سياسيا (٢) . فالظاهر أن القرامطة قد قبلوا الدجال الاصفهانى الذى ظهر وقتل فى سنة ٣٢٠ على أنه محمد بن اسماعيل قد رجع بعد غيبة قرن من الزمان (٣) . ويقول القاضى عبد الجبار الرازى فى كتاب « تثبيت نبوة سيدنا محمد (٤) » بأن القرامطة اعلنوا أثناء حكم زكريا أن جميع تعاليمهم السابقة عن المهدى والنسب النبوى ما هى الا لغو . وكشفوا عن أسرار فرقتهم كلها ونشروا ، لأول مرة ، قصة عبد الله بن ميمون ودندان وغيرهما من أساطين الدعاة وخططهم فى خداع المسلمين وطعنوا فى جميع الأديان وأحرقوا الكتب الدينية كلها ، ونادوا بزكريا الاها واستحلوا المحرمات ، ولكنهم ندموا أخيرا وقتلوا زكريا وقلدوا أبا طاهر القرمطى الأمر من جديد ورجعوا الى ولائهم لعبيد الله المهدى . ولكننا اذا عمدنا الى تخفيف ما فى قول عبد الجبار من غلو للاحظنا من أول وهلة أن القرامطة اعتبروا زكريا هو محمد بن أسماعيل قد رجع بعد غيبته ، ومحمد بن اسماعيل عندهم هو القائم وهو النبى ، فلا غرو أن خلعوا على زكريا صفات التقديس والتكريم ، تلك التى ظن بسببها عبد الجبار ، أو مصدره الذى نقل عنه

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ٢٣ ورقة ٧٠ وكنز الدرر وجامع الغرر للدوادارى ج ٦ ورقة ٤٥ — ٤٧ .

(٢) The Early Ismaili Missionaries p. 68

(٣) ابن الأثير فى حوادث هذه السنة ج ٨ ، والبيرونى فى الآثار الباقية ص ٢١٣ ويسميه زكريا الخراسانى ويذكر أنه ظهر فى سنة ٣١٩ .

(٤) وهو مخطوط فى اسطنبول فى مكتبة شهيد على باشا رقم هـ ١٥٧ ، نقلنا أقواله عن كتاب The Origins of Ismailism by : Lewis p. 88 ، ص ١٨٦ من الترجمة العربية .

أنهم يؤلهونه . ويقول عبد الجبار أيضا فى نص آخر بأن الدعاة أمثال أبى القاسم بن موسى وأبى مسلم بن محمد الموصلى وأبى بكر أخيه وأبى حاتم بن حمدان الرازى الكلاغى وآخرين قد ماتوا أسفا وحزنا على فضح أبى طاهر للدعوة ( ١ ) » ولقد كان أبو القاسم اسحاق بن موسى ابن أخت عبدان هو رئيس الدعوة فى العراق فى الربع الأول من القرن الرابع ( ٢ ) ، وكان أبو مسلم ابن محمد الموصلى وأخوه أبو بكر من « المواصلة » من بنى حماد الذين أشار اليهم الفهرست فى نصه الذى ذكرناه فيما سبق . وكان الذين ذكرهم ابن النديم جميعا يعيشون ويراسون الدعوة فى مناطق مختلفة فى الوقت الذى ظهر فيه زكريا الفارسى .

ويستطرد ابن النديم فى ذكر دعاة العراق قائلا ( ٣ ) : « رجل يعرف بابن حمدان واسمه ........ رأيته بالموصل وكان داعية لما مات بنو حماد ... ابن نفيس : أبو عبد الله هذا من جلة الدعاة وكانت الحضرة اليه خلافة لأبى يعقوب فتنكر عليه أبو يعقوب لأمر بلغه عنه فأنفذ قوما من الأعاجم فقتلوه بالغيلة فى كاره ... الدبيلى : هذا نظير أبى عبد الله ، وكانا يتنافسان الرياسة وبقى عدة سنين وتوفى ... الحسناباذى : واسمه ... هذا رأيته وكنت أمضى اليه فى جملة أصحابه وكان ينزل فى ناحية بين القصرين وكان ظريف العمل عجيب المعنى فى عبارته وكلامه وما يورده وخرج الى آذربيجان لأمر لحقه ببغداد بعد نفى الشيرمدى الديلمى فانه كان يعنى به » .

---

(١) نقلا عن لويس أيضا فى كتاب المذكور P. 87. ص ١٨٤ — ١٨٥ من الترجمة العربية .

(٢) صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد ص ٧١ طبع مصر ، التنبيه والاشراف للمسعودى ص ٣٣٨ .

(٣) الفهرست ص ١٩٠ .

أما أبو حيـان التوحيدى ( توفى فى أواخر القرن الرابـع ) فيشير فى معرض حديثه عن مهاجمة الفلسفة والطعن على الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بينها وبين الشريعة مثـل أبى زيد البلخى وأبى تمام النيسابورى الشيعى وأبى الحسن العامرى ، يشير الى نشـاط الاسماعيلية فى شمال ايران فى النصف الأول من القرن الرابـع الهجرى فيقول فى كتاب الامتاع والمؤانسـة ( ١ ) : « وما عندى أن الائمة الذين يأخذ عنهم ( يعنى صاحب كل بدعة ) ويقتبس منهم ، كارسطوطاليس ، وسقراط وأفلاطون ، رهط الكفر ، ذكروا فى كتبهم حـديث الظاهر والباطن ، وانما هـذا من نسج القداحين فى الاسلام السـاترين على أنفسهم ما هم فيه من التهم ، وهـذا بعينه دبره الهجريون ( يعنى قرامطـة البحرين ، نسبة الى هجر عاصمة الاقليم ) بالأمس ، وبهذا دندن الناجمون بقزوين وبثـوا الدعاة فى أطراف الأرض ، وبذلوا الرغـائب وفتنوا النفوس » . ولسنا نعرف على وجـه التحـديد هل ترجع هذه الاشـارة الى عهد رئاسـة أبى حاتم الرازى للدعوة أم الى زمن أكثر تقدما . ولكن الذى نلاحظه أن الرى قـد أصبحت منذ منتصف القرن الثالث الهجرى مركزا قويا من مراكز الفلسفة الاسلامية ولقد شـاهدنا فيما سـبق أبا بكر محمد بن زكرياء الرازى الفيلسـوف المشهور ، يناظر أبا حاتم الرازى رئيس الدعوة بالرى . وكان التقـارب الذى حـدث فى ذلك الوقت بين الشيعة وبين المعتزلة فلاسفة الاسـلام ، لوقوع كليهما تحت اضطهاد الخـلافة العباسية ، قـد أدى الى حـدوث تزاوج بين المذهبين ( ٢ ) ، مما أنعش الحيـاة الفلسفية وزادها ازدهارا

---

(١) ج ٢ ص ١٤ — ١٦ طبع مصر .

(٢) يقول بهذا الرأى أحد الباحثين وهو الدكتور ضياء الدين الريس فى كتاب « النظريات السياسية الاسلامية » ص ١٥٥ ، غير أن أمر المعتزلة يختلف مع الاسماعيلية اذ يخبرنا ابن الأثير ( ج ٩ ص ١٠١ طبع مصر ) بأن القاضى أبا الحسن على بن سعيد الاصطخرى احد شيوخ المعتزلة المعروفين والمتوفى سنة ٤٠٤ له تصانيف فى الرد على الباطنية .

فى تلك المنطقـــة خاصـــة من حيث كونها مركزا شيعيا ولوجود شيخ من أجلة شيوخ المعتزلة بها فى ذلك الوقت ، ونعنى به قـــاضى القضـــاة عبد الجبـــار الذى جعل من الرى مركز اشعاع لنشـــر الفلسفة الاسلامية ، وقصـــده طلابها من كل فج ليتلقنوا على يديه أصـــولها وقواعدها ، وقد توفى عبد الجبـــار فى سنة ٤١٥ ( ١ ) . ولم يكن دعاة الاسماعيلية فى هذه المنطقـــة أقل مرتبـــة من هؤلاء الفلاسفة ، بل كان معظمهم من المجادلين ذوى المقدرة العقلية الفائقة فى الجدل والمحاجة ووقعت بينهم وبين الفلاسفة المقيمين فى الرى مناظرات ومجادلات عدة كما رأينا فيما سبق .

ولقد ارتبط دعاة الاسماعيلية فى الشمال الغربى من ايران باحـــدى الأسر الحاكمة المشهورة فى المنطقة وهى « آل مســـافر » لذلك نجد أنفسنا فى حاجـــة الى أن نذكر هنا طرفا من تاريخ هذه الأسرة ( ٢ ) .

استولى محمد بن مســـافر ، مؤســـس هـــذه السلســـلة على قلعة شميران فى مقاطعة الطرم فبعث أسفار بن شيرويه مرداويج يدعو محمدا الى طاعته ، فانضم مرداويج اليـــه بدلا من مقاتلتـــه ، وانتهى الأمر بقتل أســـفار . وفى ســـنة ٣٣٠ قبض على محمد ابناه المرزبان ووهسودان . ويعتبر المرزبان بن محمد ( ٣٣٠ — ٣٤٦ ) أعظم حكام هـــذه السلســـلة وكانت آذربايجان قد أصبحت بعد وفـــاة يوسف ابن أبى الســـاج فى سنة ٣١٤ وتولى غلامه مفلح الحكم ( ٣١٧ — ٣٢٣ ) مسرحا للنزاع بين ديسم بن ابراهيم الكردى ولشكرى ابن مردى الجيلانى ، ولقد قتل لشـــكرى فى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ ص ٢١٨ — ٢١٩ بينما يقول ابن الأثير انه توفى فى سنة ٤١٤ ( الكامل ٩ / ١٣٨ طبع مصر ) .

(٢) معتمدين فى ذلك على كتاب مسكويه « تجارب الأمم » الجزء الثانى وتاريخ ابن الأثير ج ٨ طبع ليدن ومقالة V. Minorsky, فى Encyclopeadia of Islam مادة "Musafirid"

اصفهان بينما قوبل ديسم بخيانة وزيره أبى القاسم على بن جعفر الذى انضم الى آل منسافر وتقرب على الأخص الى المرزبان بن محمد ، وكان كلاهما يتبع مذهب الاسماعيلية واضطر ديسم فى النهاية الى التسليم بعد أن اجتاح المرزبان بفلوله كلا من أردبيل وتبريز . ووسع المرزبان المناطق الخاضعة لحكمه فى اتجاه الشمال حتى دربند . ونجده فى سنة ٣٣٧ يحارب ركن الدولة البويهى الذى انتصر عليه واخذه أسيرا وحمله الى قلعة سميرم فحبس بها ، فاجتمع أصحابه على أبيه محمد بن مسافر وولوه أمرهم فهرب منه ابنه وهسودان الى حصن له ، فأساء محمد مع الجند، فأرادوا قتله غير أنه هرب الى ابنه وهسودان الذى قبض عليه وسجنه حتى مات . أما المرزبان فقد استطاع فى سنة ٣٤٢ أن يخلص من الأسر ويستولى على القلعة التى كان أسيرا فيها ( ١ ) . ويبدو أنه بعد خلاصه صالح ركن الدولة البويهى وصاهره( ٢ ) . ولقد استعاد المرزبان بعد خلاصه من الأسر مركزه ، وتوفى فى رمضان سنة ٣٤٦ (٣) . ويشير مسكويه الى أن المرزبان كان قد انضم الى صفوف الاسماعيلية قبل وقوع هذه الحوادث فيقول « كان ( على بن جعفر ) من دعاة الباطنية وكان المرزبان معهودا فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهرا فاجتمع له كل ما أراده ( ٤ ) » .

على أن ولاء المرزبان للاسماعيلية لا يعد حادثا فريدا فى أسرته ، فلدينا ما يدل على أن أخاه وهسودان بن محمد كان هو الآخر اسماعيليا ، وكان كل من المرزبان ووهسودان قد اقتسما البلاد الواقعة تحت حكم أبيهما محمد بن مسافر بعد أن سجناه فى سنة ٣٣٠ فاستولى المرزبان على المناطق الشمالية ، ومد ملكه حتى شمل آذربايجان ، أما وهسودان فقد

---

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ٣٧٧ — ٣٧٨ طبع ليدن .

(٢) أيضا ، ص ٣٧٦ .

(٣) أيضا ، ص ٣٨٨ .

(٤) تجارب الأمم ج ٦ ص ٣٢ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٢٩٠ وهو ينقل نص مسكويه حرفيا دون تغيير .

بقى فى الطرم . ولما خلص المرزبان من أسره الذى استمر خمس سنوات ( ٣٣٧ — ٣٤٢ ) عادت الأمور الى الرسم الأول .

ولقد عثر لكل من المرزبان ووهسودان على عملات نقدية كتبت على احداها : على خليفة الله ، على وجه ، وكتب على الوجه الثانى لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الاطار المحيط بهذا الوجه كتب : محمد على الحسن الحسين على محمد جعفر اسماعيل محمد ( ١ ) . وبالنظر الى هذه القائمة ندرك لأول وهلة انهم كانوا يعتقدون فى أن الائمة هم : على بن أبى طالب ، الحسن ، الحسين ، على زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، اسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل .

لم يكن الاسماعيلية فى ايران اذن يعترفون حتى ذلك الوقت بالخليفة الفاطمى اماما ، والا لأشارت اليه العملة النقدية المذكورة . لقد كان الخليفة الفاطمى فى ذلك الوقت هو المعز لدين الله الفاطمى الذى تولى الخلافة فى سنة ٣٤٣ .

والواقع أن نظرة منا الى الفترة السابقة على قيام الاسماعيلية كأتباع لمذهب ذى ملامح واضحة تجعلنا نستطيع أن نفسر هذا الغموض الذى يحيط بطبيعة الدعوة الاسماعيلية فى ذلك الوقت . ولقد قلنا فيما سبق ان الاسماعيلية نشأت من الخطابية . وكان الخطابية قد « زعموا أن محمد بن اسماعيل حى لم يمت وانه غائب مستتر فى بلاد الروم وانه القائم المهدى ( ٢ ) » . ولقد ظل الاسماعيلية يؤمنون بهذه العقيدة حتى

---

(١) The Early Ismaili Missionaries ... pp. 71—73 by Stern,
The First Appearance of Ismailism p. 9, Also by Stern
والترجمة الفارسية ص ١٠ .

(٢) النوبختى «فرق الشيعة» ص٧٤ القمى «المقالات والفرق» ص ٨٤ .

قيام الدولة الفاطمية ثـم حـدث انشقاق فى صفوف الاسماعيلية اذ بقى بعضهم محافظـا على عقيدته الأولى فى مهدية محمد بن اسماعيل وفى أنه حى لم يمت ، واعتقد البعض فى امامة الخلفـاء الفـاطميين ، وانصـرف بعضهم عن المـذهب الاسماعيلى لانهيار هـذه العقيدة الاسـاسية أمام عينيه . ويخبرنا الشريف أخى محسن عن سبب هـذا الأنشقاق فيقول : « وقد كان قرمط يكاتب من بسلميه ( ١ ) فلما توفى من كان فى وقته (٢) وجلس ابنه من بعده ، كتب الى حمدان قرمط . فلما رد عليـه الكتاب أنكر ما فيه لألفاظ كان يعهدها عليه ، فاستراب ( وأرسـل أحد دعاته المسمى بعبدان ) . فلما وصـل الى هناك عرف بموت ذلك الطاغيـة الذين كانوا يكاتبونه ووجـد ابنه فسـأله عن الحجة ومن الامام بعده ، فقال الابن : ومن هو الامام ؟ قال عبدان : الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر صـاحب الزمان الذى كان أبوك يدعو اليه وكان حجتـه ، فأنكر ذلك كله ، وقال : محمد بن اسماعيل لا أصـل له ولم يكن الإمام غير أبى .. وأنا اقوم مقامه فرجـع عبدان الى قرمط فعرفـه الخبر وأمره قرمط أن يجمـع الدعـاة ويعرفهم صورة الأمر ، وماتبين له منـه ، ويقطع الدعوة لمن بسـلمية ، ففعـل عبـدان ذلك .. ولمـا قطعوا الدعوة من بـلادهم لم يمكنهم أن يقطعونها من غير ديارهم لأنها كانت قـد امتدت فى سـائر الأقطار وكثر شرها وتزايد خبثها ... وذلك كله فى سنة ست وثمانيـة ومائتين ( ٣ ) » ويقول الشريف أخى محسن أيضـا فى موضـع آخر . « وكان مبتدأ هذه الدعوة الخبيثـة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر بزعمهم .. ولم تزل هـذه الدعوة الى محمد بن اسماعيل بن جعفر مرتبة على ما كانت رتبت الى أن هرب سعيد المتسمى بعبيد الله الملقب بالمهدى من سلمية .. فصـار هو الامام وصـار من ولد محمد بن اسماعيل فجعلوا الدعوة أليـه . وكانت

---

(١) مركز الدعوة ، قبل ظهور عبيد الله المهدى فى المغرب .

(٢) أى الحجة الذى كان يراسله .

(٣) نهاية الأرب النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة ، ج ٢٣ ورقة ٧٠ وكنز الدرر وجامع الغرر النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٨ تاريخ ج ٦ ورقة ٤٧ .

الدعوة لمحمد بن اسماعيل وانه حى لم يمت وانه يظهر فى آخر الزمان وانه مهدى الأمـة ( ١ ) .

ويخبرنا ابن حوقل ( ٢ ) بأن أبا سعيد الجنابى رئيس الدعوة فى البحرين أنضم الى عبدان رئيس الدعوة فى العراق الذى ظل محتفظا بعقيدته الأصلية فى مهدية محمد بن اسماعيل ويستفاد من عبارة لمؤلف معاصر موثوق به ومتخصص فى الفرق الشيعية ونعنى به النوبختى ( متوفى سنة ٣٠٠ أو ٣١٠ ) أن القرامطة ظلوا حتى أوائل القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى متمسكين بعقيدتهم فى مهدية محمد بن اسماعيل وفى أنه حى لم يمت ، وذلك بعد ظهور عبيد الله المهدى وقيام الدولة الفاطمية فى المغرب ، يقول النوبختى « فتأولوا فى ذلك قول الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » فالواجب أن يبدأوا بهؤلاء الذين نصبوا اماما من ولد جعفر بن محمد غير اسماعيل وابنه محمد ثم بسائر الناس ممن نصب اماما من بنى هاشم وغيرهم ثم بسائر الناس .وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة ، ولم يكن لهم شوكة ولا قوة . وكان كلهم بسواد الكوفة وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحى البحرين واليمامة وما والاها . ولعلهم أن يكونوا زهاء مائة ألف ( ٣ ) » .

ولقد بادر عبيد الله المهدي بخطب ود القرامطة الذين لم يكونوا فى الغالب يعتقدون فى أحقيته بالامامة وفى أنه بديل لمحمد بن اسماعيل المهدى والقائم فى زعمهم ، وتمكن عبيد الله فى النهاية من تعيين رئيس قرمطى موال له فى سنة ٣٠٥ ، وظل هذا الزعيم على اخلاصه لعبيد الله ثم للقائم حتى توفى سنة ٣٢٢هـ ( ٤ ) .

---

(١) نهاية الأرب ج ٢٣ ورقة ٦٩ ، كنز الدرر ورقة ٣٦ .

(٢) كتاب صورة الأرض لابن حوقل ص ٢٥٨ طبع بيروت .

(٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٦ ، وأنظر أيضا المقالات والفرق للأشعرى القمى ص ٨٤ .

(٤) أنظر كتاب « عبيد الله المهدى » لحسن ابراهيم حسن ، وطه شرف ص ٢١١ وما بعدها .

بيد أننا ينبغى أن نفسر هذا الأخلاص على أنه مجرد اعتراف القرامطة بالزعامة السياسية للخلفاء الفاطميين دون أن يتطرق الأمر الى الناحية العقائدية باعتبارهم أئمة .

وكان لخضوع العلاقة بين القرامطة والفاطميين الى اعتبارات سياسية بحتة ، دون الاتفاق الكامل فى الأسس العقائدية — أثره البالغ فيما نظن فى شكل التطور الذى اتخذته هذه العلاقة . فقد أخذت العلاقات بين الفاطميين والقرامطة فى التوتر شيئا فشيئا الى أن ادت الى قيام حرب بينهما فى مصر والشام فى سنة ٣٥٩ فى عصر المعز لدين الله الفاطمى . ولعل هذه الحرب كانت مظهرا من مظاهر التطور الخطير الذى اتخذه هذا الانشقاق العقائدى . فبعد أن استطاع الفاطميون الاستيلاء على مصر جنحوا الى سياسة الاعتدال ونبذوا التطرف والغلو الذى كانت تنطوى عليه عقائدهم فأحدثوا تبدلات جوهرية فى المذهب الاسماعيلى ارتدت به إلى الاعتدال ، بينما حافظ القرامطة على عقائدهم وتقاليدهم الثورية وأبوا أن يتقبلوا التبدلات التى أحدثها الفاطميون ، كما أن الفاطميين فى الناحية المقابلة ، وجدوا أن الاتحاد مع القرامطة ذوى السمعة السيئة البغيضة الى الناس كافة يحول دون سلامة دولتهم والأسرة الحاكمة واتساع سلطانها ( ١ ) . يقول الدكتور حسين الهمدانى ( ٢ ) : « كان النشاط الثورى الاسماعيلى فى هذه الفترة الخاصة فى التاريخ الاسلامى ( اوائل القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ) يتطور تدريجيا ولكنه ظاهر ملحوظ . فبتأسيس المهدى للدولة الفاطمية فى افريقيا اتخذت الحركة الاسماعيلية التى كانت تهدف الى تحقيق يقظة عقلية سياسية فى الاسلام وضعا أكثر محافظة وخطورة تجاه النظم الاسلامية القائمة حينذاك فالدعوة التى توخت تقويض دعائم الخلافة العباسية أصبحت تدافع عن

---

(١) ص ١٨٢ من الترجمة العربية The Origins of Ismailism pp. 85 — 86:

(٢) وهو أحد الباحثين المحدثين من الاسماعيلية .

ادعــاءات الفاطميين حتى اذا استكملت الدولة الفاطميــة قواها واستقر سـلطانها ، لحنا فى أعمال الدعاة فى هـذا العهد انحرافـا وتحولا عن مبادئهم الثورية والمتنقلة الى التسـامح فيهـا والتحرر منها ومماشـاة الرجعية ، فأصبح واجب الدعوة عندئذ أن تتولى مهمة الدفاع عن الخلافة ومساعدة الدولة معا ( ١ ) » .

وهـا نحن أولاء نرى أن الدعاة فى ايران قـد حافظوا على التقـاليد الثورية القديمة للحركة الاسماعيلية وحفظوا عقائدهم من التبدل الذى طرأ عليها أيام الفاطميين مثلهم فى ذلك مثل القرامطة .

وليس لدينا ما يثبت أن دعـاة الاسماعيلية فى ايران قـد اشتركوا فى مجابهة الفاطميين أو زجوا بأنفسهم فى خصومات سياسية معهم ، ولعـل السبب فى ذلك أنهم كانوا منشغلين بتوطيد دعوتهم وبثها بين النـاس ولم يكونوا قـد تمكنوا بعـد من تثبيت أقدامهم سياسيا كالقرامطـة . ولكن الثابت أن الدعاة فى ايران قـد حافظوا ، حتى ذلك الوقت ، على التقاليد الثورية القديمة للحركة الاسماعيلية ، وحفظوا عقائدهم من التبديل الذى طرأ عليها على يـد الفاطميين وهم بذلك قد نزعوا نزعة القرامطة وسلكوا سبيلهم فى المسـائل العقائدية .

والملاحظ أن بعض المؤرخين والفلاسـفة القدمـاء يشيرون الى وجود صلة بين الدعوة الاسماعيلية فى ايران فى طورهـا المبكر وبين القرامطـة

---

(١) Hamadani, H, Some Unknown Ismaili Authors and there works, J.R.A.S. 1933.

فى البحرين ، فالصـــولى يذكر فى كتابه « أخبار الراضى والمتقى ( ١ ) » ان مرداويج تحالف مع قرامطـــة البحرين ، وهـــذا دليل على وجودصلة سياســـية ، أمـــا أبو حيـــان التوحيدى فيشـــير فى كتابـــه « الامتـــاع والمؤانســـة ( ٢ ) » الى أن الدعوة فى الرى كانت تسير فيما يتعلق بالعقيدة الخاصـــة بالظاهر والباطن على النهج الذى ســـارت عليه دعوة القرامطة فى البحرين . وهـــذا يدل على اتفـــاق فى بعض الأسس والعقائد المذهبية الرئيسية .

غير أننا لا نستطيع أن نقول بوحـــدة الدعوة لكل من القرامطـــة ودعاة ايران أو بانتماء الدعوة فى ايران الى توجيـــه مركزى يتولاه القرامطـــة ، لعدم وجود أدلة على ذلك . وكل ما نستطيعان نقوله ان الفاطميين وحدهم خرجوا بما أحدثوه من تبدلات مذهبية ردت العقائد الاسماعيلية من التطرف الى الاعتدال ـــ خرجوا على اجماع الاسماعيلية فى المحافظة على التقاليد الثوريـــة القديمـــة .

ولكن الفاطميين ، كما سنرى فى الفصـــل التالى مباشرة ، لم يهدأ لهم بال ازاء هـــذا التطور الـــذى أدى الى حـــدوث الانشقاق الخطير الذى اودى بوحـــدة الحركة الاسماعيلية وحد من سلطانهم فى الرئاســـة المذهبية لكل المعتنقين للمـــذهب الاســـماعيلى . وسنرى كيف قـــام المعز لدين الله الفاطمى بمحاولة للامساك بزمام الحركة فى كافة الاقطار تحت ظل العقائد الجديدة التى تمخضت عما أحدثـــه الفاطميون من تبديل ؛ ومن أهمها تلك العقيدة التى تجعل الخليفة الفاطمى اماما من نســـل محمد بن اسماعيل .

---

(١) ص ٢٠ .
(٢) ج ٢، ص ١٦ .

ويقول ابن الجوزى فى المنتظم ( ١ ) فى حوادث سنة ٣١٣ بأن أبا القاسم الخاقانى الذى وزر للخليفة المقتدر بالله العباسى من سنة ٣١٢ الى سنة ٣١٣ : « لم يزل فى أيام وزراته يبحث عمن يدعى عليه من أهل بغداد أنه يكاتب القرمطى ويتدين بدين الاسماعيلية ، الى أن تظاهرت عنده الأخبار بأن رجلا يعرف بالكعكى ينزل فى الجانب الغربى رئيس للرافضة وأنه من الدعاة الى مذهب القرامطة ( فمضى ليقبض عليه فهرب ) وكان ذلك فى يوم الجمعة لست بقين من صفر فوجدوا فيه ثلاثين انسانا يصلون وقت الجمعة ، ويعلنون البراءة ممن يأتم بالمقتدر فقبض عليهم وفتشوا فوجدوا معهم خواتيم من طين أبيض ، يختمها لهم الكعكى عليها محمد بن اسماعيل الامام المهدى ولى الله » . وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن العقيدة القائلة بامامه محمد بن اسماعيل كانت لا تزال قائمة حتى ذلك الوقت فى بغداد نفسها ، ولم يكن عبيد الله المهدى يعتبر اماما لدى الاسماعيلية فى العراق والبحرين والشمال الغربى لايران اذ أننا نجد تطابقا بين الخواتيم التى عثر غليها الخاقانى الوزير مع هؤلاء الاسماعيلية فى بغداد وبين عملة آل مسافر التى تحدثنا عنها فيما سبق .

ويجدر بنا أن نذكر أن المسعودى يشير فى مروج الذهب الى أن الامام الزيدى الحسن بن على الأطروش من ملوك طبرستان المعروفين بالدعاة ( توفى سنة ٣٠٤ ) قد دعا الديلم والجيل الى الاسلام فاستجابوا واسلموا ( ٢ ) ، غير أن المسعودى يعود فيستدرك على قوله هذا ويشير الى أن الأمر يختلف « الآن ( ٣ ) فقد فسدت مذاهبهم ( يعني أهل منطقة ديلمان وجيلان ) والحد أكثرهم ( ٤ ) » .

ويبدو أن المسعودى يشير — فى هذا النص — الى انضمامهم الى صفوف الاسماعيلية .

---

(١) طبع حيدر آباد الدكن ج ٦ ص ١٩٥ .
(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٣٠ طبع بولاق .
(٣) يعنى فى سنة تأليفه كتاب مروج الذهب ، وهى سنة ٣٣٦ .
(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣١ .

**ثانيا — دعاة الاسماعيلية فى خراسان وما وراء النهر**

يمكننا أن نسرد أسماء الدعاة فى خراسان على النحو التالى : أبو عبد الله الخادم ، أبو سعيد الشعرانى ، الحسين بن على المروردى ، النسفى . يقول المقريزى فى اتعاظ الحنفا ( ١ ) : « وأما خراسان فقدم اليها بالدعوة **أبو عبد الله الخادم** فأول ما ظهرت بنيسابور » . ويرد إسم أبى عبد الله الخادم أيضا فى جامع التواريخ : « ومن دعاة خراسان وفقا للترتيب الزمنى ، أبو عبد الله الخادم وهو أولهم وهو من جهة أولاد ميمون القداح ( ٢ ) » .

ويقول أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى فى كتاب كنز الدرر ( ٣ ) نقلا عن الشريف أخى محسن : « وأما خراسان فان الذى قدم بهذه الدعوة الخبيثة رجل يعرف بأبى عبد الله الخادم وكان خادما لعبيد الله المهدى بالمغرب » .

وربما كان رشيد الدين والدوادارى متفقين فى اعتبار أبى عبد الله الخادم موفدا من قبل عبيد الله المهدى بالمغرب ، ذلك اذا كان رشيد الدين يعد المهدى من أولاد ميمون القداح . ولقد تولى أبو عبد الله الخادم أمر الدعوة بخراسان فى أوائل القرن الرابع ، أى فى خلال عهد عبيد الله المهدى ( ٢٩٧ — ٣٢٢ ) غير أننا لا نستطيع أن نجزم بأنه كان يدعو للدولة الفاطمية فى المغرب ، بل اننا على العكس من ذلك نكاد نقول بأنه لم يكن سوى داع

---

(١) اتعاظ الحنفا ، النسخة المصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٦ تاريخ . ورقة ٩١ .

(٢) جامع التواريخ ، الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ١٢ .

(٣) النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٨ تاريخ . ورقة ٦٦ .

للمذهب الاسماعيلى ولم يكن داعيا سياسيا يدعو لسيادة الدولة الفاطمية التى يرأسها المهدى ، ذلك لأن الدعوة كما بينا فيما سبق ( ١ ) لم تكن قد تحولت بعد عن واجبها الأساسى فى التبشير بالمذهب الى الدفاع عن الخلافة الفاطمية ومساعدة الدولة الفاطمية ، ذلك التحول الذى تجلى فيما يبدو فى عصر المعز الفاطمى .

والعجيب فى أمر الدعوة فى هذا الجزء من ايران أنه بينما ازداد نشاط دعاة الاسماعيلية فى شتى الأقطار الاسلامية منذ منتصف القرن الثالث الهجرى ، حوالى ٢٦٠هـ ، نجد أن اقليم خراسان ذا الأهمية القصوى بقى مهملا حتى بداية القرن الرابع . ويبدو أن الداعى غياث أحد دعاة الرى قد زار خراسان ( ٢ ) فى فترة سابقة على قدوم أبى عبد الله الخادم .

ويقول ابن النديم ( ٣ ) : « كان عبيد الله ( المهدى ) أنفذ فى سنة سبع وثلاثين ( صح سبع وثلاثمائة ( ٤ ) ) أبا سعيد الشعرانى الى خراسان فموه على القواد بذكر التشيع واستغوى خلقا كثيرا » . ويؤيد المقريزى الجزء الأخير من هذه الفقرة فيقول ( ٥ ) : « فاستخلف ( أبو عبد الله الخادم ) عند موته أبا سعيد الشعرانى وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح » ويقول عبد القاهر البغدادى ( ٦ ) : « وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعرانى فقتل بها فى ولاية أبى بكر ابن محتاج عليها » . ومن قول البغدادى يتضح لنا أن الشعرانى أقام

---

(١) أنظر النص الذى نقلناه فيما سبق عن الدكتور حسين الهمدانى ص ٦٤ — ٦٥ .

(٢) أنظر فيما سبق ص ٤٦ .

(٣) الفهرست ص ١٨٨ طبع ليبزج .

(٤) لأن المهدى توفى سنة ٣٢٢ ولم يدرك سنة ٣٣٧ .

(٥) اتعاظ الحنفا ، النسخة المصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٦ ورقة ٩١ .

(٦) فى الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ .

بنيسابور مثله فى ذلك مثل الرائد الأول للدعوة بخراسان أبى عبد الله الخادم . كذلك يتبين لنا ان الشعرانى قتل فى الفترة التى تولى فيها حكم خراسان ابو بكر محمد بن المظفر بن محتاج أحد أمراء الصغانيين ، وهى فترة تبلغ سبع سنوات تبدأ من سنة ٣٢١ وتنتهى فى سنة ٣٢٧هـ ( ١ ) .

ويستفاد من النص الذى نقله الدوادارى عن الشريف أخى محسن فى شأن دعاة الاسماعيلية بايران أن مكانة كل من عبد الله الخادم وأبى سعيد الشعرانى فى مراتب الدعوة لم تكن تتجاوز رتبة المأذون المطلق ( ٢ ) وهى المرتبة التاسعة من مراتب الدعوة العشر ( ٣ ) ومهمتها اخذ العهد والميثاق على المستجيب ، وهذا نصه : « فكان أحد من اجابه ( يعنى أبا عبد الله الخادم ) رجل يعرف بأبى سعيد الشعرانى ، فلما حضرت أبا عبد الله الخادم الوفاة جعله مكانه فى الأخذ على الناس ( ٤ ) » . لا نستطيع على ضوء هذه الفقرة أن نطلق حتى الآن على منطقة خراسان اسم « مركز الدعوة » أو حسب الاصطلاح الاسماعيلى « الجزيرة » وهى التى يتولى تصريف شؤون الدعوة فيها احد كبار الدعاة ولا تقل مرتبته عن « الحجة » يعاونه دعاة آخرون أقل مرتبة .

ويأتى بعد الشعرانى مباشرة داع كان له أكبر الأثر فى ازدهار الدعوة فى خراسان هو **الحسين بن على المروروذى** ، ذلك الذى قلنا فيما سبق (٥) انه لعب دورا كبيرا على مسرح السياسة فى ايران فى تلك الفترة .

---

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ١٩٦ ، ٢٦٧ طبع ليدن ، وحاشية الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى عن بنى المحتاج فى جهار مقاله ص ١٦٣ — ١٦٦ طبع ليدن .

(٢) وربما كان صغر مكانة هذين الداعيين سببا فى اغفال نظام الملك فى سياستنامه ذكرهما .

(٣) بينا هذه المراتب فيما سبق ص ٣٦ .

(٤) كنز الدرر ، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٨ تاريخ ج ٦ ورقة ٦٦ .

(٥) انظر ص ٤٦ فيما سبق .

ويقول نظـام الملك ( ١ ) ان غياث الباطنى كان قد تمكن من اجتذاب الحسين المروروذى الى صفوف الباطنية ، وكان ذلك فى أثناء فرار غياث الى خراسان . ويبدو أن انضمام المروروذى الى صفوف الاسماعيلية قد حدث فى السنوات الأخيرة من القرن الثالث ( ٢ ) .

وترد أخبار الحسين المروروذى فى « زين الأخبار » للكرديزى ، وتاريخ الكامل لابن الأثير من حيث علاقته بالسامانيين فقط ، ولكن المصدرين المذكورين لا يمداننا بمعلومات عن حياته فى الفترة التى سبقت اتصاله بالسامانيين . وقبل بداية القرن الرابع بقليل أرسل أبو نصر أحمد بن اسماعيل السامانى جيشا بقيادة الحسين ابن على المروروذى للاستيلاء على سجستان وصاحبها أحد أمراء الصفاريين فاستولى عليها . وفى سنة ٣٠٠ انفذه الأمير أحمد السامانى مرة اخرى لفتح سجستان فتمكن من الاستيلاء عليها ثم عاد الى بخارى فى نفس السنة ( ٤ ) . وكان الحسين يأمل فى ضم حاكم سجستان الى صفوف الاسماعيلية لكنه أخفق . ولما قتل الأمير السامانى أحمد بن اسماعيل أظهر الحسين العصيان بهراة سنة ٣٠١ . واتفق مع المنصور بن اسحاق ( ٥ ) على المخالفة فاستولى المنصور على نيسابور وخطب له بها . فلما مات منصور استخلف الحسين بهراة أخاه منصور بن على واستولى على نيسابور . فسير السامانيون اليه أحمد بن سهل لمحاربته فابتدأ بهراة فحصرها واستولى عليها ثم سار الى نيسابور ونازل الحسين

---

(١) سياستنامه، طبع شفر ص ١٨٧ ، طبع طهران ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) The Early Ismaili Missionaries ... P. 52.

(٣) الكرديزى ص ٢٤ ، ابن الأثير ج ٨ : ٤٥ طبع ليدن « فى المحرم سنة مائة وتسعين » .

(٤) الكرديزى ، أيضا .

(٥) أحد أمراء السامانيين وهو ابن عم الأمير أحمد بن اسماعيل السامانى .

ابن سهل وأرسله الى بخـارى حيث حبس بهـا الى أن خلصـه الوزير أبو عبد الله الجيهانى ، فعاد الحسـين الى خـدمة الأمير نصر بن أحمد وكان يحضر مجالسـه ( ١ ) .

وبعد وفاة أبى سعيد الشعرانى ( ٢ ) تولى المروروذى تصريف شؤون الدعوة بخراسان ويقول رشيد الدين فضل الله بأن المروزى ( أو المروروذى ) تمكن من أن يضم الى صفوف الاسماعيلية الأمير نصر بن أحمد السـامانى ووزيره محمد بن موسى البلخى ( ٣ ) فكـان كلاهما خير معين ومسـاند لهـذه الدعوة ( ٤ ) . غير أن هـذا الفعـل ينبغى أن ينسب الى النسفى خليفة المروروذى . وعن الحسـين هـذا ينقل ابن النديم فى الفهرست فى أخبـار أبى زيد البلخى المتوفى سنة ٣٢٢ عبارة نصها : « حكى عن أبى زيد أنه قال كان الحسين بن على المروروذى وأخوه صعلوك يجرى على صلات معلومة دائمـة فلما أمليت كتـابى فى البحث عن التأويلات قطعها عنى ، وكان لأبى على الجيهانى وزير نصر بن أحمد جوارى يدرها على فلما أمليت كتـابى القرابين والذبائح حرمنيها ، وكان الحسين ( المروروذى ) قرمطيـا وكان الجيهانى ثنويا ( ٥ ) » .

---

(١) الكرديزى ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ . وابن الأثير ج ٨ ص ٤٥ — ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٦ طبـع ليدن . ويبدو أن معلوماتهما المتقاربـة الى حد بعيد من حيث الشـكل والمضمون مستمدة من مصـدر واحد لعله تاريخ ولاة خراسـان « للسلامى » . أنظر حواشى الأستاذ القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٤٤٨ — ٤٤٩ وكتاب Turkestan Down to the Mongol Invasion p. 10 by Barthold.

٢) لا نعرف على وجه التحديد متى حدثت وفاته .

٣) لا يرد ذكره فى المصادر التى بين ايدينا .

٤) جامع التواريخ ، الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ١٢ .

٥) الفهرست ص ١٣٨ .

ويستفاد من عبارة في «سياستنامه» عن تولى النسفي خلافة المروروذى في الدعوة بخراسان أن الحسين قضى أيامه الأخيرة في مرو الرود بخراسان ، وهذا هو نص نظام الملك : « لما قاربت حياته ( يعنى المروروذى ) على الانتهاء فوض أمر الدعوة لمحمد بن أحمد النخشبى ( النسفي ) وجعله نائبا له ، وكان النسفي أحد فلاسفة خراسان ومن المتكلمين ، فأوصاه الحسين ببذل جهده ليترك نائبا عنه في خراسان ، ويعبر هو نهرجيحون ويذهب الى بخارى وسمرقند فيدعو الناس بهما الى المذهب وأن يركز جل اهتمامه على اجتذاب بعض الأعيان في بلاط أمير خراسان نصر بن أحمد الى المذهب (١) ». ولقد عمل النسفي بوصية المروروذى ، فتوجه الى ما وراء النهر ، رغم ما أصاب من نجاح في خراسان حيث استطاع أن يضم الى زمرة الاسماعيلية خلقا كثيرين منهم « بسر سواده » أي ابن سوداه الذى هرب من الرى الى خراسان فجعله النسفي خليفة له بمرو الرود . ثم عبر جيحون وسار الى بخارى فلم يواته الحظ بها فغادرها الى نسف حيث تمكن من أن يجتذب أبا بكر النسفي نديم أمير خراسان نصر بن أحمد وقام أبو بكر بدوره باجتذاب جماعة من المقربين الى الأمير ، ودخلوا جميعا في زمرة الاسماعيلية .

علينا أن نعود الى الوراء قليلا لنحاول التعرف على شخصية النسفي وقدراته كداع من دعاة الاسماعيلية . هو محمد بن أحمد النسفي ( أو النخشبى ) ولعلنا نستطيع أن نقول استنادا الى نسبته التى ذكرها البغدادى في الفرق بين الفرق انه ولد في بزدا (٢) ، وهى قرية كبيرة من

---

(١) سياستنامه ص ١٨٨ طبع شفر ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ طبع طهران .

(٢) ص ٢٧٧ حيث كتبت محرفة ( البزدهى ) وصححتها ( البزدوى ) كما وردت في الطبعة الأولى لكتاب التبصير في الدين للاسفراينى ص ٨٤ أما ايفانوف في Studies in Early Persian Ismailism p. 117, and in a Guide To Ismaili Litrature p. 35. فيسميه البردعى .

أعمال نسف وتقع على مقربة منها (١) . ولقد رأينا نظام الملك يقول ، فى نصه الذى نقلناه فيما سبق مباشرة ، عن النسفى انه كان أحد الفلاسفة والمتكلمين فى خراسان ، والحقيقة أن هذا الداعى لعب دورا هاما فى تاريخ الفلسفة الاسماعيلية (٢) . فلقد استطاع بما بذل من جهود فى تأليف الكتب أن يفلسف المذهب الاسماعيلى على ضوء أصول الأفلاطونية الحديثة (٣) . وظل الاسماعيلية فى ايران يحذون حذوه وينهجون نهجه الفلسفى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فلقد كانت فلسفته هذه هى أساس النظام الذى انتهجه كل من أبى يعقوب السجستانى وناصر خسرو فى مؤلفاتهما ( ٤ ) . ومن أشهر مؤلفات النسفى كتاب « المحصول » ويبدو أنه من الكتب التى تعرضت لشرح أصول المذهب الاسماعيلى ( ٥ ) . وعن ذلك الكتاب ينقل البغدادى ( ٦ ) قول النسفى : « ان المبدع الأول أبدع النفسى . ثم ان الأول والثانى مدبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع » . ويعقب البغدادى على هذا الادعاء بقوله « وهذا فى التحقيق معنى قول المجوس : ان اليزدان فاعل الخيرات واهرمن فاعل الشرور ( ٧ ) » ولقد فقد ذلك الكتاب فى الوقت الحاضر كلية ، ولا نعرف عنه شيئا الا عن طريق الكرمانى ،

---

(١) ياقوت ج ١ ص ٦٠٤ بارتولد Turkestan, 156 — 137

(٢) ومن الغريب أن النسفى غير معروف للاسماعيلية المحدثين ( انظر ايفانوف A Guide ص ٣٥ ) .

(٣) Ivanow, Studies in Early Persian Ismailism p. 117.

(٤) Stern, The Ismaili Missionaries, p. 79.

(٥) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص ٤٧١ .

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٧) وهى عقيدة الثنوية التى تحدثنا عنها من قبل وقلنا ان الاسماعيلية يصلون اليها فى المرتبة السابعة من مراتب الدعوة ، انظر ص ٣١ فيما سبق .

داعى الدعاة فى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمى ، فى كتاب « الرياض » . وكان النسفى فى ذلك الكتاب يحاول التوفيق بين ابى حاتم الرازى وزميله أو تلميذه أبى يعقوب السجستانى (١) . ومن الكتب الأخرى التى ألفها النسفى كتاب « عنوان الدين » وكتاب « أصول الشرع » وكتاب « الدعوة المنجية » وكتاب « كون العالم » وهو خاص بالفلك ووصف العوالم ، الا أنه مؤسس على المبادىء الدينية ، وقد عثر عليه ضمن مجموعة خاصة ( ٢ ) .

والواقع أن انتقال النسفى من خراسان الى ما وراء النهر كان بداية النجاح الحقيقى للدعوة فى تلك المنطقة من ايران ، فلقد استطاع النسفى، من مقره فى نسف ، أن يستولى على لب ابى بكر النسفى مواطنه المشهور، والأشعث الكاتب الخاص للأمير نصر بن أحمد ، وأبى منصور الجغانى قائد الجيش ، وآيتاش الحاجب الخاص ، وحسين ملك والى ايلاق وعلى زراد ( ٣ ) . وقد عمل هؤلاء جميعا على ايقاع الأمير نصر بن أحمد فى حبائل النسفى ، فكانوا يذكرونه أمام الأمير بالاعجاب والتقدير على أنه من أهل الفضل والعلم حتى استبد الشوق بالأمير الى رؤيته فحملوه اليه . وانتهى الأمر باستجابة نصر بن أحمد لدعوة النسفى . وبذلك صار النسفى صاحب الأمر والنهى فى الدولة السامانية فى تلك الفترة . واغتنم هذه الفرصة وضاعف جهوده فى جذب الناس الى المذهب الاسماعيلى وبلغت به الجراة ان أظهر الدعوة علانية . وأغرم نصر بن أحمد دية الحسين

---

(١) Hamadani ,Some Unknown Ismaili Authors and Their Works, J.R.A.S. 1933.
Ivanow, A Guide p. 56.

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٨٩

(٣) هذه القائمة منقولة عن سياستنامه ، وليس لدينا معلومات عن الشخص الأخير ( على زراد ) أما عن قائد الجيش فانظر ص ٣٢٠ ، وعن آيتاش الحاجب ص ٢٢٧ ، وعن والى ايلاق ص ٢٣٣ من كتاب Turkestan Down to the Mongol Invasion by Barthold.

المروروذى فقد كان نصر ، قبل ظهور النسفى ، من أكبر معارضى المذهب فقبض على الحسين المروروذى وسجنه حتى مات. (١) . وقد بلغت هذه الدية فى قول ابن النديم (٢) ١١٩ الف دينار ، وزعم النسفى أنه مرسل هذا المبلغ الى صاحب المغرب القيم بالأمر وهو عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى . مما أدى الى استياء كبار رجال الدولة وأصحاب الجيش والعلماء فتضافرت جهودهم جميعا للقضاء على هذا المذهب .

ولقد أصيبت الاسماعيلية فى ما وراء النهر بنكبة على يد نوح بن نصر المذكور . ولدينا روايتان فى سبب هذه النكبة : الأولى رواية نظام الملك ( ٣ ) ومؤداها أن قواد نصر من الأتراك السنة دبروا مؤامرة لازالة العرش السامانى والقضاء على نصر بن أحمد بسبب انضمامه الى المذهب الاسماعيلى ، وأقاموا حفلا كبيرا فى قصر الأمير يستطيعون من خلاله تنفيذ هذه المؤامرة . غير أن المؤامرة تكشفت للأمير قبل تنفيذها بمدة قليلة . فتمكن الأمير نصر بن أحمد وابنه نوح من القضاء على رأس المؤامرة وهو كبير القواد ، ثم أعلن نصر أنه خلع نفسه وولى ابنه نوحا بدلا منه . ولقد حشد نوح قوى الدولة جميعها للقضاء على الدعوة الاسماعيلية ودعاتها فيما وراء النهر وخراسان فى تلك الفترة .

أما رواية ابن النديم فتصور حدوث نكبة الاسماعيلية فى تلك المنطقة على نحو آخر اذ يقول بأن نصر بن أحمد لحقه سقم طرحه على فراشه فندم على اجابته للنسفى واندفاعه وراءه ، فأظهر ذلك ومات . وعلى أثر وفاته جمع ابنه نوح الفقهاء لمناظرة النسفى . فلما ناظروه وأفحموه قتله نوح وقتل معه رؤساء الدعوة ووجوهها من قواد نصر الذين دخلوا فيها ، ومزقهم كل ممزق ( ٤ ) .

---

(١) التبصير فى الدين ص ٨٤.

(٢) الفهرست ص ١٨٨ .

(٣) وهى رواية طويلة ، انظر سياستنامه طبع شفر ص ١١٨—١٩٣، طبع طهران ص ٢٢٣ — ٢٢٨ .

(٤) الفهرست ص ١٨٨ ، وانظر

Barthold, Turkestan p. 241 - 245.

حيث يناقش نص ابن النديم ونظام الملك .

وبالنسفى تنتهى قائمة الدعاة فى خراسان وما وراء النهر ، كما انتهت قائمة الدعاة فى الرى بخليفة أبى حاتم الرازى ، وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن القائمتين ترجعان الى أصل واحد كتب فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

وتتجلى لنا صعوبات جمة فى التعرف على الدعاة التالين مباشرة لهؤلاء ، اذ لا ريب فى أن الدعوة أصبحت تباشر مهمتها فى الخفاء بعد اصابتها بهذه المحن المتلاحقة ، فالغموض يحيط من كل جانب بدعاة الفترة التالية المشتملة على النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، فلا نكاد نعرف شيئا عن حياة الداعى المشهور بمؤلفاته الاسماعيلية **أبى يعقوب السجستانى** . فمصادرنا تحدثنا بأسماء الكتب التى ألفها (١) ، وما زال بعضها موجودا (٢)، بل ان بعضها طبع (٣) الا أن هذه المصادر تسكت تماما عن ذكر ما يجعلنا نتعرف على نشأته ومرتبته فى الدعوة ونشاطه فى نشرها . ولا ضير من أن نورد بعض اشارات متفرقة عن بعض هذه المصادر تعيننا على معرفة بعض ملامح حياته ، ولقد قلنا فيما سبق (٤) انه ربما كان أبو يعقوب قد قضى الشطر الأول من حياته فى خدمة الدعوة كرئيس لها فى الرى ، وربما حدث هذا فى الثلث الأول من القرن الرابع . ثم انتقل لرئاسة الدعوة فى خراسان بعد النسفى الذى توفى سنة ٣٣٢ . ولعله كان يتولى رئاسة الدعوة فى كل من الرى وخراسان (٥) .

---

(١) انظر كتاب ما للهند للبيرونى ص ٣٢ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦٧ ، وزاد المسافرين لناصر خسرو ٤٤ .

(٢) A guide to Ismaili Litrature pp. 33 - 35.

(٣) مثل كشف المحجوب وهو مؤلف باللغة الفارسية ، وقد نشره هنرى كوربن .

(٤) ص ٥٨ .

(٥) Ismaili Missionaries p. 80.

وهناك اشارة عابرة ذكرها ناصر خسرو فى كتاب « خوان الاخوان » وهى : كان دهقان بن الشيخ الشهيد ( يعنى النسفى ) وصاحب جزيرة حزلان ( صح : خراسان ) بعد يعقوب ( السجستاني ) يقول . . . الخ (١) » وبهذا يتبين لنا أن يعقوب كان يتولى رئاسة الدعوة فى خراسان أما بعد النسفى مباشرة واما بعده بفترة ضئيلة .

أما عن الفترة الأخيرة من حياة أبى يعقوب فيقول رشيد الدين فضل الله : « وبعد هذا العصر كان داعى سيستان هو اسحاق السجزى الملقب بجيسفوح ( ٢ ) ، وقد قتل على يد الأمير خلف بن أحمد السجزى » وكان خلف بن أحمد من الطبقة الثانية من ملوك الصفاريين وقد تولى حكم خراسان فى سنة ٣٥٣ ، وتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، ويؤيد ذلك عبارة وردت فى كتاب التبصير فى الدين لأبى حامد الاسفراينى يقول فيها أن أبا يعقوب السجزى اقام دعوته بناحية سجستان ، لذا فاننا ينبغى أن نرد نص الاسفراينى الى تلك الفترة ، وهى النصف الثانى من القرن الرابع (٣) .

ولا يمكننا ان نقرر على وجه التحديد تاريخ وفاة أبى يعقوب السجستانى ، ولكنه — طبقا لنص رشيد الدين — لا بد وان يكون قد توفى بين الحاصرتين المذكورتين ( أى من سنة ٣٥٣ — ٣٩٣ ) وهى الفترة التى تولى فيها خلف بن احمد السجزى حكم خراسان ( ٤ ) .

---

(١) طبع يحيى الخشاب ١١٢ ، القاهرة ١٩٤٠ .

(٢) ولكن البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ٦٧ يقول بأنه كان معروفا ببندانه .

(٣) حتى لا نتوهم أن أبا يعقوب كان رئيسا للدعوة فى سجستان فى أثناء حياة النسفى .

(٤) Walker, The Coinage of the Second Soffarid Daynasty in Sistan, p.p. 15 - 20.

ويشير رشيد الدين الى : « **أبو محمد المؤدب** كان داعيا آخر فى خراسان ( ١ ) » دون أن يزودنا بأية معلومات أخرى عن هذا الداعى .

وتسكت مصادرنا عند هذا الحد عن ذكر أسماء دعاة آخرين فى هذه المنطقة وينتج عن ذلك فراغ يمتد من الربع الأخير من القرن الرابع تقريبا حتى سنة ٤٤٤ عندما عاد ناصر خسرو من رحلته المشهورة ليتولى منصب الحجة فى خراسان ( ٢ ) .

* * *

ذكرنا فى بدء هذا الفصل أن دعاة الاسماعيلية ركزوا جهودهم فى الدعوة على المناطق المصطبغة بالصبغة الشيعية ، ولم تكن هذه هى الميزة الوحيدة التى ميزت الدعوة الاسماعيلية فى ايران فى ذلك الوقت المبكر ، بل اننا نلاحظ أن الدعوة فى تلك المناطق قد اتجهت اتجاها مخالفا للدعوة فى المناطق الأخرى من العالم الاسلامى . اذ بينما كان الدعاة فى البحرين واليمن وشمال افريقيا يهدفون الى كسب ركيزة شعبية من بين أبناء الطوائف الكادحة ليستعينوا بها فى القضاء على النظم القائمة ، نجد الدعوة فى ايران على العكس من ذلك تتجه بصفة خاصة الى الطبقات الحاكمة ونرى الدعاة يعولون فى المقام الأول على دعوة أفرادها .

ولقد لاحظنا فيما سبق أن أول الدعاة المعروفين لنا فى الرى ، وهو الداعى خلف الحلاج ، بدأ نشاطه بحملة دعاية واسعة بين سكان المناطق الريفية ، ولكننا نجده يفشل فى الحصول على نتائج مماثلة لما حصل

---

(١) جامع التواريخ ص ١٢ .
(٢) هذا اذا أغفلنا الداعى الذى ذكره بيان الأديان ، وهو محمد أديب وسنبدأ الفصل التالى بمحاولة تحديد عصره .

عليه دعاة آخرون فى مناطق أخرى من العالم الاسلامى بل نجده يلجأ أخيرا الى المجتمع الحضرى فى الرى ( ١ ) . ولقد انتهج دعاة خراسان وما وراء النهر منذ البداية نفس السياسة التى اتبعها زملاؤهم في الرى اذ انهم صرفوا كل هممهم الى جذب الحكام وأصحاب المناصب العالية فى الدولة السامانية الى المذهب الاسماعيلى ، وقد ترك أبو سعيد الشعرانى مكانه للحسين بن على المروروذى الذى كان من طبقة الأشراف ( ٢ )

فلا مجال للمقارنة اذن بين ما أصاب دعاة الاسماعيلية من نجاح فى السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجرى وفى بداية القرن الرابع وبين الجمود الذى منيت به الدعوة فى ايران فى تلك الأثناء ، فلقد حقق الدعاة فى تلك الفترة طفرة هائلة حقا فى معظم اجزاء العالم الاسلامى حيث ظهر زكرويه فى العراق ، وصاحب الشامة فى الشام ، وأبو سعيد وأبو طاهر فى البحرين ، ومنصور اليمنى وعلى بن الفضل فى اليمن ، وأبو عبد الله الشيعى فى شمال افريقية . على عكس الحال فى ايران التى نجح دعاتها فى الحصول على تأييد طائفة لا يستهان بها من بين حكامها الا أن هذه الوسيلة أدت بالدعوة هناك الى نتائج سيئة للغاية والحقت بها كوارث متتابعة .

وربما كان السبب فى اتجاه الدعوة فى ايران نحو دعوة الطبقات الحاكمة هو اخفاق الدعاة فى كسب عدد كاف من المستجيبين المتحمسين لتغيير الأوضاع السياسية القائمة . ويبدو أن سبب هذا الاختلاف فى وسيلة الدعوة بين دعاة ايران وبين غيرهم يرجع الى الاختلاف الذى كان

(١) Stern, The Early ....p. 81.

(٢) الترجمة الفارسية ص ١١ Stern, The First Apprearancé of Ismailism p. 10.

قائما فى البناء الاجتماعى بين ايران وبين غيرها من البلاد . فنحن نجد القبائل هى أساس العصبية التي استندت اليها الدعوة فى كل من اليمن وشمال افريقية . ونجد طوائف الزراع والصناع ، التى كون منها الاسماعيلية النقابات ( ١ ) ، هى الأساس الذى استندت عليه الدعوة فى العراق والبحرين . ولم يكن فى ايران ركيزة تستند عليها الدعوة أقوى من الأسر الفارسية العريقة ذات التأثير الشديد على نفوس الفرس ، تلك الأسر التى كانت تحكم المناطق التى تقيم بها كنواب عن خلفاء بنى العباس ( كالسامانيين وآل مسافر ) . أو من الحكام الذين كانوا يعينون من قبل الخليفة ببغداد ( مثل أحمد بن على ) أو من القواد ذوى القدرة الفائقة على احداث تغييرات سياسية ( كأسفار ومرداويج ) .

واذا كنا نعتبر أن الجانب السياسى للدعوة فى الشمال الغربى لايران وفى خراسان وبلاد ما وراء النهر قد أصيب بالاخفاق حتى ذلك الحين ، فاننا لا نستطيع أن نغمط هذه الدعوة حقها فيما قام به دعاتها من جهود فى سبيل توطيد المذهب الاسماعيلى واثرائه بالمؤلفات الفلسفية القيمة . ويعد أبو حاتم الرازى والنسفى وأبو يعقوب السجستانى من أهم مؤلفى الاسماعيلية . ولكن الفترة التالية تشهد تغييرا عميقا فى طريقة الدعوة وفى أساليبها مما يدل على هبوب رياح جديدة لم تكن معهودة من قبل . وسيكون هذا التغيير الذى طرأ على الدعوة الاسماعيلية فى ايران موضع بحث لنا فى الفصل التالى .

* * *

---

(١) يرى ماسينيون فى كتابه Passion d'al Halladj أن الحركة القرمطية هى التىأوجدت النقابات الاسلامية وأن دعاة الاسماعيلية اتخذوا من هذه النقابات سلاحا يشهرونه فى كفاحهم لجمع العمال فى العالم الاسلامى ولتكوين قوة منهم تستطيع قلب نظام الخلافة وكل ما يمثله هذا النظام ، بينما يرى الدكتور عبد العزيز الدورى أن تنظيمات أهل الحرف كانت موجودة قبل الحركة الاسماعيلية . وان كل ما فعله الاسماعيلية هو العناية بهذه النقابات والتأثير فى تنظيمها لا فى تكوينها ( انظر مقدمة الدكتور عبد العزيز الدورى لكتاب أصول الاسماعيلية ص ٢٤ — ٢٥ ) .

# الفصل الخامس

## دعـــاة الفاطميين فى ايـــران

لا شك أننا نعتبر أنفسنا سعداء لأن اثنين من كبار الدعاة فى الفترة التى سنتحدث عنها فى هـــذا الفصـــل ، وهما المؤيد فى الدين هبـــة الله الشيرازى وناصر خسرو العلوى ، قد درسا بعناية اثنين من كبار الباحثين المصريين : فقد كان للمرحوم الدكتور محمد كامل حسين الفضـــل الأول فى التعريف بالمؤيد ( ١ ) . كما كان للدكتور يحيى الخشاب الفضل الأكبر في بيان ما لناصر خسرو من أهمية فى عالمى الفلسفة والأدب ( ٢ ) . لذلك لن نجد أنفسنا ، فى هذا الفصل ، فى حاجة الى الأطناب والتطويل الذى اضطررنا اليه فى الفصل السابق من جـــراء الغموض الذى يحيط بالدعـــاة .

* * *

لقد لاحظنا فيما سبق أن الدعوة سارت فى الشمال الغربى لايران بعيدا عن التطور الذى لحق بالمذهب الاسماعيلى على أيدى الفاطميين ، وظلت حتى منتصف القرن الرابع الهجرى محافظة على عقائدها الأصلية وأهمها العقيدة المتعلقة برجعة محمد بن اسماعيل وبأنه المهدى المنتظر

---

(١) نشر الدكتور محمد كامل حسين ديوان المؤيد مع مقدمة ضـــافية عن حياته وآثاره كما نشر السيرة المؤيدة التى كتبها المؤيد نفســـه عن حيـــاته .

(٢) وذلك فى كتاب عن ناصر خسرو بالفرنسية ، وقد لخص ما ورد به فى مقدمته لترجمة سفرنامه ، كما قام ايفانوف فى كتابه عن ناصر خسرو بالانجليزية بتوضيح ما ذهب اليـــه الدكتور الخشـــاب من آراء بالنسبة لناصر خسرو .

ولا أمام بعده . وهذا يجعلنا نرجح أن الدعـــوة فى ايران لم تكن تلقى سندا فعليا من جانب الفاطميين ( ١ ) . غير أننا اذا تساءلنا عن السبب الذى أدى الى التغيير الذى سنلمسه فيما يلى من صفحات ، فى وسائل الدعوة وأســاليبها فى ايران فى الفترة التالية ، فاننا نلاحظ من أول وهلة أن هذا التغيير يعتبر أثرا مباشرا للتعديل الذى طرأ على سياسة الدعوة ضد الفاطميين منذ عصر المعز لدين الله الفاطمى ، ذلك التعديل الذى آتى ثماره فى ايران فى عصر المستنصر بقيام دولة للاسماعيلية على يد الحسن ابن الصباح .

ويبدو أن الاهتمام الفعلى من جانب الفاطميين بالدعوة فى ايران بدأ فى عصر المعز لدين الله ( ٣٤١ — ٣٦٥ ) الذى يقول : « ومع هذا فما من جزيرة فى الأرض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ، ويدلون علينا ، ويأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنـــا وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن ، وفى كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ( ٢ ) » . ولقد وصل اهتمام المعز بالدعوة فى ايران درجة جعلته يستقبل بنفسه بعض دعـــاتها ليلقى عليهم تعاليم لشد ما كانت دهشتهم عنــدما وجدوها مخالفة لمـــا

(١) ولكننا لا نستطيع أن ندرك السر فى اهتمـــام الفاطميين بالدعوة فى منطقة أخرى هى أبعد موقعا من ايران ، وهى السند ، فى ذات الوقت الذى أهملوا فيه الدعوة فى ايران ولم يعطوها حظها من العناية والاهتمام وتركوا فيها الدعاة نهبا لتقلبات الحكام وضراوة الفرق المخالفة ( عن الدعوة فى السند انظر Ismaili Propaganda and Fatimid Rule In Sind, by Stern, Islamic Culture 1949, p.p. 298 - 307.

Ismaili Notes 11, by Lewis, B.S.O.A.S. 1948 p.p. 599 - 600.

(٢) من خطاب للمعز لدين الله الى الحسن القرمطى ، أورده المقريزى فى اتعاظ الحنفا طبع الدكتور جمال الدين الشيال ، ص ٢٦٠ .

تلقوه عن شيوخهم بالمشرق ، فالقاضى النعمان يخبرنا فى كتابه المجالس والمسايرات بأن « بعض الدعاة بالمشرق سألوا المعز لدين الله فى بعض مسائل فأجاب عنها بأجوبة تختلف عما سمعه هؤلاء الدعاة من شيوخهم فى المشرق ( ١ ) » .

ولم يكن التغيير الذى طرأ على وسائل الدعوة وأساليبها فى ايران ، ذلك التغيير الذى سنشاهد ملامحه فيما يأتى من صفحات ، تغييرا داخليا نتج عن تغير فى البناء الاجتماعى لتلك البلاد ، ولكنه كان أثرا من آثار تعديل السياسة العامة للدعوة لدى الفاطميين حيث اتجهت اهتماماتهم منذ عصر المعز الى خارج حدود مصر والمغرب وشملت سائر الأقطار ومن بينها ايران . ولذلك نرى كافة المصادر التى اعتمدنا عليها فى هذا الفصل تطلق على دعاة هذه الفترة « دعاة المصريين » أو « دعاة الفاطميين ( ٢ ) » .

ويذكر أبو المعالى فى بيان الأديان ( المؤلف فى سنة ٤٨٥ ) داعيا قبل ناصر خسرو هو « **محمد أديب ( ٣ )** » ، ويقول عنه انه كان يمارس نشاطه فى غزنة ( عاصمة الغزنويين ) . ولا يحدد لنا تاريخ مباشرة هذا الداعى لنشاطه هناك ولا تاريخ وفاته . ولكننا نستطيع أن نقول انه يبدو أن هذا الداعى كان يعيش بعد وفاة محمود الغزنوى الذى عرف بتعصبه البالغ لسنيته ، وبعدائه الشديد للاسماعيلية .

---

(١) عن الدكتور محمد كامل حسين فى مقدمته على سيرة الأستاذ جوذر ص ١٨ .

(٢) ولقد تابعنا المصادر فجعلنا اسم «دعاة الفاطميين» عنوانا لهذا الفصل .

(٣) هل يمكن أن يكون هذا الداعى هو نفسه أبو محمد المؤدب الذى ذكره رشيد الدين دون أن يمدنا بأية معلومات عنه ؟ ( انظر جامع التواريخ القسم الخاص بالاسماعيلية ص ١٢ ) .

وقـد تولى محمود الغزنوى بعـد وفاة أبيه سبكتكين فى سنة ٣٨٨ واستطاع بفضـل ما أوتى من عبقرية حربية خارقة ، وموهبة سياسية فائقة أن يغلب السـامانيين على أمرهم وأن يغزو الهند وأن يوسـع مملكته التى ورثها حتى شملت افغانستان وما وراء النهر وخراسـان وطبرستان وكشمير وجزءا كبيرا من الولايات الواقعـة فى الشمال الغربى من الهند .

ولقد أدرك الفاطميون أن استمالة محمود الغزنوى أمر جدير بالمحاولة ، فهو أقوى رجل فى المعسكر السنى فى زمانه ، وكسبه نصر سياسى لا يعوض للفاطميين ، وانهيار أسـاسى فى قوى الخليفة العباسى ، ومحمود الغزنوى أيضـا فاتح بلاد الهند وناشر الإسلام بها فاجتذابه الى صفوف الاسماعيلية يحقق نصرا كبيرا للدعوة اذا اعتنق المسلمون الجـدد الاسلام على مذهب الاسماعيلية . ولقد نفذت هذه المحاولة كما يقول ابن الأثير ( ١ ) فى أوائل عصر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى ( ٤١١ — ٤٢٧ ) . فقـد استقبل السـلطان محمود الغزنوى بهراة رسولا أرسـله الظاهر يقال له التاهرتى ( ٢ ) ، وقبل مقابلته للسـلطان فتش الرسول فعثر معه على « تصانيف الباطنيـة وأموالهم » ، فجمع له السـلطان أصول المملكة من السـادات والكبراء والقضـاة والفقهاء لمناظرته وكان منهم الحسـن بن ظاهر بن مسلم العلوى فصغر شـأن التاهرتى وانتهى الأمر بقتله ( ٣ ) .

ولقد أرسـل محمود الغزنوى رسولا الى القادر بالله الخليفة العباسى ومعه الخلع التى أحضرها التاهرتى كما أرسـل معه رسـالة يقول فيها للقادر : « أنا الخـادم الذى أرى الطاعة فرضـا » وقد ذكر فى الرسالة قصـة

---

(١) ج ٩ ص ١٤٥ طبع مصر .

(٢) انظر ابن عنبه فى «عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب» النسخة الخطية بدار الكتب المصرية برقم ١٨٠ تاريخ ورقة ٧١ ب .

(٣) أيضـا .

أرســـال هذه الخلع اليه وأنه مسيرها الى بغداد ليتصرف فيها الخُليفة كيف يشاء ، فأحرقت وخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بنى هاشم (١).

وقد ظل الســلطان محمود البقية الباقية من حياته على كرهه الشديد للاسماعيلية ومقته لمذهبهم ، فقبل وفاته بسنة واحدة سار ( فى سنة ٤٢٠ ) نحو الرى وبلاد الجيل وكان حاكمها مجد الدولة البويهى ، فاستولى محمود عليهـــا ، : « وصـــلب من أصحابه ( يعنى مجـــد الدولة ) الباطنية خلقـــا كثيرا ( ٢ ) » . وهـــذا كله ان دل على شيء فانما يدل على أن الفاطميين لم يتمكنوا من اجتـــذاب محمود الغزنوى الى صفوفهم فظل محافظـــا على مذهبـــه السنى وتبعيته للخليفة العباسى فى بغداد ، بل لقد رأيناه أشـــد ضراوة على الاسماعيلية فى أخريات حياته لمـــا صلب فى الرى عددا كبيرا منهم . وازاء هـــذا لا نستطيع القول بأن الداعى المذكور محمد أديب ، كان يجرؤ على مباشرة نشـــاطه فى عصر محمود وفى حاضرته غزنة ، فلابد اذن انه تولى هذا المنصب بعد وفاة محمود فى سنة ٤٢١ ( ٣ ) .

ويستفاد من عبارة أبى المعـــالى فى بيان الأديان ، القـــائلة بأن محمد أديب كان داعى الفـــاطميين فى غزنة ، أن الفـــاطميين لم يتوقفوا عن بث الدعاة فى هـــذه المنطقة بعد ما أصـــاب رسولهم التاهرتى على يد محمود

---

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٤٥ .

(٢) ابن الأثير ، أيضا ص ١٥٤ .

(٣) هذا فضلا عن أن سياق عبارة أبى المعالى فى بيان الأديان ( المؤلف فى سنة ٤٨٥ ) يدل على أن محمد أديب كان قريب العهد من المؤلف بل نفهم أن هذا الداعى كان سابقا مباشرة على ناصر خسرو ، فهو يقول ( ص ٣٥ من الأصل الفارسى ، ٤٣ — ٤٤ من الترجمة العربية ) : « وفى زماننا عرفنا رجلان بلغا منصب صاحب الجزيرة أولهما ناصر خسرو ، والثانى الحسن بن الصباح وكان فى غزنة احد هؤلاء ويسمى محمد أديب ... الخ » انتهى باختصار .

الغزنوى ، بل واصلوا الدعوة هناك فنجحت على النحو الذى يصفه بيان الأديان بقوله : « وقد أضل ( يعنى محمد أديب ) أناسا لا حصر لهم فى المدن والقرى » . وهـــذا يدل على أن الدعوة انتهجت سياســـة جديدة مخالفة للرسم الســـابق الذى ســـارت عليه فى الفترة السابقة ، فلم تتجه هذه المرة الى الطبقات الحاكمة وانما الى أناس من أهل المدن والقرى

ويبدو أن اتجاه الدعوة الاسماعيلية الى كسب ركيزة شعبية من بين الطوائف الكادحـــة قد أثر منذ أول وهلة على موقف التشيع بصفة عامة فى ايران ازاء الجماهير ، بحيث أصبح الشيعة جميعا يلجأون الى استمالتهم ويعملون على تأليف القلوب حولهم ، والى هـــذا يشير عالم عبقرى عاش فى بلاط الغزنويين وعاصر هذه الفترة وهو أبو الريحان البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية ( ١ ) » .

وفى بلاد ما وراء النهر ســـارت الدعوة فى نفس الاتجاه ، فى العزوف من دعوة الطبقات الحاكمة والنزوع الى دعوة الجماهير ، غير أنها أصيبت بنكبة قضت عليها تقريبا فى تلك البلاد اذ كان جماعة من الاسماعيلية قـد قصدوها ودعوا أهلها الى طاعة المستنصر بالله الفاطمى فكثر أتباعهم كثرة هائلة وأظهروا مذهب الاسماعيلية . ولما سمع ملكهم بغراخان ( ٢ ) بأمرهم رأى الأيقاع بهم عن طريق الحيلة حتى يتمكن من القضـــاء عليهم تماما ولا يترك منهم أحدا فى بـــلاده ، فأظهر لبعضهم أنـــه يميل الى الأنضمام الى

---

(١) يقول البيرونى فى حديثه عن رؤية هلال رمضان : « والعجب من سادتنا عترة الرسول عليه وعليهم السلام انهم صاروا يصغون الى ذلك ويقبلونه تأليفا لقلوب جمهور المتوسمين بتشيعهم ولا يقتفون أثر جدهم أمير المؤمنين فى اعتراضه عن استمالة الضالين المعاندين بقوله ما كنت متخذ المضلين عضدا » ( الآثار الباقية ص ٦٧ ) .

(٢) وكان قد تولى حكم بعض بلاد ما وراء النهر من قبل أخيه شرف الدولة صاحب بلاساغون وتركستان فى سنة ٤٣٥ .

صفوفهم واعتناق مذهبهم ، وأحضرهم مجالسه ، ومازال بهم حتى علم جميع من أجابهم الى مقالتهم ، فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب الى سائر بلاد ماوراء النهر بقتل من فيها من الاسماعيلية ( ١ ) . وكان ذلك فى سنة ٤٣٥ .

ولا ضير من أن نضيف هنا سببا آخر من أسباب تغيير الدعاة لوسائلهم وأساليبهم ، اذ أن تنكب الدعاة عن دعوة الحكام مباشرة يبدو أمرا طبيعيا فى ظل الأهداف الجديدة التى أصبحت الدعوة فى ايران تعمل من أجل تحقيقها ، ألا وهى العمل على مد سيطرة الخلفاء الفاطميين الى تلك المناطق . فلقد كان لتحول أهداف الدعوة فى ايران من مذهبية بحتة الى أهداف سياسية أثر كبير أيضا فى حدوث هذا التغيير . ولقد كانت الطبقات الحاكمة تدرك ولا شك ما تنطوى عليه هذه الدعوة ذات الصبغة السياسية من أخطار على مناصبهم الأمر الذى جعل الدعاة يتجنبون دعوتهم بقدر ما يستطيعون خلافا لما كان الأمر عليه فى الفترة السابقة .

ورغم أن هذه النكبة لاسماعيلية بلاد ماوراء النهر قد حدثت فى أوائل العصر الطويل الذى وليه المستنصر خليفة فاطميا ( ٤٢٧ — ٤٨٧ ) الا أن ذلك العصر يعد من أكثر العصور التى عاشتها الدعوة فى ايران ازدهارا ، فقد اتسع نشاط الدعوة أيما اتساع ( ٢ ) ، وتكللت جهود الدعاة فى النهاية قبل انتهاء عصر هذا الخليفة الفاطمى بتكوين « دولة الاسماعيلية فى ايران » على يد الحسن بن الصباح فى سنة ٤٨٣ . فلقد وجد الفاطميون فى ذلك الحين فرصتهم المرتقبة حيث كانت الخلافة العباسية بادية الضعف ، فى الوقت الذى كان فيه عنصر الاستعلاء يتمثل فى حكام يعتنقون التشيع مذهبا ( وهم آل بويه ) فدفعوا بدعاتهم الى المشرق .

---

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ٢١٨ طبع مصر ، وعقد الجمان للعينى ج ٢٠ ورقة ٤٠ ( مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ ) .

(٢) انظرفى اهتمام المستنصر بالدعوة وعنايته بها كتاب «الامام المستنصر بالله الفاطمى » للدكتور عبد المنعم ماجد ص ٥١ .

كانت ايران قبل ظهور السلاجقة مباشرة موزعة بين الحكومات المختلفة التى أسسها الأمراء البويهيون الذين كانوا يعتنقون مذهب الشيعة الزيدية ولا يكنون الكثير من الاحترام للخلفاء العباسيين الضعفاء . وكان يعيش فى كنف البويهيين فى فارس داع اسماعيلى بمرتبة الحجة ، هو **موسى بن عمران** وكان يحظى من البويهيين باحترام وأجلال تام ( ١ ) . وقد حرص هذا الداعى على تنشئة ابنه على مذهبه ، ثم لقنه أصول الدعوة ووسائل اذاعتها بين الناس وطلب الى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ( ٣٨٦ — ٤١١ ) أن ينصبه داعيا يخلفه ولكن الخليفة رفض هذا التنصيب لأن المناصب الدينية لا تورث انما يتولاها من يتوسم فيه الخليفة الأهلية الكاملة للنهوض بأعبائها ( ٢ ) . كان هذا الابن هو **المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى بن عمران الشيرازى** الذى ولد حوالى سنة ٣٩٠ ولقد تدرج المؤيد فى مراتب الدعوة حتى صار حجة جزيرة فارس ، وبذل نشاطا كبيرا فى الدعوة حتى أوغر صدور أهل السنة ، وصدر الملك أبى كاليجار البويهى ملك فارس . غير أن المؤيد استطاع أن يحصل على موافقته على الاستمرار فى الدعوة دون الجهر بها أمام العامة ( ٣ ) . ثم تمكن بعد ذلك من اقناع الملك بالاستجابة الى دعوته واتخذ من الملك تلميذا له فى أمور دينه ( ٤ ) .

فاستعان أهل السنة فى فارس بالخليفة العباسى الذى أرسل رسولا لتحرى الموقف ، واضطر الملك أبو كاليجار ازاء تهديد الخليفة بالاستعانة بالسلاجقة الى أن يبعد المؤيد عنه ، كما اضطر المؤيد الى الهرب من فارس والتوجه الى مصر . ولم يذكر لنا المؤيد ولا غيره من المؤرخين والكتاب

---

(١) السيرة المؤيدية ص ٢٠ .

(٢) ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ص ٢١ ومابعدها . ومقدمة الدكتور يحيى الخشاب لترجمة سفرنامه .

(٣) ديوان المؤيد فى الدين ص ٣٥ .

(٤) أيضا ص ٢٦ .

تاريخ دخـــوله مصر ويرجح ايفـــانوف فى كتـــابه « المرشـــد الى أدب الاسماعيلية»( ١ ) أن المؤيد وصل الى مصر فى نفس العام الذى وصلها فيه ناصر خســـرو اى عام ٤٣٩ . غير أن المرحـــوم الدكتور محمد كامل حسين يرى أن المؤيد جاء الى مصر بين سنتى ٤٣٦ ، ٤٣٩ . ولقد كلف المؤيد بأن يكون على رأس مدد الأموال والخلع التى أرسلها الفاطميون الى البساسيرى فى بغداد ليتقوى بها فى حركتها ضد العباسيين (٢) سنة ٤٥٠ وعين المســـتنصر المؤيد داعيا لدعاته . ولم يلبث المؤيد ان توفى ســـــنة ٤٧٠ هـ .

كان المؤيد مؤلفا بارعا بالعربية والفارسية ويبلغ عدد كتبه التى ذكرها ايفانوف(٣) ثلاثة عشر كتابا(٤) منها المجالس المؤيدية ، والديوان ، وسيرة المؤيد فى الدين وكلها بالعربية وقد نشر الكتابين الأخيرين منهـــا المرحوم الدكتور محمد كامل حسين الذى يرجع الى بحوثه الفضل فى تعريفنا بهذا الداعى الذى كان له أكبر الأثر فى ذيوع الدعوة وانتشارها فى اقليم فارس بوجه خاص (٥) ، كما ساهم بأكبر نصيب فى توجيه **((ناصر خسرو))** الداعى الفاطمى ، اذ كان ناصر خسرو **تلميذا له** .

ونـــاصر خسرو هو أبو معين الـــدين ناصر بن خُســـرو القبـــاديانى ,

---

(١) A guide to Ismaili Litrature p. 47.

(٢) السيرة المؤيدية ص ١٠٠ وما بعدها

(٣) A guide pp. 48 — 49.

(٤) انظر بحثا عن بعض هذه المؤلفات فى ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ص ٥٨ — ٦٥ .

(٥) A guide,

(٦) ولقد اعترف ناصر خسرو بفضل المؤيد عليه فى عدة مواضع من ديوانه . انظر مثلا الديوان ص ٣١٣ طبع طهران سنة ١٣٠٧ .

المروزى ( ١ ) . ولد فى سنة ٣٩٤هـ ( ٢ ) ويبدو ناصر خسرو فى كتابه « سفرنامه » فى صورة الباحث عن الحقيقة الجاد فى طلبها يقطع المسافات الطوال وينتقل من مدينة الى أخرى عله يظفر ببغيته . فهو يحدثنا ( ٣ ) أنه فى سنة ٤٣٧ رأى فى منامه رجلا يحذره من شرب الخمور ويطلب اليه أن يجد فى البحث عما يزيد العقل والحكمة . فعزم على الحج وعمره قد قارب الأربعين ، غير أنه لم يصل الى مكة الا فى سنة ٤٣٩ بعد أن قطع رحلة طويلة متنقلا بين مدن ايران والعراق والشام . ثم عاد من مكة الى دمشق ثم الى بيت المقدس وعزم على التوجه الى مصر فوصل القاهرة فى نفس السنة . أى سنة ٤٣٩ ( ٤ ) . ويذهب ايفانوف ( ٥ ) الى أنه ربما كان ناصر خسرو قد ذهب للحج كأى مسلم سنى عادى ثم صادف دعاة الاسماعيلية وهو فى طريقه الى مكة فنصحوه بالذهاب الى مصر التى عاد منها الى موطنه كداع اسماعيلى كبير فى مرتبة « الحجة » . ولكن ايفانوف يعود فى موضع آخر من كتابه عن ناصر خسرو ( ٦ ) ويقول انه من المحتمل أن يكون ناصر قد اعتنق مذهب الاسماعيلية وهو فى خراسان عن طريق اتصاله بواحد من صغار الدعاة ، ثم توجه الى القاهرة حيث تم قبوله للعمل فى خدمة الدعوة بعد تدريبه ، وعاد الى موطنه وهو فى هذه المرتبة ليتولى الدعوة للفاطميين . بينما يشير رشيد الدين فى جامع التواريخ ( ٧ ) الى أن المستنصر بالله الفاطمى دعا ناصر خسرو للحضور الى مصر كما دعا الحسن بن الصباح فيما بعد . وهذا يدل على أن ناصر خسرو اعتنق المذهب الاسماعيلى قبل بدء رحلته ( ٨ ) .

---

(١) انظر سفرنامه ص ٢ الترجمة العربية ص ١ .

(٢) Ivanow, Nasiri Khusraw and Ismailism p. 7.

(٣) فى سفرنامه ص ٣ ، ص ١ وما بعدها من الترجمة العربية .

(٤) أيضا ص ٥٤ ، ص ٤١ من الترجمة .

(٥) Nasiri Khusraw ... by Ivanow p. 12.

(٦) Ibid p. 32.

(٧) نقلا عن الدكتور الخشاب فى مقدمته لسفرنامه ص ن .

(٨) والى هذا الرأى أيضا يذهب الدكتور يحيى الخشاب ، انظر مقدمة سفرنامه ، الترجمة العربية ص ن .

والظـــاهر أن ناصر خسرو اعجب كل الاعجـــاب بنظام الحكم فى مصر فى ظل الفاطميين فهو يشيد بنظـــام الجيش وترتيبه ، ويبين فى نبرة تمتلىء بالاعجـــاب كيف أن رواتب الجنـــد تدفـــع اليهم بانتظـــام ممـــا أدى الى احســـاس الأهلين بالطمأنينـــة الى ســـلامة أموالهم من غـــارة الجنـــد وعدوانهم ، ويبدى دهشـــته لمقدار الثراء الذى تزخر به الأسواق والرفاهية التى يعيش فيها الناس (١) . ويرجح الدكتور يحيى الخشـــاب ان عروج ناصر خسرو ، فى أثناء عودته الى وطنه على الحســـا مقر القرامطـــة انما هو من قبيل السفارة لتوطيد الصلات بين الخليفـــة المستنصر والقرامطة فى مواجهة الدولة السنية المتزايدة القوة وهى دولة السلاجقة التى قضت على البويهيين بالتدريج فأفقدتهم العراق فى سنة ٤٢٠ ثم كرمان فى سنة ٤٤٠ وانتهى أمرهم تماما فى سنة ٤٤٧ (٢) .

وقـــد عاد ناصر خسرو الى موطنـــه خراســـان فى سنة ٤٤٤ ليتولى تصريف شؤون الدعوة الاسماعيلية فى هذه « الجزيرة » من قبل الفاطميين . وهنا تبدأ الفترة المظلمة فى حياته فلا نكاد نعرف عنه شيئا بعد ذلك ( ٣ ) . لكنـــه يبـــدو أنه لاقى العنت والاضطهاد من أهـــل خراســـان ، فهو يفكر فى الديوان أنه كان هنـــاك ( فى خراســـان ) كسفينة نوح بين الأنعـــام من أهلها الأشرار ( ٤ ) . الأمر الذى أدى الى انتقاله الى مازندران حيث أقام زمنـــا طويلا تمكن فيـــه من اقناع عـــدد كبير من أهلها باعتناق المذهب الأسماعيلى . غير انه اضطر الى الهرب من مازندران ناجيا بنفسه متجها صـــوب خراســـان مرة أخرى وأقام فى يمجان حيث أخـــذ يصنف الكتب

---

(١) انظر سفرنامه ص ٥٥ ومابعدها،ص ٤١ ـــ ٧٠ من الترجمة العربية.

(٢) مقدمة الترجمة العربية لسفرنامه ص ن .

(٣) من الجدير بالذكر أن كثيرا من الخرافات قد نسجت حول شخصية ناصر خسرو ومعظمها يتحدث عن هذه الفترة المظلمة فى حيـــاته ( انظر براون : تاريخ الأدب فى ايران الترجمة العربية ص ٢٦٥ وما بعدها ) .

(٤) انظر براون فى تاريخ الأدب فى ايران ص٢٧٨ من الترجمةالعربية.

والرسائل فى مذهبه ( ١ ) . وهو يشير الى أنه أتم كتاب « زاد المسافرين » فى تلك المدينة فى سنة ٤٥٣ (٢) . والمشهور أن ناصر خسرو توفى سنة ٤٨١ (٣)

لقد كان لنشاط هذا الداعى ذى الشخصية المتعددة الجوانب أكبر الأثر فى انتعاش الدعوة الاسماعيلية فى ايران ، فقد اتسعت على يديه دائرة المستجيبين للمذهب الاسماعيلى ( ٤ ) واكتسبت أبعادا فلسفية جديدة مستمدة من التغيير الذى أحدثه الفاطميون فى المذهب الاسماعيلى ( ٥ ) . ومضت الدعوة تحت قيادة ناصر خسرو فى خراسان ومازندران بعيدا عن الطبقات الحاكمة ، فلم يكن هذا الداعى يكن للحكام الكثير من الاحترام حيث أنهم أساءوا حكم الناس ( ٦ ) .

اما فى اقليم فارس فالغموض يحيط بصورة الدعوه فيها بعد هرب المؤيد الشيرازى منها فى عهد الملك البويهى ابى كاليجار ، اذ اننا لا نستطيع أن نعرف شخصية الداعى الذى تولى بعد المؤيد منصب «حجة جزيرة فارس» . غير أنه يبدو أن مقر الحجة قد تغير فأصبح فى اصفهان ( احدى مدن بلاد الجبل ) بدلا من شيراز ، ولكننا لا نستطيع أن نحدد متى تم ذلك التغيير ،

---

(١) مقدمة الترجمة العربية لسفرنامه ص ن .

(٢) زاد المسافرين طبع برلين ص ٢٧٨ .

(٣) A Guide to Ismaili Litrature p. 89.

(٤) بيان الأديان ص٢٠ص ٤٣ــ٤٤ من الترجمة العربية ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازى ص ٧٨ .

(٥) نرى أثر التغيير الفاطمى فىكافة مؤلفات ناصر خسرو بلا استثناء. وهى واضحة كل الوضوح فى كتاب «وجه دين» الذى يعتبره ايفانوف مقتبسا من مؤلفات عربية مختلفة ذات أسلوب اسماعيلى فاطمى . (انظر كتاب وجه دين طبع برلين سنة ١٩٢٤،وايفانوف فى كتابه عن ناصر خسرو (بالانجليزية) ص ٦١ — ٦٢ ) .

(٦) تاريخ الأدب فى ايران ، الترجمة العربية ص ٢٧٨ .

والظاهر أن قلعة شاهدز التى بناها السلطان ملكشاه (١) (٤٦٥ — ٤٨٥) بجوار اصفهان استرعت انتباه الاسماعيلية واجتذبت اهتمامهم الى أهمية اتخاذهـا معقلا من معاقل الدعوة (٢) يمكن عن طريقـه اجتذاب أهـل اصفهان (٣) الى صفوف الاسماعيلية . ويرتبط اسم عبد الملك بن عطاش باصـفهان فالراوندى يقول (٤) : « وكـان فى اصـفهان أديب يسـمى بـ «عبد الملك بن عطاش» وكان يتشيع فى البداية ثم أتهم بعد ذلك بالالحاد وأخذ أئمة اصفهان يتتبعونه ويرون التعرض له وقتله ، ففر من اصفهان الى الرى ثم خرج منها والتحق بالحسن بن الصباح » . ويقول الحسن بن الصباح فى سيرته : « ولمـا وصـل عبد الملك بن عطـاش داعى العراق (العجمى) فى ذلك الوقت الى الرى فى سنة أربع وستين وأربعمائة أعجب بى ، فأمر بأن أتولى نيابة الدعوة وأشـار بوجوب توجهى الى الحضرة فى مصر وكان فى ذلك الوقت هو المستنصر (٥) » .

كان ابن عطاش يتولى رئاسـة الدعوة اذن فى العراق العجمى وكان لديه عـدد كبير من الدعاة الأقوياء (٦) ولكنه كان فى حاجـة الى دعاة أشـد قوة وأعظم كفاءة .

---

(١) يقول القزوينى فى آثار البلاد ان ملكشـاه : «بناها سنة خمسمائة» وهـذا خطـأ لأن ملكشـاه مات سنة ٤٨٥ (انظر راحة الصدور للراوندى ص ١٣٢ — ص ٢٠٦ من الترجمة العربية) .

(٢) ولكن هذه القلعة لم تقع فى يد الاسماعيلية الا بعد موت عبد الملك ابن عطاش اذ وقعت فى يدهم فى سنة ٤٨٧ .

(٣) عن الأهمية الاقتصادية والسياسية لاصفهان فى ذلك العصر أنظر الاصطخرى ، المسالك والممالك ص ١١٧ .

(٤) فى راحة الصدور ص ١٥٥ تقابل ص ٢٣٨ من الترجمة العربية .

(٥) جهانكشـاى ج ٣ ص ١٨٩ وما يقابلها من الترجمـة العربيـة فى كتابنا هذا .

(٦) يذكر الحسن بن الصباح ، فى سيرته اسماء ثلاثة منهم هم أميره ضراب ، ويونجم سراج ومؤمن (انظر جهانكشاى ج ٣ ص ١٨٨ وما يقابلها من الترجمة) .

ويبدو أنه كان يبحث عن شخصية تنوب عنــه فى المنــاطق الشمالية وخاصــة فى الرى ( وقد وجد بغيته فى **الحسن بن الصباح** ) ( ١ ) . وكان يرســل بمن يلمس فيه الكفاءة والمقدرة الى بلاط الخليفة الفاطمى لتلقى أصــول الدعوة والتـدرب على كيفيتهــا ووســائلها ( ٢ ) . ويبــدو أن عبد الملك بن عطاش قد انتهج سياسة ثابتة فى ارســال الدعاة الى مصر ، فلم يكن الحسن بن الصباح وحده هو الذى أوفد فى ذلك الوقت الى بلاط الخليفة الفاطمى . بل تذكر مصــادرنا داعيا آخر ويقال له : « أبو حمزة الاسكاف وهو من أهل أرجان ( مدينة مشهورة باقليم فارس ) ســافر الى مصر وعاد داعية لهم ( ٣ ) » . فلقد كان الدعــاة يعودون من مصــر الى مواطنهم لتولى مهام الدعوة بها .

ولا نعرف على وجه التحديد متى توفى عبد الملك بن عطاش ، ولابد أن تكون وفاته قد وقعت بعد سنة ٤٦٤ ، وهى السنة التى قدم فيها الى الرى لمقابلة الحسن بن الصباح .

ولقد بدت الدعوة الاسماعيلية فى العراق العجمى فى ذلك الوقت فى موقف لا تحسد عليه وكان رئيسها ابن عطاش نفســه مهددا بالقتل فى أية لحظــة ، والواضح أنه كان يحاول العثور على شخصية فذة ذات مقدرة فائقة تقيم للدعوة صلبها وترد عنها غائلة المخالفين .

ولقد عثر على مطلبه فى الحسن بن الصباح فعينه نائبا عنه فى الرى ثم اوفده الى مصــر وعــاد بن الصباح ليعمل على اقامة دولة للاسماعيلية فى ايران .

* * *

---

(١) يقول الراوندى فى راحة الصدور ص ١٥٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ من الترجمة ان عبد الملك بن عطاش أرسل الى أحد أصــدقائه بعد مقابلته للحسن بن الصباح كتابا يقول فيه عن الحسن : « وقعت بالباز الأشهب فكان عوضا لى عما خلفته » .

(٢) ويبدو أن العمل على اكتشاف نوابغ الدعاة كان قد اتخذ صورة عامة فى ذلك الوقت ( انظر كتاب دولة النزارية فى ايران للدكتور طه شرف ص ٢٨ — ٢٩ ) .

(٣) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٣٢ .

# الفصل السادس

## دولة الاسماعيلية فى ايـــران

## نشـــأتها ومقوماتهـــا

يدور محور بحثنا فى هـــذا الفصـــل حول نقطة جوهرية تثير التساؤل :
هل أقام الاسماعيلية فى ايران دولـــة بالمفهوم الصحيح ؟ ومن الطبيعى أن نبدأ بالتعرف — وفقا لمـــا لدينا من مصـــادر — على الظروف السياسية فى ايران قبل تمكن الاسماعيليـــة من تثبيت اقدامهم بهـــا ، ثم نســـتطرد فى دراســـة طبيعة الحركة الاسماعيلية فى تلك الفترة لنرى ما اذا كانت شروط الدولة قد توفرت فيها .. وينبغى علينا أن نبادر فنقرر أننا لا نريد بهـــذه الدراســـة أن نحكم للاسماعيلية أو عليهم ، بل المراد هو محاولـــة تقرير الحقيقة التاريخية دون تعصب أو محاباة .

* * *

قـــد يبدو من الغريب حقا أن تنتعش الدعوة الاسماعيلية فى ظل الدولة السلجوقية العظيمة الاستيلاء التى حاربت بلا رفق أو هوادة كافة المذاهب المخالفـــة لمـــذهب أهل السنة والجماعـــة . ولقد انحسر المـــد الشيعى والاسماعيلى الفاطمى عن الجزء الشرقى من العالم الاسلامى عقب ظهور السلاجقة بالقضـــاء على الدولـــة البويهيـــة واخماد ثورة البســـاسيرى فى بغداد سنة ٤٥٠ حيث خطب للخليفـــة الفاطمى على منابر بغداد لمـــدة عـــام بأكمله .

كانت الأحـــداث تتواتر بسرعة غريبة فى صـــالح المعسكر السنى وبدأ الموقف فى ذلك الجزء من العالم الاسلامى وكأنه لن تقوم قائمة لأى مذهب آخر غير المذهب السنى طالمـــا يسيطر الســـلاجقة ذوو القدرة الهائلة فى القسر والقمع ، بل اننا نجـــد هؤلاء الســـلاجقة الأقوياء يلتزمون جـــانب الحيطـــة ويبالغون فى رصـــد مواضـــع الفتوق التى قـــد تهب منها ريـــاح مخالفة ، فها هو ذا الوزير نظـــام الملك الـــذى وزر لاثنين من ســـلاطين

السلاجقة العظام ينتقد بصراحة ووضوح ، فى كتابه سياستنامه ، السياسة المعاصرة للدولة حيث قامت بتوظيف عدد من غير المسلمين كاليهود والمسيحيين والملاحدة والقرامطة وأتباع الباطنية ، ويرى أن الخير كل الخير فى ابعاد هؤلاء جميعا عن الجهاز الادارى للدولة والا فان وجودهم سوف يقودها الى الاندثار لامحالة ( ١ ) . بل ان نظام الملك نفسه يحرص على تشييد المدارس التى سميت باسمه فى المدن الهامة مثل بغداد واصفهان وبلخ ونيسابور وهراة والبصرة ومرو وآمل والموصل ، فأنشأ فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ( ٢ ) ، وهى المدارس التى اشتهر ذكرها فى التاريخ بأنها رفعت لواء الدفاع عن مذهب السنة ومناهضة المذاهب المخالفة ، وكانت نشأتها فى الحقيقة مرتبطة بالدعوة المضادة للدعوة الشيعية ( ٣ ) . ولقد قاوم نظام الملك المذهب الاسماعيلى بأقصى ما يستطيع من قوة ، وصبغ عداء الاسماعيلية للدولة السلجوقية بصبغة العداء للدين نفسه .

الا أنه رغم هذا كله اشتدت شوكة الدعوة الاسماعيلية فى ايران بالذات وكسبت الكثير من المستجيبين . واستطاعت فى النهاية أن تثبت أقدامها وتحرز نصرا سياسيا كبيرا بالاستيلاء على مناطق شاسعة فى تلك المنطقة من العالم الاسلامى ، وذلك فى عصر أعظم سلاطين السلاجقة على الاطلاق وهو السلطان ملكشاه بن الب أرسلان .

والواقع أن الدولة السلجوقية كانت — وقت نجاح الاسماعيلية السياسى بالاستيلاء على قلعة الموت فى أواخر عصر ملكشاه سنة ٤٨٣ على النحو الذى سيحدثنا عنه عطا ملك الجوينى فى القسم الثانى من هذا

---

(١) The Decline of The Seljuqid Empire, by Sanaullah Nawlawi Fadil, p. 51.

(٢) انظر كتاب « تاريخ التربية الاسلامية » للدكتور أحمد شلبى وانظر أيضا ، Political Thought ... p. 62.

(٣) « سلاجقة ايران والعراق » للدكتور عبد النعيم حسنين ص ٨١ .

" الكتاب — قـد بدأت تفقد تماسكها الذى تمتعت به طوال الفترة السابقة ، اذ أخـذت تعانى من الخلاف الـذى دب بين السلطان ملكشـاه ووزيره نظـام الملك لسيطرة أبنائه على ماولوه من بلاد وعسفهم فى معاملة الناس من ناحية ، ولأن نظـام الملك كـان يحبذ من ناحية أخرى أن يتولى بعـد ملكشـاه اكبر أبنائه المسمى بركيارق ، فى حين كانت تركان خـاتون زوج السـلطان ملكشـاه تريد لابنها محمود أن يخلف أباه على العرش ، مما جعل تركان خاتون تسعى بنظـام الملك لدى السلطان فتمكنت من التأثير عليه حتى فكر فى عزله ( ١ ) . ولقد كان هـذا الخـلاف من بين العوامل التى سببت حـدوث تدهور سريـع فى مقدرة الحكومـة المركزية للدولة السـلجوقية مما جعلها تلجـأ الى معالجـة المشـكلة المتفاقمة باستيلاء الاسماعيلية على حصن منيع فى منطقة منيعة عن طريق المقطعين والحكام المحليين ( ٢ ) دون أن تكلف نفسها مؤنة التدخل المباشر لحسم الموقف حتى بعـد أن فشـل هؤلاء المقطعون والحكـام فى استخلاص القلعة من أيدى الاسماعيلية ، الأمر الذى مهد الطريق أمام طموح الاسماعيلية وجعل حلمهم فى تثبيت أقدامهم سياسيا فى تلك المنطقـة حقيقة واقعة ( ٣ ) .

ويعزو العماد الاصفهانى فى « تواريخ دولة آل سلجوق » السبب فى نجـاح الدعوة الاسماعيلية بايران فى الحصول على كسب سياسى فى ذلك الوقت على هـذا النحو المفاجىء الى أنه : « لم تكن للدولة أصحاب أخبار ، وكان الرسم فى أيام الديلم ( يعنى البويهيين ) ومن قبلهم من الملوك أنهم لم يخلوا جانبـا من صـاحب خبر وبريد ، فلم يخف عندهم أخبـار الأقاصى والأدانى ، وحال الطائع والعاصى ، حتى ولى فى الدولة السـلجوقية الب ارسلان محمد بن داود ففاوضـه نظـام الملك فى هـذا الأمر فأجابه انه لاحاجة بنا الى صـاحب خبر ... فأسقط السـلطان هذا الرسم ... فلم

---

(١) سلاجقة ايران والعراق ، ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٠ ، ٢٠٣ وما يقابلها من الترجمة .

(٣) Political Thought in Medieval Islam, by Rosenthal p. 85.

يشعر الا بظهور القوم ( يعنى الاسماعيليــة ) وقــد استحكمت قواعدهم واستوثقت معاقدهم ، وأخافوا السبل ، وأجالوا على الأكابر الأجل (١) » .

غير أن هناك سببا آخر أدى الى وقوع هــذه المفاجأة غير المتوقعة بالنسبة للسلاجقة بقيام دولة للاسماعيلية بين ظهرانيهم ، هو أن سلاطين الســلاجقة لجأوا منذ البداية الى الاقطاع كأسلوب ادارى (٢) فى ادارة شئون البلاد المترامية الأطراف الواقعة تحت حكمهم ، فنحن نجــد طغرل أول سلاطينهم يتبع هــذا الأسلوب فيوزع الأراضى الواسعة التى دخلت فى حوزته على أمراء الســلاجقة ، وقد ظل سلاطين الســلاجقة التابعين يسيرون على هذا النهج ، الأمر الذى أدى الى نشوب المنازعات بين حكام هــذه الولايات بعضهم البعض والى تفتيت قوتهم ونزوعهم الى الاستقلال المطلق عن السلطة المركزية . فبينما كانت قوة ســلاطين السلاجقة وهم أصحاب الرئاســة العليا فى ايران تميل الى الانخفاض كانت قوة حكــام الولايات تزداد بحيث يصبح كل منهم حاكما شبه مستقل ( ٣ ) .

ويبدو أن اتجاه الدعوة الاسماعيلية فى عصر الفاطميين فى ايران الى دعوة الفئات الكادحــة قــد أتت بنتيجة ايجابية فوسعت دائرة المعتنقين للمذهب الاسماعيلى فى جهات متعددة ، وخلقت لدى كبــار الدعــاة أملا طموحا فى احراز كسب سياسى فى المنطقة . وقــد ســاعد على نجاح هذا

---

(١) تواريخ دولة آل سلجوق ص ٦٢ — ٦٣ ، سلاجقة ايران والعراق ص ١٧١ .

(٢) عن الاقطاع ونظمه أنظر مقال الدكتور جعفر حسين خصباك فى مجلة كلية الآداب بجامعــة بغــداد سنة ١٩٦١ بعنوان « أحوال العراق الاقتصادية فى عهد الايلخانيين المغول » ( ٦٥٦ — ٧٣٧هـ ) .

(٣) انظر تحليلا للوضع السياسى فى ايران فى عهد السلاجقة فى الفصل الأول من الجزء الثانى من كتاب « تاريخ ادبيات ايران » للدكتور ذبيح الله صــفا ، والملاحظ أن منطقــة الموت نفسها كانت اقطاعا لأمير من أمراء السلاجقة قبل استيلاء الاسماعيلية عليها ( انظر جهانكشاى ج ٣ ص ١٩٩ وما يقابلها من الترجمة فى القسم الثانى من كتابنا هذا ) .

الاتجاه في الدعوة ازدياد أهمية المـدن في عصر السلاجقة الذى كان اثرا من آثار سياسة اللامركزية فى الادارة التى انتهجوها منذ بداية حكمهم لايران فقد صار لبعض المـدن فى تلك المنطقة شخصية واضحة لها مقوماتها ومميزاتها (١). ونتج عن ظهور المدن بهذه الصورة أن ظهر فى كل مدينة عدة طبقات كالعظماء والأشراف والتجار ، والعمال ، والصناع ، والفقراء ، وكثرت طبقة الصناع فى بعض المـدن (٢) . ولعل دعاة الاسماعيلية فى ذلك الوقت قد استغلوا هذا التمايز الطبقى فأصابوا — فى ظل اتجاههم نحو دعوة الطبقات الكادحة — الكثير من النجاح .

على أنه اذا كانت المـدن قد برزت فى ذلك العصر على هـذه الصورة الاجتماعية الهامة والمؤثرة فان القلاع المنتشرة فى أرجاء ايران لم تكن تقل أهمية وتأثيرا ، وخاصـة من الناحية السياسية . ولقد فطن الاسماعيلية الى أهمية القلاع وبثوا دعاتهم بين أهلها وتمكنوا من السيطرة على عـدد من القلاع المحكمـة كانت خير عون لهم على تثبيت أقدامهم فى مواجهـة المقاومة السلجوقية المقتدرة .

ولقد كان استيلاء الحسن بن الصباح على قلعة الموت المنيعة (٣) فى سنة ٤٨٣ هو أول بوادر النجاح السياسى للاسماعيلية فى ايران ، وشعر السلاجقة بالخطر الكامن وراء هـذا الحدث فبدأوا على الفور فى محاولات استرداد هـذه القلعة ، ولقد فشلت المحاولة الأولى التى يبدو انها وقعت فى نفس السنة ، أى سنة ٤٨٣ ، وكان من آثارها المباشرة انطلاق الدعاة

---

(١) انظر ذلك تفصيلا فى كتاب « نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة » للأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين ص ٥٨ .

(٢) أيضا .

(٣) انظر وصفا مفصـلا ومزودا برسوم توضيحية لموقع قلعة الموت ونظامها المعمارى فى كتاب

The Valleys of the Assassins and other Persian Travels, by Freya Stark pp. 200 — 238.

الى المنــاطق المجاورة تمهيدا لضم هذه المناطق الى حوزة الاسماعيلية . ولقد كانت مهمة هؤلاء الدعاة بالدرجة الأولى سياسية لامذهبية ، وانطلق أول الدعاة من ألموت فى العام التالى لفتحها مباشرة سنة ٤٨٤ ( ١ ) . ولم تكن الحملة الثانية التى شنها الســلاجقة لاستخلاص الموت من يد الحسن ابن الصباح سنة ٤٨٥ بأوفر خطأ من ســابقتها ، فقد أصيبت هى الأخرى بالخذلان ( ٢ ) . وقد أتبعها الاسماعيلية مباشرة بالقضــاء على نظــام الملك ، وتوفى الســلطان ملكشــاه بعده بقليل ، فدب النزاع على العرش بين أبنائه ، وانشغل أمراء الفرق بالقتال فيما بينهم وتحولوا عن مهاجمــة الاسماعيلية ( ٣ ) ، وانتهز ابن الصباح فرصــة هــذا النزاع فأخذ يثبت أقدامه ويبث دعاته (٤) ويوســع أراضيه .

ولم يلبث أحمد بن عبد الملك بن عطاش رئيس الاسماعيلية فى اصفهان أن استولى هو الآخر على القلعة المنيعة المشرفة على اصفهان والمعروفة بشــاهدز فى سنة ٤٨٧ ، مستغلا النزاع الذى وقع على عرش السلاجقة بين بركيارق بن الســلطان ملكشــاه وأخيــه محمود ، ولقد كان استيلاء الاسماعيلية على هــذه القلعة من الأحداث الخطيرة التى هددت ســلامة الدولة السلجوقية وأمنها ( ٥ ) . وكان أحمد بن عبد الملك قد تولى رئاسة الدعوة باصفهان خلفا لأبيه ( ٦ ) . ويحدثنا ابن الأثير عن قوة هذا الداعى السياسية فى اصفهان وما حولهــا فيقول « كان يرســل اصحابه لقطــع الطريق وأخــذ الأموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن

---

(١) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٠ ومايقابلها من الترجمة ، والملاحظ ان الدعاة كانوا يتجهون مباشرة الى القلاع ويعولون على الاستيلاء عليها .
(٢) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٢ ومايقابلها من الترجمة .
(٣) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٣٨ ، ١٥٤ .
(٤) راحة الصدور ص ١٥٥ = ص ٢٣٨ من الترجمة العربية .
(٥) سلاجقة ايران والعراق ، ص ٩٨ .
(٦) راحة الصدورص ١٥٦ = ٢٣٩ من الترجمة العربية،وروضة الصفا الجزء الرابع ص ١١٠ .

احصاؤهم ، وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى ، فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس بأملاكهم (١) » ، ويقول بن الأثير ان هذا حدث فى أثناء الخلاف الواقع بين بركيارق ومحمد الذى استمر حتى سنة ٤٩٨ .

ويبدو أن الاسماعيلية فى اصفهان لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم الا بعد استيلائهم على قلعة شاهدز (٢) ، ومنذ ذلك الحين وهم ينتزعون من أيدى السلاجقة يوما بعد يوم جزءا من المناطق التى تقع تحت سيطرتهم . والظاهر أن ابن عطاش كان يعمل فى اصفهان مستقلا عن ابن الصباح فى الموت ولم تكن هناك وحدة بين رئيسى المنطقتين ، فقد خلف أحمد بن عطاش أباه فى رئاسة الدعوة باصفهان بينما تولى ابن الصباح رئاسة الدعوة فى الرى وظل كلاهما ، فيما يبدو ، يعمل منفردا حتى بعد نجاح ابن الصباح فى ألموت ونجاح ابن عطاش فى اصفهان فى الاستيلاء على مناطق شاسعة من أراضى الدولة السلجوقية ، غير أن المكانة السياسية التى حصل عليها الاسماعيلية فى اصفهان لم تلبث أن انهارت ازاء اصرار السلطان محمد السلجوقى على استئصالهم ، فلقد باشر السلطان بنفسه اجراءات الهجوم على قلعة شاهدز فى سنة ٥٠٠ ووقع أحمد بن عطاش فى قبضته فقضى عليه وعلى من بقى من الاسماعيلية فى القلعة وطهر اصفهان وما جاورها منهم .

ومنذ ذلك الحين وقوة الاسماعيلية الرئيسية فى ايران تتركز فى المنطقة الواقعة جنوبى بحر قزوين ، تلك المنطقة التى كان الحسن بن الصباح قد وطد دعائم حكمه فيها وصبغها بالصبغة الاسماعيلية البحتة بعد أن تمكن من تحويل كافة من أقام فيها الى المذهب الاسماعيلى . واستطاع أن يتوج جهود من سبقه من الدعاة فنجح فى اقامة دولة للاسماعيلية فى ايران .

---

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٨١ .

(٢) انظر الراوندى ص ١٥٦ = ٢٣٩ من الترجمة العربية ، وابن الأثير ج ١٠ ص ١٨٠ — ١٨١ .

ويرى بعض الباحثين أن الاسماعيلية لم ينشئوا فى ايران دولة بالمفهوم الصحيح لكلمة الدولة ، وممن يذهب الى هذا الرأى الدكتور زكى النقاش فى رسالته « الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع ( ١ ) » اذ يقول : « لم تستطع هذه الفرقة ( يعنى اسماعيلية ايران ) مع ما توصلت اليه من القوة والبطش والجبروت أو لم تشأ أن تخلق لها دولة بالمعنى المفهوم ولا أن تؤسس أسرة يتعاقب أفرادها فى التربع على دست الملك أو يتوارثون عرشا أو تاجا ، بل كان ما رموا اليه وتوصلوا الى تحقيقه انهم أقاموا منظمة ثورية لها كيانها وزعامتها وحماتها وأتباعها » .

بيد أن لدنيا نحن عددا من الأدلة تثبت بما لايدع مجالا للشك أن الاسماعيلية أقاموا فى ايران دولة بالمفهوم الصحيح لمعنى الدولة ، فقد كانت عناصر الدولة وشروطها متوفرة فى نظمها السياسية ، كما كانت نظمها الاجتماعية ذات طابع فريد بحيث عاش فيها مجتمع متجانس يسعى الى تحقيق أهداف محددة ومرام واضحة ، كذلك تميزت بالاستقلال فى تطورها العقائدى وبالتفرد فى استنباط مذهب جديد على نحو أعاد الى عقائدهم نزعة الغلو والتطرف ومزجها ببعض ملامح النزعة الفارسية القومية . ونتناول فيما يلى هذه النقاط الثلاث بالشرح والتفصيل .

### أولا — النظم السياسية :

لم يكد الحسن بن الصباح يستولى على قلعة الموت حتى بادر بالاستيلاء على القلاع المجاورة فأطلق دعاته لتحقيق هذا المأرب ( ٢ ) . ولم يمض وقت طويل حتى كان ابن الصباح قد استولى على المنطقة الواقعة جنوبى

---

(١) مخطوط بالمكتبة العامة لجامعة القاهرة تحت رقم (١٤٤ رسائل) ، انظر ص ٧١ .

(٢) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٠ — ٢٠١ ومايقابلها من الترجمة .

بحر قزوين برمتها بعد أن سيطر دعاته على القـــلاع المتناثرة فى أرجائها ، والتى تبلغ نحو الستين قلعة ( ١ ) .

كانت هـــذه القلاع تقـــع فى الغـــالب وسط وديان صـــالحة للزراعة وبالقرب من موارد ثابتـــة للميـــاه فالملاحظ أن القلاع الرئيسية فى أراضى الاسماعيليـــة كانت تقـــع بالقرب من نهر « شـــاهرود » وفروعـــه ( ٢ ) وكانت القلعة تكون وحـــدة اقتصـــادية عسكرية مستقلة بذاتها ، يعيش أهلها معتمدين على أنفسهم فى زراعة الأرض والدفاع عن القلعة وما حولها فى مواجهة أي غزو أو اعتداء . ولقد كان للوفرة والتنوع الذى امتازت به المحـــاصيل التى يمكن أن تزرع فى هـــذه المنطقـــة أكبر الأثـــر فى تحقيق استقلالها وتكاملها الاقتصـــادى ( ٣ ) ، وكانت المحاصيل تزرع فى الأرض المحيطة بالقلاع ويبدو أن الاسماعيلية كانوا يضطرون الى الامتناع بقلاعهم فى أثناء الحملات التى كان يشنها عليهم أعداؤهم ويتركون الأراضى المنزرعة حول القلعـــة دون حمايـــة مما كان يعرض محاصيلهم ومزروعاتهم للنهب والغارة والتلف ( ٤ ) .

ولكن ذلك لايعنى أن هـــذه القـــلاع كانت تعيش فى معزل عن بعضها البعض أو يحكمها مقدموها دون رقيب أو معقب ، وانما كانت كل واحـــدة من هـــذه القلاع تكون وحـــدة محلية تابعة للســـلطة المركزيـــة فى قلعـــة الموت ، فقد كان رؤســـاء هذه القلاع يتبعون مباشرة الحاكم الإسماعيلى فى قلعـــة الموت ( ٥ ) الذى كان يمثل السلطة العليا يعاونـــه ثـــلاثة من الوزراء ، فقد أوصى ابن الصباح لمـــا اقترب اجله بأن يتولى « بزرك أميد »

---

(١) The Castles of the Assassins, by Peter Willy, London 1963.

(٢) انظر حواشى القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٣٨٧ — ٣٩٠ . وكذلك الخريطة الموجودة فى آخر هذا الكتاب .

(٣) The Castles.... p. 318.

(٤) جهانكشاي ج ٣ ص ٢١١ ومايقابلها من الترجمة .

(٥) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ومايقابلها من الترجمة .

الحكم من بعده على أن يعاونه ثلاثة خص أحدهم بديوان الدعوة ، وخص الثانى بقيادة الجيش ( ١ ) ، بحيث يتولى الأربعة جميعا — برئاسة برزك أميد — تصريف شئون البلاد الى أن يحين الوقت الذى يأتى فيه الامام بنفسه لتولى الحكم ( ٢ ) . غير أنه يبدو أن هذا النظام لم يعمر طويلا ، حيث تمكن بزرك أميد الذى كان مرهوب الجانب قوى الشخصية ( ٣ ) من جمع كافة السلطات فى يده وأوصى بأن يتولى ابنه حكم البلاد من بعده فانقلب نظام الحكم منذ عهد بزرك أميد الى نظام وراثى تتجمع فيه السلطة فى يد الحاكم الذى ظل يحكم باسم الامام الغائب . ولم يلبث الحسن بن محمد بن بزرك أميد أن ادعى أنه الامام فاستحوذ على السلطة كلها وامتلك حق التشريع المذهبى ذاته .

وكانت المناطق التى تسيطر عليها هذه القلاع جميعا تمثل رقعة واحدة من الأرض تقع جنوبى بحر قزوين وتمتد فتشمل الطالقان فى الجنوب الشرقى حتى حدود قزوين جنوبا كما تمتد غربا حتى بهرام آباد ورودبار على الحدود المتاخمة لشرقى آذربايجان . وذلك يعنى أن المناطق التى سيطر عليها الاسماعيلية كانت ذات حدود سياسية تفصلها عن المناطق المجاورة لها والتى تقع تحت سيطرة غيرهم . غير أن هناك ولاية تقع خارج نطاق هذه الحدود استطاع الاسماعيلية الاستيلاء عليها وهى ولاية قهستان ( ٤ ) المجاورة لخراسان منذ سنة ٤٨٤ ، فأصبحت تابعة للدولة وظل حكامها المحليون يتبعون ملوك الاسماعيلية فى ألموت حتى قضى

(١) لم يعين للثالث عمل محدد ( انظر جهانكشاى ج ٣ ص ٢٤١ ومايقابلها من الترجمة ) .

(٢) أيضا .

(٣) يبدو أن كيابزرك اميد كان يتمتع بمكانة عالية بين أهل ديلمان لعراقة نسبه ( انظر تاريخ طبرستان لسيد ظهير الدين المرعشى ص ٥٧ — ٦٩ ) .

(٤) « وهى الجبال التى بين هراة ونيسابور » ( ياقوت فى معجم البلدان ج ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ) » .

عليهم المغول ( ١ ) . والملاحظ أن بعض المؤرخين القدامى ، وفى مقدمتهم ابن الأثير ، يطلقون على المناطق التى كان يحكمها الاسماعيلية فى ايران اسم « بلاد الاسماعيلية ( ٢ ) » . ويقول ابن ميسر فى هذا الصدد : « ثم امتدت مملكته ( يعنى بن الصباح ) بعد وفاته فصار لهم عدة بلاد ومملكة طويلة الى حد شرقى آذربايجان وبحر طبرستان وجرجان ولهم بخراسان مدينة كبيرة يقال لها رشيش ( صح : ترشيش أو طزيثيث ) ( ٣ ) » . ويعتبر هذا اعترافا ضمنيا من المؤرخين المعاصرين للاسماعيلية بأنهم اقاموا فى ايران دولة واسعة ذات حدود سياسية .

وفى العصر الحديث بذلت محاولات عدة للتعرف على المنطقة التى استولى عليها الاسماعيلية جنوبى بحر قزوين ، فقد قام عدد من المستشرقين والباحثين الأوروبيين منذ منتصف القرن الماضى بزيارة تلك المنطقة ( ٤ ) واستمرت هذه المحاولات حتى فترة قريبة جدا اذ كانت آخرها — فيما نعرف — هى البعثة التى أرسلتها جامعة اكسفورد فى سنة ١٩٦٠ لاكتشاف قلاع الاسماعيلية فى تلك المنطقة ( ٥ ) . ولقد أجمعوا جميعا على أن المنطقة التى أقام فيها الاسماعيلية حكمهم تؤهلها طبيعتها الجغرافية للاستقلال الاقتصادى والسياسى ، كما أن شبكة القلاع التى تقع غالبا

---

(١) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ومايقابلها من الترجمة العربية ، وكان الاسماعيلية فى الشام تابعين هم أيضا لحكام الموت وان كانوا قد تمتعوا بنوع من الاستقلال السياسى كما كانوا يعتمدون على أنفسهم دون تدخل فعلى من الموت . ويمكن للحصول على مزيد من المعلومات عن الاسماعيلية فى الشام الرجوع الى رسالة الدكتور زكى النقاش الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع ص ١٤٦ وما بعدها .

(٢) انظر مثلا ج ١٠ ص ١٤١ — ١٥٦ — ١٥٧ .

(٣) ابن ميسر « اخبار مصر » ص ٦٨ .

(٤) The Castles of the Assassins, pp. 24 - 25.

(٥) وقد أخرجت هذه البعثة كتابا عظيم الأهمية فى دراسة كل من النواحى الجغرافية والاقتصادية والجيولوجية للمنطقة التى أقام فيها الاسماعيلية قلاعهم ، أصدره رئيسها بيترويلى فى لندن سنة ١٩٦٣ بعنوان
The Castles of the Assassins, by Peter Willy, p. 23.

فى وديان صـــالحة للزراعة كانت تكون رقعــة واحدة من الأرض مستقلة عما سواهــا .

والواقع أن حكام الموت تمكنوا من العمل على تحقيق وحــدة الحركة الاسماعيلية فى ايران ، تلك الوحــدة التى كانت — فيمــا يبدو — مفقودة طيلة الفترة الســابقة . فقد رأينا فى الفصــلين الســابقين أن الدعوة فى ايران كانت على الدوام موزعة بين مركزين على الأقل ، بينما توزعت بعد عودة ابن الصباح من مصر فى سنة ٤٧٣ بين ثلاثة رؤســاء : أحمد بن عبد الملك بن عطــاش فى أصفهان ، وناصر خســرو فى خراســان ، والحسن ابن الصــباح فى الرى ، ولقــد استوعب ابن الصــباح البقية الباقية من اسماعيلية اصفهان بعدما هجروا اليه للاقامة فى منطقة الموت لدى محاصرة الســلطان محمد لقلعة شاهدز سنة ٥٠٠ حيث هلك ابن عطاش . ولكن اسماعيلية خراســان ظلوا محافظين على استقلالهم عن حكام الموت مدة طويلة . ويشير أبو المعــالى العلوى فى كتابه بيــان الأديان ( مؤلف سنة ٤٨٥ ) ( ١ ) الى وجود نوع من الاختلاف بين الدعوة الناصرية نسبة الى ناصر خســرو ، والدعوة « الصباحية » نسبة الى الحسن بن الصــباح ، وذلك دون أن يذكر الآراء والعقائد المميزة لكل من الدعوتين ، كما أن لدينا مصــدرا متأخرا قليلا يشير الى وجود هــذا الاختلاف بين الدعوتين وهو كتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشتركين » للفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ . وهــذا يعنى أن الاختلاف ظل قائما حتى فترة متــأخرة من عصر الدولة الاسماعيليــة فى ايران . غير أننــا نلاحظ أن استيلاء الحســن ابن الصباح على جزء من قهستان المتاخمة لخراســان سنة ٤٨٤ ( ٢ ) ، قــد مهد لضم اسماعيلية خراســان الى الحركــة الاسماعيلية الموحدة فى ايران التى كان يتزعمها ابن الصباح وملوك الاسماعيلية ( ٣ ) من بعــده

---

(١) بيان الأديان ص ٣٥ = ٤٦ من الترجمة العربية .

(٢) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٠ ومايقابلها من الترجمة ، وانظر ياقوت فى معجم البلدان تحت عنوان « قهستان » ج ٤ ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٣) على حد تعبير ابن الأثير ج ١٢ ص ٢٠٠ — ٢٠١ طبع ليدن ، وابن خلكان ج ١ ص ٢٧٨ — طبع بولاق ،

فى الموت . فلم يلبث الاسماعيلية فى قهستان أن ينسجوا على منوال اسماعيلية ألموت : « وبذلوا هم أيضا غاية جهدهم فى العمل على انشاء الدعوة بقهستان واستخلاص النواحى المحيطة بهم وحدودها عن طريق استعمال التزاوير والاستيلاء على القلاع ( ١ ) » . ولكن يبدو أن السلطان السلجوقى سنجر فطن الى ما يهدف اليه الاسماعيلية من انشاء هذا المركز القوى بالقرب من مقر السلطة المركزية للسلاجقة فى خراسان فعمد الى ايفاد أكبر أمرائه ، وهو الأمير بزغش ، للقضاء عليهم فى سنة ٤٨٤ ، فهاجم قهستان وطبس ثم رحل عنهما بعد أن رشوه بأموال كثيرة ثم عاود الهجوم على طبس فى سنة ٤٩٧ وشرط على الاسماعيلية : « انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم ( ٢ ) . بيد أن الظاهر أن الالتزام بتنفيذ شروط هذه الهدنة كان مقصورا على الاسماعيلية من اتباع الحسن بن الصباح بقهستان وطبس دون غيرهم من الاسماعيلية المقيمين بخراسان ، لأن ابن الأثير يقول ان الاسماعيلية فى طرثيث ( ٣ ) من أعمال بيهق لم يقفوا على هذه الهدنة ومن ثم أغاروا فى السنة التالية مباشرة ( ٤٩٨ ) على المناطق المجاورة لمنطقتهم وأكثروا من قتل أهلها ونهب أموالهم وسبى نسائهم ( ٤ ) . ويبدو أن الاسماعيلية فى طرثيث قد بقوا مدة طويلة مستقلين فى عقائدهم وعلاقاتهم بمن حولهم عن حكام ألموت ( ٥ ) ، ولقد تعرضوا لهجمات السلاجقة فى سنتى ٥٢٠ ، ٥٤٦ . والظاهر أنهم كانوا يسيطرون على مناطق واسعة ( ٦ ) كما كانت لهم

(١) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٠٠ — ٢٠١ ومايقابلها من الترجمة .

(٢) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٣٤ — ١٣٥ ، ١٥٨ .

(٣) «ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور وطرثيث قهستان» (ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٥٣٤ ) .

(٤) ابن الأثير ، حوادث سنة ٤٩٨ .

(٥) نستطيع ان نتتبع تاريخ اسماعيلية خراسان فى ابن الأثير ج ١٠ طبع مصر ص ١٦٤ — ٢٦٠ ج ١١ طبع مصر ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٩ — ٩٠ ، ١٠١ ، ١٢٥ ، ١٤١ . ويبدو أن ابن الأثير ينقل عن السلامى من كتابه المفقود « تاريخ ولاة خراسان » .

(٦) ابن الأثير ج ١١ ص ٧٠ .

قرى مخصوصة ( ١ ) بهم لا يقيم بها غيرهم . غير أنـــه يستفاد من نص نقله « ايفانوف » عن الكتـــاب الاسماعيلى « هفت باب أبى اسحاق » فى المقدمـــة الانجليزية لكتاب « كـــلام بير ( ٢ ) » أن « رفاق » خراســـان كانوا يشتركون فى المحـــافل العامة التى تقام فى ألموت مثلهم فى ذلك مثـــل رفاق العراق والديلم ، فلقد اشتركوا فى أول عيد من أعيـــاد « القيـــامة » فى عهد الحسن بن محمد بن بزرك أميد سنة ٥٥٩ ( ٣ ) . ولهذا نستطيع أن نقول بأنه يبدو أن هذه الوحدة المذهبية بين ما يسمى « بالنـــاصرية » و « الصباحية » كانت حقيقة واقعة فى منتصف القرن الســـادس ( ٤ ) . ومما يدعم هـــذا القول أن ابن الأثير يشير فى حوادث ســـنة ٦٠٠ الى أن رئيس الأسماعيلية بخراســـان كان مقيما بقهستان ( ٥ ) ، وكانت قهستان ـــ كما ذكرنا ـــ تتبع ملوك دولة الاسماعيلية حكام ألموت منذ سنة ٤٨٤ . ويخبرنا المرعشى فى تاريـــخ طبرســـتان أن خراســـان كانت وقت الغزو المغولى ـــ « قد امتلأت بالملاحدة ( ٦ ) » . ولابـــد أن ذلك الازدهار قـــد حدث بفضـــل التوجيه المركزى لشئون الدعوة فى ألموت .

وعلى هذا النحو تمكنت دولـــة الاسماعيليـــة فى ايران من أن تحقق التآلف بين الفرق المتفرعة عن المذهب فتجنبت بذلك التشتت الذى منيت به

---

(١) ابن الأثير ، أيضـــا .

(٢) ص ١١٥ — ١١٧ .

(٣) عن دعوة « القيامة » انظر جهانكشاى ج ٣ ص ٢٢٦ ومايقابلها من الترجمة العربية .

(٤) تجدر الاشارة الى أن ايفانوف فى كتابـــه « المرشـــد الى الأدب الاسماعيلى ص ٩٠ » يتحرج من تحديد تاريخ لوقوع هذه الوحدة المذهبية بين الفرقتين وان كان يسلم بوقوعها .

(٥) ونصـــه هو « وصـــل رسول شهاب الدين الغورى من عند مقدم الاسماعيلية بخراسان برسالة أنكرها فأمر علاء الدين محمد بن على متولى بلاد الغورية بالسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار فى عســـاكر كثيرة الى قهستان الخ » ( ابن الأثير ج ١٢ ص ١٢٤ طبع ليدن ) .

(٦) تاريخ طبرستان ص ٨٤ .

الدعوة الاسماعيلية فى ايران منذ أقدم أطوارها ، كما نجحت تلك الدولة فى ان تكسب الى جانبها — من الوجهة السياسية والمذهبية على حد سواء — المعتنقين للمذهب الاسماعيلى فى المنطقة .

ولقد استطاع الاسماعيلية فى ايران أن يعملوا — بعد قيام دولتهم مباشرة — على تكوين جيش ساهم بصورة فعالة فى أحداث الفترة التى عاشتها دولتهم . وبديهى أن الاسماعيلية — الذين دخلوا بعد استيلائهم على الموت مباشرة فى سلسلة من الحروب الدفاعية — كان لديهم جيش يتولى الدفاع عما بأيديهم من أراضى اغتصبوها من السلاجقة . ولكن الملاحظ أن جهانكشاى — وهو المصدر الرئيسى عن هذه الدولة — لا يشير الى وجود هذا الجيش الا فى وقت متأخر من حياتها فى عصر جلال الدين مسلمان ، مما يجعل الشك فى وجود هذا الجيش منذ البداية يتطرق الى الأذهان ، بيد أن ابن الأثير والعماد الاصفهانى ( ١ ) يشيران الى أن الاسماعيلية كان لديهم جيش منظم فى عصر مبكر من حياة دولتهم ، فيذكران أن الأمير دادحبشى بن التونتاق شق عصا الطاعة وتمكن من الاستيلاء على أكثر بلاد خراسان وطبرستان وجرجان فى سنة ٤٩٣ ، فحاول السلطان السلجوقى بركيارق أن يكسبه الى جانبه ليكون عونا له على أخيه السلطان سنجر ، فلما أحس سنجر بالخطر وجه اميرين من أمرائه لقتال دادحبشى الذى طلب عون السلطان بركيارق وجمع جيشا قوامه على حد قول ابن الأثير : « عشرون الف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ( ٢ ) » اما العماد الاصفهانى فيعتبرهم من فرسان الباطنية وليس من رجالتهم ، اذ يقول : « ومعه ( يعنى دادحبشى ) خمسة آلاف فارس من الباطنية أصحاب اسماعيل الكاكى ( ؟ ) صاحب طبس » . ويبدو من الفقرة الأخيرة أن مقتضيات

---

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٢٢ — ١٢٣ ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣٨ .

(٢) ابن الأثير فى الموضع المشار اليه فى الحاشية السابقة .

الدفاع عن القلاع التى يسيطر عليها الاسماعيلية قد اضطرتهم الى أن يوزعوا قوات جيشهم بين هذه القلاع والمناطق ، ولكنها على أي حال كانت — طبقا لما أورده المؤرخان المذكوران — قوات نظامية تكون جيشا من رجالة ( ١ ) وفرسان . واذا كان الاسماعيلية قد تمكنوا من تكوين جيش بهذه الصورة المنظمة فى وقت مبكر ، فاننا نلاحظ أن الحسن بن الصباح يوصى قبل موته فى سنة ٥١٨ بأن يتولى « كيابا جعفر » صاحب الجيش منصبا أشبه بالمنصب الوزارى ( ٢ ) مما يدل على مدى ما تمتع به قواد الجيش من حيثيه واهتمام ، كما نشاهد هذا الجيش بعد زمن طويل يساهم فى الأحداث العامة فى عصر جلال الدين نومسلمان ويتدخل ، كما تدخل جيش الخليفة العباسى ، لمدد الأتابك مظفر الدين ازبك محمد ابن ايلدكز من أتابكة آذربايجان ضد ناصر الدين منكلى ، فقد حارب جيش الاسماعيلية على قدم المساواة مع جيش الخليفة العباسى وجيش الأتابك وتمكنوا جميعا من القضاء على منكلى واقتسام المناطق التى كان يحكمها فيما بينهم . ولقد حدث ذلك فى سنة ٦١١ ( ٣ ) .

والظاهر أن ذلك الجيش الذى كونه الاسماعيلية فى ايران كان شيئا آخر غير المنظمة الرهيبة التى أقاموها وأطلقوا على أعضائها اسم الفداوية اذ يبدو أن نشاط الجيش كان قائما على أساس التدخل أو الدفاع الجماعى المنظم المكشوف ، بينما كان نشاط تلك المنطقة قائما على أساس فردى باغتيال المناوئين لكل من الدولة والمذهب على حد سواء . وكان أعضاء هذه المنظمة ينتقون منذ نعومة أظافرهم لتعليمهم فنون الاغتيال وسفك الدماء . ونال الفداوية شهرة واسعة منذ اغتيالهم للوزير السلجوقى نظام الملك فى سنة ٤٨٥ فأوقعوا الخلل والتوتر فى نفوس المخالفين لمذهبهم حتى انعدم الأمن ، ووصل الأمر الى أن الملوك والسلاطين

(١) أو بالاصلاح العصرى « مشاة » .
(٢) جهانكشاى ج ٣ ص ٢١٥ ومايقابلها من الترجمة .
(٣) جهانكشاى ج ٣ ص ٣٤٥ ومايقابلها من الترجمة ، ويذكر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٤١ — ١٤٢ تاريخ هذه الواقعة فى سنة ٦١٢ .

لم يجدوا فى حفظ أنفسهم من الفـداوية حيلة ( ١ ) : وكانت سرية الدعوة الاسماعيليـة وسريانها فى مختلف الأوسـاط من الأسباب التى أدت الى انتشـار الفوضى والتوتر فى ذلك الوقت فلم يكن أحـد ليستطيع أن يميز الباطنى عن غيره حتى أنه : « ما كان سـلطان يلى يثق بخواصه ، وسعى ذوو الأغراض فى ذوى اختصـاصه ( ٢ ) » . ولقد أصبح اتهـام الأبرياء بتهمة اعتناق مذهب الباطنية سببا قويا يتذرع به كل من أراد التخلص من مناوئيه أو أعدائه ( ٣ ) : « ولمـا عرفوا جـد السـلطان فى أبادة القوم سعى بعض الناس ببعض ، وأحب وصمه بالالحاد لسابق عداوة وبغض ، ووسمه باسم لم يمحـه عنـه غير السيف ( ٤ ) » . ويبدو أن الفداوية لم يكونوا يهتمون بنوع العمل الـذى يكلفون بالقيام به بقدر ما كـان يهمهم الهدف النهائى من تحقيقـه . وكان هـذا الهدف بالطبع هو ايقاع التوتر والاضطراب فى صفوف أعداء مذهبهم . ولقد عول الفداوية على اصطياد الشخصيات السياسية البارزة فى الدولة السـلجوقية بالقتل والاغتيال ، فجردوها من قوتها الفعالة وعقولها المدبرة . مما أفضى بها الى المسـارعة الى نهايتها المؤسفة . مجمل القول أن دولة الاسماعيليـة فى ايران قـد استطاعت بهذه المنظمـة أن تحقق لنفسها لدى غيرهـا من الدول التى عاصرتها مهابـة سياسية بنفس القـدر الذى استطاعت بـه أن توقـع الخلل والاضطراب فى نفوس أعدائها .

وأخيرا فقد عاشت الدولة الاسماعيليـة فى ايران فترة زمنية أكبر من الفترة التى عاشتها دولـة السـلاجقة التى تعـد من أعظـم الدول التى قامت فى تلك المنطقـة ( ٥ ) .

(١) انظر العماد الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٣ .
(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٣ .
(٣) ابن الأثير ج ١٠ : ١٣٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ .
(٤) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٣ .
(٥) أقام السلاجقة دولتهم الرئيسية فى ايران سنة ٤٢٩ ، وتم القضاء =

**ثانيا — النظم الاجتماعية :**

اذا كانت النظرة السياسية الاسلامية الى مفهوم « الدولة » تتجه الى اعتبارها مجتمعا له ذاتيته المستقلة التى تميزه عن غيره ، يعترف بقانون واحد وتسير حياته وفقا لنظام واحد ، ويهدف الى غايات مشتركة وتقوم بين أفراده وشائج قوية من الجنس واللغة والدين ، والشعور العام بالتضامن ( ١ ) ، فاننا يمكن أن نطبق هذا المفهوم على التنظيم السياسى الذى أقامه الاسماعيلية فى ايران ، اذ استطاع الاسماعيلية أن يكونوا فى بلادهم مجتمعا اسماعيليا خالصا يدين أفراده بالمذهب الاسماعيلى ويعملون من أجل الدفاع عن مذهبهم ونشره على أوسع نطاق . ذلك أنه لما اشتد حصار السلطان محمد السلجوقى على الاسماعيلية المقيمين بقلعة شاهدز باصفهان سنة ٥٠٠ طلب جزء منهم أن يخلى السلطان سبيلهم للذهاب الى ابن الصباح فى ألموت ، أما الجزء الذى بقى منهم بالقلعة فقد أبادتهم عن آخرهم جيوش السلطان ( ٢ ) .

ويمكن القول بأن انتقال هذا الجزء من اسماعيلية اصفهان الى المنطقة التى سيطر عليها ابن الصباح جنوبى بحر قزوين قد ساعد على تكوين مجتمع اسماعيلى خالص فى هذه المنطقة فلم يكن يعيش فيها غير من يعتنق مذهب الاسماعيلية ( ٣ ) .

---

= عليها نهائيا بعد أن تضعضعت قوتها بالتدريج وتوزعت بين أعدائها فى سنة ٥٩٠ ( سلاجقة ايران والعراق للدكتور عبد النعيم حسنين ص ١٣٨ — ١٣٩ ) ، أى أنها عاشت فى كل من ايران والعراق حوالى مائة وستين عاما . بينما عاشت دولة الاسماعيلية فى ايران مائة وواحد وسبعين عاما منذ سنة ٤٨٣ بعد استيلاء ابن الصباح على ألموت حتى سنة ٦٥٤ حينما قضى عليها هولاكو .

(١) النظريات السياسية الاسلامية ، للدكتور ضياء الدين الريس ، ص ١٦ .

(٢) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٨٢ .

(٣) جهانكشاى ج ٣ ص ٢٣٩ ومايقابلها من الترجمة .

والملاحظ أن هناك أوجها للشبه بين المجتمع الاسماعيلى الخالص الذى عاش فى دولة الاسماعيلية فى ايران واعتنق كل أفراده المذهب الاسماعيلى وبين « دار الهجرة » التى أقامها القرامطة منذ بدء قيام الحركة الاسماعيلية فى القرن الثالث الهجرى . فلقد كان القرامطة يعيشون فى مناطق قاصرة عليهم دون غيرهم . كما كانوا يطبقون سياسة الاكتفاء الذاتى فى المعيشة فى المناطق التى يقيمون بها ( ١ ) . ولم يكن هذا هو وجه الشبه الوحيد بين دولة الاسماعيلية فى ايران وبين القرامطة بل كان الاسماعيلية فى ايران كالقرامطة فى مقتهم للحج وقتلهم للحجيج ( ٢ ) وكان بعض رؤساء القرامطة يجمع الصبيان فى دور ويجرى عليهم ما يحتاجون اليه وينصب لهم عرفاء يعلمونهم ركوب الخيل والطعان : « فينشأون لايعرفون غير الحرب (٣) » . مما يوحى بوجود شبه بين هؤلاء وبين الفداوية الذين كانوا ينشأون تنشئه خاصة .

ولقد رأينا فيما سبق أن الدعوة الاسماعيلية فى ايران فى طورها المبكر كانت تدعو الى نفس العقائد التى كان يعتنقها القرامطة عندما كانوا يتزعمون النزعة الغالية فى الحركة الاسماعيلية ، تلك النزعة التى تعد فى الواقع التعبير الحقيقى عن روح المذهب الاسماعيلى . ولكن هذه العقائد وان كانت قد اتجهت بفضل الفاطميين اتجاها محافظا الا انها سرعان ما عادت بعد فترة ضئيلة الى الغلو والتطرف بمجرد قيام الدولة . حقيقة أننا لم نستطيع أن نثبت ، بما لدينا من مصادر ، أن الدعوة الاسماعيلية فى ايران فى ذلك الطور المبكر كانت تخضع لتوجيه مركزى من جانب القرامطة

---

(١) اتعاظ الحنفا ، طبع مصر ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٦٤ ، ج ١١ ص ١٠١ ، ولقد استرعت هذه الظاهرة انتباه المستشرق الفرنسى سيديو فى كتابه « تاريخ العرب العام » ص ٢٦٥ .

(٣) اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٦ .

فى البحرين ، ولكن عدم الوجـدان لايدل على عـدم الوجود كما يقولون ، وربما كانت هناك علاقات قائمة بين القرامطـة واسماعيلية ايران فى طور الدعوة المبكر ( ١ ) ، بحيث أثرت تلك العـلاقات على سير الدعوة هناك على هـذا النحو الذى جعل المجتمع الذى اقامه القرامطـة مثلا تحتذى دولة الاسماعيليـة فى ايران ببعض جوانبه ان لم يكن بجوانبـه كلهـا فى تكوين مجتمعها .

## ثالثا — العقائد المذهبية :

لاحظنا فيما سبق كيف ظلت الدعوة الاسماعيلية فى ايران فى طورها الأول محافظة على التقاليد الثورية للعقائد الاسماعيلية ، ثم كيف تحولت فتبعت التغيير الذى أحدثه الفاطميون للتخفيف من غلو هذه العقائد .

غير أنه يبدو أن هذا التحول كان عارضـا لم يؤثر فى التطور التاريخى للدعوة تأثير الطور الأول ، فسرعان ما عاد الاسماعيلية فى ايران الى نزعة الغلو والتطرف ، تلك النزعـة التى استؤنفت فور قيام دولتهم واستمرت سمة من سمات تلك الدولة حتى قضى عليها هولاكو فى سنة ٦٥٤ .

ولقد مهدت الأحداث السياسية التى وقعت فى موطن أئمة الاسماعيلية فى مصر بعد وفـاة المستنصر سنة ٤٨٧ لعودة الاسماعيليـة فى ايران الى نزعة الغلو والتطرف . فلقد أصيبت وحـدة الحركة الاسماعيلية بعد موت المستنصر بالتصـدع والانشقاق . وكان المستنصر قـد أوصى قبل موتـه بتولى ابنه الأكبر نزار ، ولكن ابنه الآخر المستعلى نازع نزاراً على العرش

---

(١) انظر فيما سبق ص ٨٥ .

وقاتله وهزمه وتربع مكانه . فتبع الاسماعيلية فى ايران نزارا بينما تبع الاسماعيلية فى مصر المستعلى . ولم تلبث العلاقات بين الاسماعيلية فى كل من ايران ومصر أن قطعت كلية ودب النزاع المذهبى والسياسى بينهما (١).

والواقع أن هذا الانفصام المبكر عن المركز الرئيسى للتشريع المذهبى فى القاهرة قد جعل الاسماعيلية فى ايران يعتمدون على أنفسهم اعتمادا كبيرا فى هذا المجال ، فمنذ أن ظفروا بالاستقلال المذهبى عن الخلفاء الفاطميين فى مصر وهم يعملون على تطوير العقائد الاسماعيلية التى كانت منذ استيلاء الفاطميين على مصر قد تركت الغلو جانبا ونحت نحو التحفظ ، فاتجه تطويرهم لهذه العقائد منذ الوهلة الأولى الى الغلو ، حقيقة ان هذا التطور المذهبى فى دولة الاسماعيلية فى ايران قد بدا متحفظا نسبيا فى « الدعوة الجديدة ( ٢ ) » التى أحدثها الحسن بن الصباح ، والتى اعتمدت أساسا على « التعليمية » ، وهى النظرية التى نشاهد جذورها لدى أبى حاتم الرازى الداعى والفيلسوف الاسماعيلى المبكر ( ٣ ) . ولكن هذا التطور المذهبى فى دولة الاسماعيلية فى ايران وصل أشده فى عهد

---

(١) أصبحت مصر هى الأخرى ، من جراء هذا النزاع ، منطقة من المناطق التى يمارس فيها الفداوية نشاطهم وكانت حياة خلفائها ووزرائها وحكامها فى المدة الباقية من العصر الفاطمى بعد موت المستنصر مهددة على الدوام بخطرهم ، أنظر ابن ميسر فى مواضع متفرقة ، مثلا ص ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(١) يرد اصطلاح الدعوة الجديدة فى كتابات معظم المؤرخين ومؤلفى الملل والنحل من أهل السنة فقد ورد فى جهاكنشاى وجامع التواريخ والملل والنحل للشهرستانى وغيرها الا أنه لا يظهر على الاطلاق فى كتابات الاسماعيلية أنفسهم اللهم الا الاسماعيلية المستعلية حيث تطلق عليها مصادرهم اسم « البدعة » انظر مقدمة ايفانوف الانجليزية لكتاب « كلام بير » .

(٣) انظر رسائل فلسفية لأبى بكر الرازى الفصل الخاص بالمناظرات بين الرازيين ص ١٩٥ ، ٢١٣ وبوجه أخص ص ٢٩٧ حيث يقول أبو حاتم الرازى : « ولانرى أحدا يدرك شيئا من الأمور بفطنته وكيسه وعقله الا بمعلم يرشده الخ » .

الحسن بن محمد بن بزرك أميد بدعوة القيامة (١) التى أدت الى تحليلهم لكافة المحارم (٢) ونبذهم لكل الأصول الشرعية والعقائد الدينية .

ولقد نشرت فى الآونة الأخيرة بعض الكتب الاسماعيلية التى تتناول بالشرح والتوضيح العقائد المذهبية للدولة الاسماعيلية فى ايران ، وكان الفضل فى نشر هذه الكتب للمستشرق الروسى « ايفانوف » . ويجدر بنا أن نعرض هنا لبعض ما ورد بهده الكتب لنتبين الى أى مدى ذهب هؤلاء الاسماعيلية فى عقائدهم مستعينين فى عرضنا السريع هذا بكتاب « كلام بير ( ٣ ) » ، وهفت باب بابا سيدنا ( ٤ ) ، ومطلوب المؤمنين ( ٥ ) ، وفصل دربيان شناخت امام ( ٦ ) ، وكلها كتب اسماعيلية .

تأول الاسماعيلية فى ايران فى تلك الفترة أركان الشريعة وفرائضها على نحو أبطلها تماما ، فقد أصبحت الشهادة فى تأويلهم هى معرفة الله عن طريق الامام ، اما الطهارة فهى أن يتجاوز المرء عن قواعد السنة ويعتبر كل ما يقوله الامام حقا ، وأما الصلاة فهى ألا يغفل المرء قط عن طاعة الله ورسوله وخليفته ( أى الامام ) ، وأما الصوم فهو أن ينذر أعضاء جسده فى الظاهر والباطن لأمر الله ، والزكاة هى أن يعطى المرء كل ما وهبه الله

---

(١) انظر جهانكشاى ج ٣ ص ٢٢٦ ومايقابلها من الترجمة .

(٢) تبصرة العوام ص ١٨١ ، ١٨٢ نقلا عن كتاب « تاريخ أدبيات در ايران » ص ١٧٩ للدكتور ذبيح الله صفا .

(٣) كان هذا الكتاب منسوبا الى ناصر خسرو ، ولكن ايفانوف أثبت أنه من تأليف مؤلف مجهول كان يعيش فى أوائل العصر الصفوى وقد اقتبست مشتملات هذا الكتاب من كتب اسماعيلية قديمة .

(٤) يشتمل هذا الكتاب على بعض أقوال الحسن بن الصباح ، ومؤلفه مجهول ، ويقول انه ألفه بعد وفاة الحسن بن الصباح ( ٥١٨ ) بثمانين عاما أى فى أواخر القرن السادس الهجرى .

(٥) من تصنيفات نصير الدين الطوسي المؤرخ والرياضى وعالم الفلك المشهور، والذى كان يعمل وزيرا لركن الدين خورشاه آخر ملوك الاسماعيلية .

(٦) كتاب مجهول المؤلف ألف حوالى نهاية القرن العاشر الهجرى .

اياه من مال لبيت مال الامام أو يهبه ــ بأمر الامام ــ لأخ مؤمن فيرد للفقراء والمساكين حقهم ، وأما الجهاد فهو جهاد النفس والقضاء على هواها، وأما الحج فهو أن تحفظ يدك عن الدنيا الفانية وتطلب الدار الباقية ( ١ ) . كما أولوا الطهارة على أنها التطهر من فعل أهل الظاهر ، والوضوء هو الرجوع الى علم الامام لأن الماء هو الحقيقة ( ٢ ) . الى غير ذلك من التأويلات التى ان دلت على شئ فانما تدل على أن الامام ظل هو المحور الأصلى للعقائد الاسماعيلية ، وان كان الاسماعيلية فى ايران فى تلك الفترة قد ارتفعوا به ووضعوه فى منزلة البشر ( ٣ ) ، فجعلوه فى وضوح وجلاء هو الواسطة بين الله والبشر ، كما وضعوا كافة أركان الدين وشرائعه فى قبضته ( ٤ ) ، وجعلوه لازمة من لوازم الوجود . على أنهم ظلوا محافظين على العقيدة الفاطمية فى شأن الامام المستودع والامام المستقر ( ٥ ) .

ولقد ذهب بهم التأويل الى القول بأن عيسى ابن الله ، ويقولون ان المسيح سيعود الى الظهور فى القيامة ليظهر أمر أبيه ، كما يقولون ان المسيح قد أحيا رجلا ميتا فى دور الشريعة فاذا ماجاء دور القيامة فانه يحيى الخلق جميعا فيتم حكم القيامة ويصبح مساعدا لأبيه (٦) .

وبالغوا أيضا فى شأن على بن أبى طالب ، فقالوا انه هو الذى رفع

---

(١) مطلوب المؤمنين ص ٥٢ — ٥٤ .

(٢) كلام بير ص ٩٤ — ٩٥ والملاحظ أن تأويل معنى الصلاة والصيام والزكاة والحج فى كلام بير يختلف عن تأويل معانى هذه الأركان فى كتاب « مطلوب المؤمنين » وهو التأويل الذى ذكرناه فى المتن .

(٣) كلام بير ص ٢٧ .

(٤) مطلوب المؤمنين ص ٥٠ .

(٥) ينسبون الى الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : لو خلت الأرض من امام ساعة لمادت بأهلها ( كلام بير ص ٢٢ ) .

(٦) هفت بأب بابا سيدنا ص ١٢ .

السماء وبسط الأرض وهو قاسم النار والجنة ، ولا مبدأ له ولا معاد ، ولا هو بذى بداية ولا نهاية فهو حى قائم على الدوام (١) .

ويمكن القول بأن هذا التطور العقائدى تنطوى بعض ملامحه على نزعة فارسية قومية ، فلقد ارتفعوا بمنزلة سلمان الفارسى وجعلوه : « بابا من أبواب الجنة ( ٢ ) » و « روح الجنة ( ٣ ) » أما الترك ، ولقد كان السلاجقة من الترك ، فللاسماعيليةفى ايران رأى فيهم يدلى به الحسن ابن الصباح بنفسه ، وينقله عنه صاحب كتاب « هفت باب بابا سيدنا » وهو أن : « هؤلاء الأتراك ليسوا من بنى الانسان ويطلق على بعضهم اسم «الجن » ، ويقال ان الجن أى الأتراك ، كانوا يملكون الدنيا قبل آدم (٤) » . فهم عند الاسماعيلية اذن ليسوا من بنى البشر ومن عنصر آخر شرير . ومن المعروف أن روح العداء للعنصر التركى تعد من الملامح الاساسية فى تكوين الشخصية الفارسية ، وهو عداء تمتد جذوره الى الأغوار السحيقة فى التاريخ ، بل تمتد هذه الجذور الى عصر الاساطير ( ٥ )، مما يرجح أن هذه العقيدة ذات الصبغة السياسية تنتمى هى الأخرى الى النزعة القومية الفارسية .

ويبدو أن الضعف السياسى الذى منى به الفاطميون ــ الذين كانوا يتبنون نزعة الاعتدال فى العقائد الاسماعيلية ــ بعد عصر المستنصر ، كان

---

(١) أيضا ، ص ١٤ ــ ١٦ .

(٢) أيضا ص ٣٠ .

(٣) كلام بير ص ٩٢ ، وقد تطورت عقيدة الاسماعيلية فى ايران بشأن سلمان فأصبح عندهم كما يقول المؤلف المجهول لكتاب « فصل دربيان شناخت امام » ص ١٢ : « هو المعلم ، ومرتبته أعلى من مرتبة الرسول » .

(٤) هفت باب بابا سيدنا ص ٣٠ .

(٥) من المستطاع التأكد من صحة هذا القول اذا راجعنا «الشاهنامه» للفردوسى الطوسى .

من العوامل التى منحت الاسماعيلية فى ايران هذه الانطلاقة غير المحدودة للعودة الى نزعـــة التطرف بل والمغالاة فيها . على أنه بعد القضـــاء على الفاطميين فى مصر فى سنة ٥٦٦ كان اسماعيليـــة ايران هم الذين يشـــار اليهم بالبنان فى تزعم الحركة الاسماعيلية فى كافة الأقطار الاسلامية .

* * *

وهكذا يمكن القول بأن الاسماعيليـــة فى ايران أقاموا نظاما سياسيا توفرت له المقومات التى ينبغى أن تتوفر للدولة،وتمكنوا بقيام هذه الدولة من أن يحققوا وحدة الحركة الاسماعيليـــة فى ايران كما كونوا فى هذه الدولة مجتمعا اسماعيليا خالصـــا له ذاتيته المستقلة .

ولقد كانت دولة الاسماعيلية فى ايران تعامل الدول المعاصرة لها بمثل ما تعـــامل به الدول بعضها بعضـــا : بالمســـالمة حينـــا وبالمهادنة حينا وبالمعـــاداة والتنافر أحيانا ، ولكنها كـــانت فى كل وقت تتمتع بالاستقلال فى تحديد نوع علاقاتها بالآخرين ، وبمنعة أراضيها ، وبمقدرتها على صـــد العدوان . والثابت أن هذه الدولة كانت ذات تأثير سياسى واجتماعى كبير خارج نطـــاق حدودها . مما جعل الســـلاطين والحكام المعـــاصرين لها يحرصون على مهاجمتها رغبة فى القضـــاء عليهـــا والتخلص من تأثيراتها فهاجمها معظم سلاطين دول : السلاجقة والخوارزميين (١) وملوك طبرستان

---

(١) جهانكشـاى ج ٢ ص ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٢١٦ ، وابن الأثير ج ١٢ ص ١٠٠ — ١٠١ ص ١٠٤ ، ١٠٦ طبع ليدن،ونهاية الأرب النسخة المصورة بدار الكتب المصرية ج ٢٥ . ورقة ١٧٣ .

ومازندران ( ١ ) ، كما أراد صلاح الدين الأيوبى القضـــاء عليها ( ٢ ) ،
فصمدت لهؤلاء جميعـــا وســـاهمت بنصيب كبير فى التـــأثير على الأحوال
السياسية والاجتماعيـــة وتوجيهها على النحو الذى أدى بها الى التدهور
الكامل والتفكك الذى انحدر اليه العالم الاسلامى مما مهد لحدوث النكبـــة
الكبرى باجتياح المغول لايران والعراق والشـــام وقضـــائهم على كل أثر
من آثار الحضـــارة فيها .

* * *

---

(١) انظر تاريخ طبرستان لسيد ظهير الدين ص ٥٧ — ٥٩ وابن الأثير ج ١٠ ص ١٠١ طبع مصر .

(٢) راحة الصدور ص ٣٣٧ — ٤٧٠ من الترجمة العربية .

## خاتمـــة البحث

تعرضنا فى مجالات هذا البحث الى تاريخ الدعوة الاسماعيلية فى ايران ، وشـــاهدنا كيف انتهى الأمر بهذه الدعوة الى احراز كسب سياسى ضخم باقامة دولة قوية مرهوبة الجـانب ، كان قيـام تلك الدولة يعد النتيجـة المنطقية للجهود الفائقة التى بذلها دعاة الاسماعيلية فى تلك المنطقـة طيلة قرنين من الزمان .

ولقد لعبت هذه الدولة دورا كبيرا فى احـداث عصرها ، فلقد انعكس تطرفها العقـائدى فى معظم الأحيان ، على علاقاتها السياسية ، وجعلهـا مسئولة الى حـد كبير ــ لمـا أثارتـه من قلاقل وتوتر ــ عن الوضـع المفكك الذى آل اليه المشرق الاسلامى ، فانفتح على مصراعيه أمام جحافل المغول البربرية تجتاح كالسيل الجارف كل أثر من آثار الحضـارة فى كل من ايران والعراق والشـام ، ولقـد وقعت هذه الدولة نفسها فريسـة للغزو المغولى . واذا كان قد ظهر من بين الاسماعيلية فى ايران ، قبل قيام دولتهم بها ، عدد لا بأس به من الفلاسفة والمفكرين الذين حاولوا العثور على قواعد فلسفية لأصـول مذهبهم ، كأبى حـاتم الرازى وأبى يعقوب السجستانى وناصر خسرو والمؤيد ، فان دولة الاسماعيلية فى ايران قـد انجبت عددا من الشخصيات السياسية الفذة التى دأبت على تطوير العقائد المذهبية بما يتلائم مع الأوضـاع والأخطار المحيقة بهم ، ووضـع هـذه العقائد موضـع التطبيق ، فتمكنت من تكوين مجتمع ذى طابع فريد أشبه ما يكون بالمجتمع الذى كونه القرامطة فى البحرين .

ولقد أقام الحسن بن الصباح صرح تلك الدولة ومنحها طبيعتها المميزة لها ، كما قطـع الحسن بن محمد بن بزرك أميد بعقائدها شوطا لم تبلغه فرقة من الفرق الاسلامية الغالية ، بينما عاد جلال الدين تومسلمان بهذه العقائد المتطرفة الى الأعتدال فتمكن من دعم علاقاته السياسية بمن حوله .

ولقد استطاع حكـام هـذه الدولة الحفاظ على استقلالها السياسى والمذهبى طيلة حياتها ، وكانت من القوة والبطش بحيث تؤثر فيمن حولها ولا تتأثر بهم الا حين يجردون عليها حملات انتقامية ، كما كانت من القدرة والمنعة بحيث تستطيع أن تحدد نوع علاقاتها بغيرها .

واذا كان المؤرخان الكبيران عطـا ملك الجوينى فى كتابه جهانكشـاى ورشيد الدين فضل الله فى كتابه « جامع التواريخ » يحاولان أن يجعلا من المغول حماة للاسـلام وحفظة للدين القويم بقضـائهم على الاسماعيلية فى ايران . فان واقـع الأمر لا يفصح عن ذلك ، اذ يكفى ما ارتكبه المغول فى حملاتهم على بلاد الاسلام من جرائم وفظائع تجل عن الوصف للدلالة على القول بعكس ما قال به المؤرخـان المذكوران ، ويبدو أن المغول مـا كانوا يستطيعون اجتياز ايران الى العـراق للقضـاء على الخلافـة العباسية فى بغداد دون أن يؤمنوا ظهورهم ، ولم يكن يتسنى لهم ذلك دون القضـاء على دولة الاسماعيلية فى ايران . ولكن القضـاء على تلك الدولة لم يكن سهلا ميسورا حتى بالنسبة للمغول الجبابرة ، فقـد كلفهم ذلك الكثير من أرواح جنودهم ، وخسروا أمام الاسماعيلية عددا من المعارك ، كما اضطروا — تجاه المقاومة الاسماعيليـة — الى التـأخر عن تحقيق هدفهم الرئيسى بالقضـاء على الخلافة العباسية ما يقرب من سنتين كان من الممكن للعالم الاسلامى فى خلالهما أن يجمع شتات نفسـه ويتماسك ليتمكن من الوقوف فى وجـه العاصفة المغولية العاتية دفاعا عن بغداد .

# القسم الثـانى

« دولة الاسماعيلية فى ايران »

كما جـاءت فى كتـاب « تاريخ جهانكشـاى »

للمؤرخ الكبير عطـا ملك الجوينى

## تقـــديم

## عطـا ملك الجوينى

## حياته ، وكتـــابه (( تاريخ جهانكشـــاى ))

يحسن بنـا أن نقـدم لترجمـة النص الفارسى الذى أورده الجوينى فى كتابه عن « دولة الاسماعيلية فى ايران » بكلمة عن حيـاة هـذا المؤرخ الكبير وأعماله .

ولا أحسب أننـا بحاجـة ملحـة الى التعريف فى اسهاب بعلاء الدين عطا ملك الجوينى ، فقد وفاه العلامة الايرانى الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى حقـه من الدراسـة والبحث فى مقدمته القيمة لكتـاب « تاريخ جهانكشـاى ( ١ ) » حيث تنـاول أسرته وحياتـه ومؤلفاته بالدراسـة فى دقـة وتتبع واتقان ، الأمر الذى جعل من هـذه المقدمـة مرجعا أصيلا وافيـا لكل من أراد أن يتعرف بالتفصيل على شخصية عطا ملك الجوينى . لذلك سنتناول هذه الشخصية فى هذه المناسبة فى أضيق الرسوم ، معتمدين فى المقام الأول على ما أورده القزوينى فى مقدمته ، مبتدئين بترجمة حيـاة المصنف ثم شرح لكتابه جهانكشـاى ثم عرض لمـا ورد عن الاسماعيليـة فى ذلك الكتـاب ( ٢ ) .

* * *

---

(١) لم يكن القزوينى هو أول من كتب عن عطا ملك بل سبقه الى هذا المضمار اثنان من المستشرقين الفرنسيين : أولهما كاترمر الذى كتب مقالا عن الجوينى فى كتاب «الكنوز المشرقية» المنشور فى سنة ١٨٠٩م ، وثانيهما شفر الذى نقل مقال كاترمر مع اجراء بعض التعديلات والأضافات فى كتابه « مختارات فارسية » المنشور فى سنة ١٨٨٥م . وقد نشر الأستاذ محمد ابن عبد الوهاب القزوينى مقدمته عن المصنف وأسرته ومؤلفاته فى أوائل الجزء الأول من « تاريخ جهانكشاى » الذى صدر فى سنة ١٩١٣ ميلادية .

(٢) وينبغى أن نشير الى مقال نشر باللغة العربية فى الفترة الأخيرة تناول شخصية عطاملك وكتابه جهانكشاى ألفه أستاذى الدكتور أحمد محمود الساداتى بعنوان « تاريخ جهانكشاى » فى العدد الثانى من المجلد الرابع من مجلة تراث الانسانية الصادر فى ٥ فبراير سنة ١٩٦٦ (ص ١١٨ — ١٣٢) .

ينحدر علاء الدين عطا ملك الجوينى من أسرة عريقة كان لها شأن كبير فى دول السلاجقة وملوك خوارزم والمغول . وقد عرفت هذه الأسرة فى التاريخ بأسره صاحب الديوان .

ويشير الذهبى ، نقلا عن ابن الفوطى ، الى أن نسب هذه الأسرة يصل الى الفضل بن الربيع حاجب خلفاء بنى العباس(١) . فالذهبى يذكر نسب علاء الدين على النحو التالى : هو الصدر المعظم صاحب الديوان علاء الدين أبو المظفر عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن شمس الدين (٢) محمد بن بهاء الدين (٣) محمد بن على بن محمد بن محمد بن محمد بن على ابن على بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن أيوب بن الفضل بن الربيع (٤) .

ويتبين لنا مما كتبه المصنف فى كتابه جهانكشاى ان جد والده المسمى بهاء الدين محمد بن على قام على خدمة السلطان تكش بن ايل أرسلان ابن اتسز خوارزمشاه فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة عندما كان يتحرك بجيوشه متجها صوب الرى لمحاربة السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة (٥) . كذلك يذكر علاء الدين أن خال بهاء الدين المذكور هو

---

(١) تاريخ الاسلام ، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢ تاريخ ، ج ٢٣ ورقة ٧ .

(٢) لم يذكر الذهبى هذا اللقب بل ذكره المصنف نفسه فى الجزء الأول من جهانكشاى ص ١٣٤ .

(٣) لم يذكر الذهبى هذا اللقب أيضا بل ذكره المصنف فى الجزء الثانى من جهانكشاى ص ٢٨ .

(٤) ولقد اغتنم ابن الطقطقى صاحب كتاب « الفخرى فى الآداب السلطانية » بسبب العداء الذى كان يكنه لعلاء الدين ، فرصة الترجمة للربيع الحاجب فى كتابه وقدح قدحا شديدا فى نسب الربيع وذكر أنه مشكوك ومطعون فيه لدى علماء التاريخ ، وأبدى دهشته من انتساب علاء الدين الى رجل مثل الفضل بن الربيع ( انظر الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٩ — ١٣٠ طبع المطبعة الرحمانية بمصر ) .

(٥) جهانكشاى ج ٢ ص ٢٨ .

منتجب الدين بديع الكاتب الجوينى (١) من مشـــاهير كتاب عصره ، ومن أصحاب التصـــانيف الرفيعة فى فن الانشـــاء والترســـل (٢) . وكان من أقرب الكتاب الى السلطان سنجر السلجوقى وأشدهم تأثيرا عليه ، ولقد استطاع أن يجعل السلطان يغفر للشـــاعر المعروف رشيد الدين الوطواط فعلته المشهورة باقدامه على هجاء سنجر الذى كان مصمما على سفك دمه وتقطيعه اربا فكان لمنتجب الدين الفضـــل فى انقاذ الشـــاعر من هـــذا المصير البشـــع (٣) .

كان جـــد المصنف شمس الدين محمد بن محمد بن على من مـــلازمى السـلطان محمد خوارزمشـــاه كما كان يعمل مستوفيا لديوانـــه ( ٤ ) . وظل محتفظا بهذا المنصب فى عهد ابنه السلطان جلال الدين المنكبرتى (٥) . أما أبو المصنف ، بهاء الدين محمد بن محمد صاحب الديوان ، فكان يعيش فى ملازمة حكام المغول ونوابهم الذين عينوا لحكم البـــلاد فى الفترة الواقعة ما بين فتوحـــات جنكيزخان حتى قدوم هولاكو الى ايران ، وهى فترة تبلغ

---

(١) فى ترجمة حياة منتجب الدين هذا أنظر لباب الألباب لمحمد عوفى ج ١ ص ٧٨ — ٨٠ طبع ليدن .

(٢) مثل رقية القلم ، وعتبة الكتبة الذى طبع فى طهران سنة ١٣٦٩هـ بتصحيح الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى والأستاذ عباس اقبال عن النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بدار الكتب المصرية .

(٣) أنظر تفصيل هذه الحادثة فى جهانكشاى ج ٢ ص ٦ — ١٠ ، وأيضا فى المقدمات الضافية التى كتبها الأستاذ عباس اقبال لكتاب « حدائق السحر فى دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط . وقد قام المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربى بنقل الكتاب الى اللغة العربية مع تعريب مقدماته وتوضيح حواشيه ، ونشره فى مصر بنفس العنوان سنة ١٩٤٥م ( انظر ص ٨ — ١٠ من الترجمة العربية ) .

(٤) حبيب السير ، أوائل الجزء الثالث فى ترجمة حياة شمس الدين محمد الجوينى اخى المصنف .

(٥) أيضا .

نحو خمسة وثلاثين عاما . ولقد عهد جنتمور ( الذى كان يحكم خراسان ومازندران من قبل الامبراطور المغولى أوكتاى قاآن ) الى بهاء الدين بوظيفة صاحب ديوان هذين الاقليمين ( ١ ) فى حدود سنة ٦٣٠ . وبعد حوالى سنتين فى حدود سنة ٦٣٣ أرسل جنتمور كلا من بهاءالدين وكركوز ( ٢ ) برسالة الى أوكتاى قاآن الذى أحسن لقاءهما وأنعم على بهاء الدين بوظيفة صاحب ديوان الممالك ( ٣ ) .

وكان بهاء الدين يتولى حكم البلاد الغربية التى تقع تحت امرة حكام المغول كتائب عنهم فى أثناء سفرهم الى العاصمة المغولية ( ٤ ) . وصحب الأمير أرغون ، الحاكم المغولى للبلاد الغربية من ايران ، الى بلاط الامبراطور كيوك خان فى حدود سنة ٦٤٤ أو ٦٤٥ ( ٥ ) .

وفى سنة ٦٥١ ( ٦ ) عين أرغون بهاء الدين مع رجل آخر من المغول يسمى نايمتاى حاكمين على العراق العجمى ويزد ( ٧ ) . وكان بهاء الدين عندئذ قد بلغ الستين من عمره ، وعزم على أن يعتزل أعباء الوظائف الديوانية بقية عمره ( ٨ ) . غير أنه اضطر تحت ضغط امراء المغول

---

(١) وظيفة صاحب الديوان تعادل فى عصرنا الحاضر وزارة المالية أو الخزانة .

(٢) كان كركوز تركيا من أصل الأويغور ، وكان من ملازمى جنتمور المذكور وتولى بعده حكم خراسان ومازندران وسائر الولايات الغربية ( جهانكشاى ج ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ) .

(٣) جهانكشاى ج ٢ ص ٢١٧ — ٢٢٤ .

(٤) أيضا ج ٢ ص ٢٣١ و ٢٤٥ و ٢٤٨ .

(٥) مقدمة القزوينى لجهانكشاى ج ١ ص كا .

(٦) جهانكشاى ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) أيضا ، ص ٢٥٧ .

والحاحهم الى التوجه لحكم العراق ، ولكنه لم يكد يصل الى اصفهان حتى وافته المنية ، وكان ذلك فى سنة ٦٥١ (١) .

* * *

ولد علاء الدين عطا ملك الجوينى فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة (٢) . وقد اشتغل ، كما يقول فى مقدمة كتابه ، منذ أوائل شبابه قبل أن يناهز العشرين بأعمال التحرير والديوان ، وانخرط فى سلك الكتبة الخصوصيين للأمير أرغون . وقد بقى الأمير أرغون هذا حاكما عاما من قبل سلاطين المغول على كافة الولايات الواقعة غربى جيحون — وهى ولايات خراسان ، ومازندران ، وجزء من بلاد الهند ، والعراق ، وفارس ، وكرمان ، واللور واران وبلاد الكرج ، والموصل ، وحلب(٣) — ما يقرب من خمسة عشر عاما منذ حوالى سنة ٦٤١ (٤) الى حوالى سنة ٦٥٤ وهى السنة التى قدم فيها هولاكو الى ايران ( ٥ ) .

وفى خلال هـذه المدة سافر أرغون خمس مرات أو ستا الى بلاط سلاطين المغول (الذى كان يقع فى أغلب الأحيان فى قراقورم عاصمة منغوليا) وكان فى معظم هذه الأسفار يصطحب معه كاتبه الخاص علاء الدين صاحب الترجمة . وقـد عاش المصنف ما يقرب من عشر سنوات ما بين سـفر

---

(١) أيضا ، ص ٢٥٨ .

(٢) تاريخ الاسلام للذهبى ، نسخة دار الكتب المصرية ورقة ٧ . انظر أيضا ابن الفوطى فى الحوادث الجامعة ( ص ٤٢٣ ) : « وكان مولده ( يعنى علاء الدين عطا ملك ) فى عاشر ربيع الأول سـنة ثلاث وعشرين وستمائة » . بينما يذكر ابن الفوطى نفسـه فى تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ( القسم الثانى من الجزء الرابع ص ١٠٣٦ ) أن علاء الدين : « ولد سنة اثنتين وعشرين وستمائة » ويبدو أن التاريخ الأخير سهو من الناسخ أو من المؤلف نفسه ، أو لعل تدخـل محقق ذلك الكتاب ، أعنى كتاب تلخيص مجمع الآداب ، فى هذه الفقرة بالذات هو السبب فى هـذا الخطـأ .

(٣) جهانكشاى ج ٢ ص ٢٤٣ ص ٧٤ .

(٤) أيضا ، ج ٢ ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .

(٥) « تقلد الأمير أرغون آقا أمور المملكة وفقا للقاعدة الى وقت وصول هولاكوخان » ( جامع التواريخ طبع بلوشه ص ٣٤٢ ) .

وانتقال وحل وترحال كما يقول هو نفسه فى مقدمة كتابه ( ج ١ ص ٧ ) : « ويليق بأصحاب الفضل والأفضال أن يعفوا ويتجاوزوا ، بفيض كرمهم ، عما يعترى الفاظى من ركاكة وقصور حيث أنى قضيت عشرة أعوام عانيت فيها من الغربة فابتعدت عن التحصيل ، فنسج العنكبوت خيوطه على أوراق العلوم التى لدى ... الخ » . ويبدو أن المصنف التحق بخدمة الأمير أرغون وهو فى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره ، فباشر الأعمال وثابر الأسفار ( ١ ) .

والظاهر أن علاء الدين بسافر الى بلاد المغول لأول مرة فى حدود سنة ٦٤٤ او سنة ٦٤٥ فى صحبة الأمير ارغون كما سافر فى صحبته أيضا سنة ٦٤٧ (٢) ومكث فى البلاط المغولى مدة طويلة عاد بعدها الى ايران سنة ٦٤٩ ، لكنه لم يلبث أن سافر مرة أخرى فى نفس السنة (٦٤٩) فى صحبة هذا الأمير الذى توجه الى قراقورم لحضور الجمعية العامة للمغول ( قوريلتاى ) (٣) التى عقدت بمناسبة جلوس منكوقا آن ، وفى هذه المرة وصل أرغون ومرافقوه الى قراقورم فى العشرين من صفر سنة ٦٥٠ (٤) ، وخرجوا منها فى رجب سنة ٦٥١ ( ٥ ) .

وطبقا لذلك ، فقد توقف المصنف فى سفره هذه المرة ما يقرب من سنة وخمسة اشهر فى بلاط منكوقا آن فى قراقورم . وكما يقول فى مقدمة كتابه

---

(١) مقدمة القزوينى لجهانكشاى ج ١ ص ك ج .

(٢) جهانكشاى ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) قوريلتاى : كلمة مغولية . والقوريلتاى هو اجتماع حافل يضم كافة الأمراء وأركان المملكة الذين كانوا يجتمعون عند تولى أحد أعضاء الأسرة المالكة الملك .

(٤) جهانكشاى ج ٣ ص ٧٤ ، وكان ذلك بقول رشيد الدين فى جامع التواريخ ( طبع بلوشه ص ٣٤٠ ) فى غرة المحرم سنة ٦٥٠ .

(٥) جهانكشاى ج ٢ ص ٢٥٦ ، وجامع التواريخ طبع بلوشه ص ٣٤١ .

انه خلال مدة توقفه فى بلاط هذا السلطان : « أشار جماعة من أصدقاء الوفاء واخوان الصفا الى أنه طالما قد انقلبت مشاق السفر الى بسطة العيش فى الحضر فى ظل حضرة السلطان ، فانه ينبغى لتخليد المآثر المنتخبة ، وتأييد المفاخر الحميدة لسلطان الزمان أن يؤلف ( ١ ) كتابا فى التاريخ ويعد ( ١ ) مجموعة لتدوين آثاره واخباره تنسخ آيات القياصرة وتمحو روايات الأكاسرة » ( ٢ ) . ولما كان المصنف يشاهد ما صار اليه سوق الأدب والعلم من كساد فى ذلك العهد ، فضلا عن أنه لم يكن يأنس فى نفسه القدرة على النهوض بأعباء هذا العمل الخطير ، فقد رفض دعوة أصدقائه . غير أنه لاحظ من ناحية أخرى أنه لم يتوفر لأحد غيره ما توفر له من امكانيات تؤهله للاضطلاع بهذا العمل ، وذلك لأمرين :

١ — أنه كان طيلة عشر سنوات ( ٣ ) دائم التنقل والحركة فى كافة ممالك المغول ، فلقد سافر عدة مرات الى بلاد ما وراء النهر وتركستان وبلاد الأويغور وبلاد المغول كما سافر الى أقصى بلاد الصين ( ٤ ) . وكان شاهد عيان لكثير من الوقائع الهامة .

٢ — أنه كان يتقلد أعلى المناصب فى خدمة سلاطين المغول ، كما كان يعيش فى صحبة عظمائهم وأشرافهم ، الأمر الذى يسر له على النحو الأكمل وسائل جمع الحكايات والروايات المتعلقة بأقوام المغول عن طريق الاتصال بثقات رجالهم ( ٥ ) .

مما حدا به أخيرا الى الاستجابة لطلب أصدقائه ، فبدأ فى تدوين

---

(١) يتحدث المصنف عن نفسه بصيغة المفرد الغائب .
(٢) جهانكشاى ج ١ ص ٢ — ٣ .
(٣) جهانكشاى ج ١ ص ٧ .
(٤) أيضا ، ص ٦ — ٧ .
(٥) مقدمة القزوينى على جهانكشاى ج ١ ص كـه .

ما شـاهد وما سمع فأخرج لنـا بذلك كتاب جهانكشـاى ، الذى بدأ فى تأليفه فى حدود سنة ٦٥٠ وانتهى منه فى سنة ٦٥٨ (١) .

ورجع عطا ملك من سفره هذا الأخير فى سنة ٦٥١ ليستأنف عمله كواحد من كتاب الأمير أرغون حتى أوائل سنة ٦٥٤ وهى السنة التى قدم فيها هولاكو الى ايران ، وسافرفيها أرغون مرة أخرى الى بلاط منكوقاآن. وفى سـهل « شفورقان » ( ٢ ) من محـال بلخ ( ٣ ) عين أرغون قبـل سفره ابنه « كراى ملك » والأمير « أحمد بيتكچى » ، وعلاء الدين عطـا ملك مصنف الكتاب فى خدمة هولاكو لتنظيم المهام وتدبير المصالح ، وقـد عهد اليهم بادارة دقة الأمور فى ممالك العراق وخراسان ومازندران ( ٤ ) . ومنذ ذلك الحين أصبح المصنف من خواص الملازمين والكتاب لهولاكو ومن المقربين اليه ، وكانت منزلته تزداد بمرور الأيام رفعة ومكانته تضطرد فى سبيل المنعة ، حتى ابتلى فى أخريات أيام حياته بداهية مجد الملك اليزدى فبدأ نجمه فى الأفول على النحو الذى سنفصله فيما بعد .

وحسبما ورد صراحة فى جهانكشاى يتضح أن علاء الدين عطا ملك كان يلازم هولاكو بصفة دائمة أثناء حملته لاستئصال الاسماعيلية . ولقد عهد هولاكو الى علاء الدين بكتابة مرسوم يتضمن شروط التسليم والصلح التى فرضها على المقيمين بقلعة « ميمون دز » ، امنع قلاع الاسماعيلية ، الذين اضطروا تحت وطأة حصار المغول الى التسليم . وقد أرسل هذا المرسوم داخل القلعة الى ركن الدين خورشاه آخر ملوك الاسماعيلية فى ايران ( ٥ ) .

---

(١) أيضا ، ص فـد وما بعدها .
(٢) جهانكشاى ج ٣ ص ١٠٠ .
(٣) ياقوت فى معجم البلدان ذيل « شفورقان »
(٤) جهانكشاى ج ٢ ص ٢٥٩ ، ج ٣ ص ١٠١ .
(٥) جهانكشاى ج ٣ ص ١٢٩ .

وبعد فتح الموت واستئصال الاسماعيلية فى سنة ٦٥٤ عطا ملك أن تتعرض مكتبة الموت ( التى استطار صيتها فى الأقطار ) للغارة والتلف فتذهب تلك الآثار القيمة كلها أدراج الرياح ، فعرض الأمر على هولاكو قائلا : « انه لا ينبغى أن نضيع نفائس الكتب فى الموت » فتقبل هولاكو رأيه بقبول حسن (٢) ، وأمره أن يذهب الى القلعة ليطلع على ما تشتمل عليه تلك المكتبة من نفائس وآثار قيمة أمضى الاسماعيلية قرابة مائة وسبعين عاما فى جمعها ليخرج منها ما يليق بالسلطان ( ٣ ) . فامتثل علاء الدين للأمر وقام بعد مراجعة مجموعات المكتبة ومحتوياتها باستخراج المصاحف والكتب القيمة والآلات الخاصة بمرصد النجوم (٤) أما باقى الكتب التى تتصل من قريب أو بعيد بأصول مذهب الاسماعيلية وفروعه فيقر بأنه أحرقها عن آخرها (٥) . ومن بين الكتب التى أخرجها المصنف من مكتبة الموت ولم يحرقها لحسن الحظ كتاب يشتمل على وقائع أحوال الحسن بن الصباح يسمى « سركذ شت سيدنا » ( أى سيرة سيدنا ) نقل المصنف خلاصة مختصرة منه فى الجزء الثالث من تاريخ جهانكشاى ( ٦ ) ، كما نقل منه رشيد الدين فضل الله فى الجزء الثانى من جامع التواريخ فى تاريخ اسماعيلية الموت ( ٧ ) خلاصة أكثر تفصيلا .

ولما فرغ هولاكو فى سنة ٦٥٥ من الاسماعيلية اتجه بجيوشه نحو الجنوب الغربى لفتح بغداد ، وكان المصنف فى زمرة أصحابه ( ٨ ) .

---

(١) أيضا ، ج ٣ ص ٢٦٧ وما يقابلها من الترجمة العربية .
(٢) أيضا ، ص ٢٦٩ — ٢٧٠ وما يقابلها من الترجمه العربية .
(٣) أيضا ، ص ١٨٦ وما يقابلها من الترجمه العربية .
(٤) أيضا ، ص ٢٩٦ — ٢٧٠ وما يقابلها من الترجمه العربية .
(٥) أيضا ،
(٦) أيضا ، ص ١٨٥ — ٢١٦ وما يقابلها من الترجمه العربية .
(٧) طبع هذا القسم من جامع التواريخ مرتين حتى الآن فى طهران، المرة الأولى بعناية الأستاذ دبير سياقى فى سنة ١٣٣٧ ش ، والمرة الثانية فى سنة ١٣٣٨ ش بعناية الأستاذ محمد تقى دانش بزوه والأستاذ محمد مدرسى ، ويقع تلخيص « سركذ شت سيدنا » المشار اليه فى الطبعة الأخيرة فى الصفحات ما بين ٩٧ و ١٣٧ .
(٨) جامع التواريخ طبع كاترمر ص ٢٦٤ ، تعادل ص ٢٨١ — ٢٨٢ من الترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاترمر .

وبعد فتح بغداد بسنة واحدة ، عهد هولاكو الى علاء الدين بحكومة بغداد (١) ، فبقى حاكما عليهما حتى توفى هولاكو فى ربيع الآخر سنة ٦٦٣ (٢) .

ولقد أقر أباقا بن هولاكو ، لدى جلوسه فى رمضان من نفس السنة ، شمس الدين محمد الجوينى أخا المصنف فى منصب الوزارة على الرسم السابق ، وأسند ممالك بغداد وفارس الى أمير مغولى يقال له سونجاق أغا ( ٣ ) ، ونصب علاء الدين عطا ملك نائبا عن الأمير سونجاق فى بغداد .

وظل علاء الدين عطا ملك طوال مدة سلطنة أباقا ( من سنة ٦٦٣ حتى سنة ٦٨٠ ) ، أى طيلة سبعة عشر عاما ، الحاكم الفعلى المطلق لبغداد وكل العراق العربى (٤) ، وان كان فى الظاهر يحكم نائبا عن الأمير سونجاق . ولقد صرف علاء الدين كل همه فى مدة حكمه فى تعمير البلاد وراحة العباد . وأسقط عن كاهل الفلاحين مغارم كثيرة (٥) ، وبذل غاية جهده فى انشاء القرى ومجارى المياه ، وحفر نهرا متفرعا من الفرات مبدؤه

---

(١) مقدمة القزوينى ك ط ، نقلا عن رسالة « تسلية الأخوان » وهى من تأليف المصنف نفسه الخطية الرقيمة Suppl. pers. 1556 بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ٢٢٣ .

(٢) جامع التواريخ طبع كاترمر ص ٤١٦ ، تقابل ص ٣٤١ من الترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاترمر .

(٣) اسم هذا الشخص مذكور فى تاريخ الوصاف ( طبع بومباى ص ٥٥ ) : « سوغنجاق » .

(٤) يزخر كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » المنسوب الى كمال الدين أبى الفضل عبد الرازق بن الفوطى البغدادى مؤرخ علاء الدين وتلميذه بكثير من الاشارات الى ما قام به علاء الدين عطا ملك طيلة حكمه لبغداد والعراق العربى من أعمال ، فهو ولاشك أكثر المراجع تفصيلا وأعظمها دقة فى سرد حوادث هذه الفترة من حياة المصنف . وقد طبع هذا الكتاب فى بغداد سنة ١٩٣٢ ميلادية .

(٥) تاريخ الاسلام للذهبى نسخة دار الكتب المصرية ( ٤٢ تاريخ ) ج ٣٢ ورقة ٦ .

مدينة الأنبار ( تقع غربى بغداد وتبعد عنها عشرة فراسخ ( ومنتهاه الى الكوفة والنجف (١) ، وقد أنفق ما يربو على مائة الف دينار من الذهب الابريز فى هذا العمل (٢) ، وأنشأ مائة وخمسين قرية على امتداد هذا النهر (٣) . كما أنشأ رباطا (٤) فى مشهد أمير المؤمنين على فى النجف (٥) . ولم يمض وقت طويل حتى سار العراق العربى بخطى واسعة نحوَ العمران وتضاعف دخله وعمر سواده (٦) ، بعد أن كان قد تحول الى خراب من أثر الغزو المغولى . ولقد بالغ بعض الناس وقال: « عمر صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة » ( ٧ ) .

وفى سنة ٦٦٨ بينما كان عطا ملك يسير ذات يوم ممتطيا صهوة جواده هاجمه على حين غرة رجل ضربه بسكين عدة ضربات ، وأحضر الطبيب فسبر الجرح فوجده سليما من السم ، وأحضر الرجل وسئل عن سبب

---

(١) أيضا .

(٢) الوصاف طبع بومباى .

(٣) تاريخ الاسلام للذهبى ، النسخة المذكورة ورقة ٦ .

(٤) يرد « الرباط » بمعنى الموضع الذى يسكن فيه العلماء والصوفية، كما يرد أيضا بمعنى الموضع الذى ينزل فيه الطلاب الفقراء وغيرهم مثل الزاوية . ( القزوينى ، مقدمته لجهانكشاى ص ل ب ) .

(٥) تاريخ الاسلام للذهبى ، النسخة المذكورة ورقة ٧ .

(٦) تاريخ الاسلام أيضا ، وقف على أحوال العراق الاقتصادية فى ذلك العصر فى البحث المنشور بمجلة كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٦١ للدكتور جعفر حسين خصباك بعنوان « أحوال العراق الاقتصاديه فى عهد الايلخانيين المغول ( ٦٥٦ — ٧٣٧ هـ ) » ، وفى هذا البحث يتبين أثر علاء الدين عطا ملك فى النهوض باقتصاديات العراق العربى فى ذلك الحين . ( انظر مثلا ص ٢٠ ، ٢٥ ، ٤١ ) .

(٧) تاريخ الاسلام للذهبى ، النسخة المذكورة ، ورقة ٧ .

اقدامه على ذلك الأمر فلم يقل شيئا وعاجله الموت (١)

* * *

ولقد بلغت المدة التى حكم فيها علاء الدين بغدادا قرابة الأربع والعشرين سنة ، قضى منها ما يقرب من ست سنوات فى عهد هولاكو من سنة ٦٥٧ — ٦٦٣ ، وما يقرب من سبعة عشر عاما مدة سلطنة أباقا من ٦٦٣ — ٦٨٠ ،كما قضى ما يقرب من سنة واحدة فى بداية سلطنة تكودار المعروف بالسلطان أحمد من سنة ٦٨٠ — ٦٨١ . وفى خلال هذه المدة سعى به أعداؤه عدة مرات لعزله ، الا أنه نظرا لغلو المرتبة التى حازها أعضاء أسرته فىدولة المغول كانت سعايات السعاة تحبط فى غالب الأحيان.

وكان أنشط هؤلاء السعاة وأقدرهم على التأثير فى أمراء المغول هو مجد الملك اليزدى (٢) الذى استطاع أن يؤلبهم على أسرة صاحب الديوان وانتهى الأمر بأن نكبت هذه الأسرة نكبة مماثلة لنكبة آل برمك (٣) .

---

(١) يقول ابن العبرى فى التاريخ العام الذى كتبه باللغة السريانية ان الملاحدة هم الذين هاجموا عطا ملك ( القزوينى فى المقدمة نقلا عن كاترمر فى الكنوز المشرقية ص ٢٢٦) . ولكن ابن الفوطى يقول فى الحوادث الجامعة ( ص ٣٦٦ ) : « لكن توهموا أن ذلك بوضع بعض النصارى » . وقد اعتمد الأستاذ القزوينى على رواية ابن العبرى ، والظاهر أنه لم يكن قد اطلع على ما كتبه ابن الفوطى فى هذا الصدد وهو الأرجح فيما يبدو ، لأن الاسماعيلية كان قد قضى على نشاطهم منذ وقت ليس بقليل وانقطعت عن الناس اغتيالاتهم .

(٢) ترجم ابن الفوطى لمجد الملك اليزدى فى كتابه معجم الألقاب وقد نقل الترجمة المرحوم محمد رضا الشبيبى فى كتابه « ابن الفوطى مؤرخ العراق » ج ٢ ص ١٥١ — ١٥٢ . وانظر « تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب » لابن الفوطى أيضا ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ( القسم الثانى من الجزء الرابع ص ١٠٣٦ ج ١ ) . وانظر أيضا جامع التواريخ نسخة المكتبة الأهلية بباريس ورقة ٣١٢ وما بعدها (Suppl. pers. 209) ويستخرج الأستاذ القزوينى فى مقدمته لجهانكشاى ما ورد عن مجد الملك فى جامع التواريخ انظر ص لد وما بعدها .

(٣) مقدمة القزوينى لجهانكشاى ص لو .

كان مجد الملك رجلا من اهل يزد ، استخدمه شمس الدين الجوينى الوزير ، فلما وقف شمس الدين على ما أودع فى فطرته من خبث وكيد اراد أن يستميله فأصدر أمرا بتوليه حكومة سيواس بآسيا الصغرى وزاد من راتبه . ولكن مجد الملك تمكن من الوصول الى حضرة السلطان أباقا خان وأدخل فى روعه أن السلطة الفعلية فى الدولة ليست فى يد المغول بقدر ما هى فى يد أسرة الجوينى التى يتزعمها شمس الدين محمد الوزير وعلاء الدين عطا ملك حاكم العراق ، وأنه لا أحد سواه يعلم مقدار ثرائهما الفاحش الذى يتضاءل بجانبه ما تحتويه خزائن السلطان من أموال ونفائس ، فثارت ثائرة أباقا وأمر بالقبض فورا على نواب صاحب الديوان المتفرقين فى كافة الأقاليم ، واحضار سجلاتهم لدراستها بدقة . فاستعان شمس الدين صاحب الديوان بأولجاى خاتون ( ١ ) وكتب على نفسه حجة أقر فيها بأن كل أملاكه ومتعلقاته التى اشتراها خلال مدة وزارته هى ملك للسلطان ، فعرضت أولجاى خاتون الأمر على السلطان مستندة الى هذه الحجة وأثنت على صاحب الديوان ولم تزل بأباقا حتى هدأت ثورته فأنقذت صاحب الديوان من تلك الورطة .

ولكن أباقا أصدر أمرا فى سنة ٦٧٩ يقضى بأن يتولى مجد الملك الاشراف على كافة الممالك من شاطىء نهر آموى حتى حدود مصر ، وأن يشارك صاحب الديوان فى الحكم . فبدأ مجد الملك يكيد لشمس الدين الجوينى غير أنه لما رأى أن مكائده لن تؤثر فيه اتجه الى أخيه علاء الدين وبدأ فى التفنن فى النيل منه ( ٢ ) .

وقد ألف علاء الدين رسالة أسماها « تسلية الاخوان » فى شرح هذه المصائب التى تواترت عليه فى أواخر العمر من جراء سعاية مجد الملك اليزدى ،

---

(١) كانت زوجة لهولاكو وأما لمنكوتيمور ؛ وقد أصبحت بعد وفاة هولاكو — طبقا لعادة المغول الذميمة — زوجه ابنه أباقاخان . (القزوينى مقدمته لجهانكشاى ص م ، والترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاترمير ص ٢٢٢ ) .

(٢) جامع التواريخ نسخة المكتبة الأهلية بباريس (Suppl. pers. 209) ٣١٣ ، نقلا عن مقدمة القزوينى ص مب .

كما الف رسالة اخرى مجهولة الاسم هى عبارة عن تكملة لرسالة تسلية الاخوان . وكلتا الرسالتين موجودة لحسن الحظ بالمكتبة الأهلية فى باريس (١) . وقد أورد الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى مقدمته لكتاب « جهانكشاى » ملخصا لما ورد بهاتين الرسالتين من معلومات تفيد فى التعرف على الحقبة الأخيرة من حياة علاء الدين كما وصفها بنفسه (٢) .

فلقد اتهم مجد الملك علاء الدين بأنه احتجن من أموال الديوان ما يقرب من مليونين وخمسمائة الف دينار ووضع هذه الأموال فى جرار دفنها فى باطن الأرض بداخل منزله ببغداد . فأمر أباقا بمسير جماعة الى بغداد لتتولى تحصيل هذه الأموال من علاء الدين الذى تمكن بمساعدة أخيه شمس الدين من تدبير جزء ضئيل لم يرض عنه السلطان وارسل جماعة لاستخراج الكنوز والدفائن التى زعم مجد الملك وجودها فى منزل علاء الدين ، فلما لم يجدوا شيئا عولوا على تعذيب علاء الدين وأعوانه ( ٣ ) . ويقول ابن الفوطى فى الحوادث الجامعة انهم ألقوه فى دار بأعلى بغداد مكتوفا وعليه قميص واحد وكان البرد شديدا جدا . وضرب خواصه وخدمه وأتباعه (٤) .

ولكن السلطان استجاب لرجاء بعض أمراء المغول وأميراتهم فى العفو عن علاء الدين ، وكان ذلك فى سنة ٦٨٠ (٥) .

---

(١) لا توجد نسخ مستقلة لهاتين الرسالتين فى المكتبة الأهلية بباريس ، بل ان كل واحدة منهما مكتوبة فى ذيل احدى نسخ جهانكشاى الخطية . وقد الف علاء الدين تسلية الاخوان فى سنة ٦٨٠ كما الف الرسالة الأخرى فى شهور سنة ٦٨١ وهى السنة الأخيرة من عمره .

(٢) انظر المقدمة ص مد وما بعدها .

(٣) تسلية الاخوان ورقة ٢٢٩ نقلا عن القزوينى فى مقدمته لجهانكشاى ج ١ ص مز .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤١٥ — ٤١٦ .

(٥) تسلية الاخوان ورقة ٢٨٨ . نقلا عن مقدمة القزوينى ص مح .

ولجأ مجد الملك الى توجيه تهمة — كانت تعد لدى المغول من أفظع الجرائم — الى علاء الدين وأخيه شمس الدين وهى مكاتبة المصريين ، ولكن ثبت بطلان هـــذه التهمة وأعاد السلطان أحمـــد تكودار — بعد أن تولى السلطنة خلفا لأخيه أباقا — علاء الدين حاكما على بغداد (١) ، ورد اليه الأموال التى سلبهامجد الملك وأعوانه (٢) .

ودارت الدائرة على مجد الملك فاتهم بالسحر ( ٣ ) حيث وجد فى جيب حزامه أدراجا للتعاويذ والرقى — وهذا الفعل يعتبر عند المغول فى غـــاية الشناعة والقبح — فسلموه الى علاء الدين ليفعل به ما يشاء . وانتهى الأمر بقتلـــه على يد المغـــول فى جمادى الأولى ســـنة احـــدى وثمانين وستمائة (٤) .

* * *

وبعد جلوس تكودار المعروف بالسلطان أحمد دب خلاف شديد بينه وبين ابن أخيه أرغون بن أباقا ، ودخل فى روع أحمد أن أرغون يدعو لنفسه ليكون سلطانا . ولمـــا كان شمس الدين الجوينى وأخوه علاء الدين من أخص خواص السلطان أحمد ، وكانا يقومان بتصريف شئون مملكته ، فقد تغير عليهما أرغون تغيرا شديدا .

وفى سنة ٦٨١ توجه أرغون الى بغداد لقضاء الشتاء بها (٥) ، فلما وصل بغداد طالب بالأموال التى زعم السعاة أن علاء الدين احتجنها فى عهد أباقا ، وأخذ أصحاب علاء الدين وعاقبهم وغلهم ، وأمر بنبش قبر نجم الدين الأصفر الذى كان يعمل كنائب لعـــلاء الدين ولم يكن قد مضى على

---

(١) الرسالة المكملة لرسالة تسلية الاخوان ، ورقه ٣٥ نقلا عن مقدمة القزوينى ص نز .

(٢) أيضـــا ،

(٣) كان السحر من الجرائم التى يعاقب عليها بالاعدام بأفظع الوسائل عند المغول ( الرسالة المذكورة ، أيضا ) .

(٤) جامع التواريخ ، نسخة المكتبة الأهلية بباريس Suppl. Pers. 209 ورقة ٣١٦ ، نقلا عن مقدمة القزوينى ص نح .

(٥) جامع التواريخ ، أيضا ، ورقة ٣١٦ .

وفاته وقت طويل — وبالقاء جثته فى عرض الطريق . فلما وصل ذلك الخبر الى علاء الدين تغير وتألم الما شديدا فأصابه صداع مفاجىء توفى على أثره (١) فى رابع ذى الحجة سنة احدى وثمانين وستمائة (٢) فى مغان وحمل نعشه الى تبريز ودفن فى مقبرة جرنداب (٣) فأرسل السلطان أحمد السيد هارون ابن أخيه شمس الدين ليتولى حكومة بغداد مكانه (٤) .

ولم تلبث النكبة أن امتدت الى جميع أعضاء الأسرة بعد جلوس أرغون على عرش المغول فقد عمل على استئصالهم عن آخرهم .

* * *

(١) يقول الذهبى ( تاريخ الاسلام نسخة دار الكتب ٤٢ تاريخ ج ٣٢ ورقة ٧ ) ان علاء الدين : « سقط عن فرسه فمات » .

(٢) جامع التواريخ ، النسخة المذكورة ، ورقة ٣١٧ نقلا عن القزوينى ص نط ، وهذا أصح الأقوال فى تاريخ وفاة علاء الدين وهو مطابق فى اليوم والشهر والسنة للوصاف طبع بومباى ص ١١٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبى نسخة دار الكتب المصرية المذكورة ورقة ٧ ، وفى الشهر والسنة لتاريخ كزيده ، طبع براون ص ٥٨٦ ، وفى السنة فقط للمنهل الصافى لابن تغرى بردى نسخة دار الكتب المصرية ١١١٣ تاريخ ج ٢ ورقة ٣٧٧ . ولكن النويرى فى نهاية الأرب ج ٢٥ ورقة ١٢٧ من نسخة دار الكتب المصرية ٥٤٩ معارف عامة ، وابن شاكر الكتبى فى ذيل ابن خلكان طبع بولاق ج ٢ ص ٤٥ ، والمقريزى فى السلوك ج ١ ص ٧٠٥ طبع الدكتور زيادة ، وأبو الفدا فى تاريخه يذكرون أن عطا ملك توفى فى سنة ثمانين وستمائة . ويجعل حاجى خليفة فى كشف الظنون تحت « جهان كشا » وفاة المصنف فى سنة ٦٨٣ . والصواب هو التاريخ المذكور فى المتن لأنه مطابق لأقوال المؤرخين المعاصرين .

(٣) الوصاف ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٤) جامع التواريخ ، النسخة المذكورة ، ورقة ٣١٧ نقلا عن القزوينى ص س ، وأبو الفدا فى حوادث سنة ٦٨٠ ، والحوادث الجامعة ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

## جهانكشاى

ينقسم كتاب « تاريخ جهانكشاى » الى ثلاثة أجزاء يتناول الجزء الأول تاريخ أقوام المغول وعاداتهم ورسومهم والقوانين التى وضعها جنكيزخان وسميت بالياسا وفتوحات جنكيزخان فى بلاد ما وراء النهر وايران ، وتاريخ أوكتاى قا آن وتوراكينا خاتون وابنها كيوك خان . ويتناول الجزء الثانى تاريخ ملوك خوارزم والقراخطاى والكورخانية ، وتاريخ حكام المغول ونوابهم الذين حكموا ايران وتوابعها حتى قدوم هولاكو الى ايران . ويبدأ الجزء الثالث بشرح وقائع تتويج منكو قا آن ثم يتناول مسير هولاكو فى حملته على ايران بالتفصيل ، ويستطرد فى ذكر تاريخ الاسماعيلية فى ألموت فيشرح تاريخ مذهبهم وتطوره وسيرة الحسن ابن الصباح المعروفة بسركذشت سيدنا ، ويختتم هذا الجزء بذكر آخر ملوك الاسماعيلية وانقراضهم على يد هولاكو سنة ٦٥٥ .

ولقد نال كتاب « تاريخ جهانكشاى » شهرة عظيمة منذ زمن تأليفه حيث لم تكن هناك مؤلفات أخرى تتناول تلك الموضوعات ، بالاضافة الى المزايا التى تجمعت لدى المصنف الذى كان من أعاظم الرجال فى دولة المغول ، وسافر السنين الطوال فى طول ممالك هذه الدولة وعرضها ، وكان شاهد عيان لمعظم الوقائع التى ذكرها واستمد باقى الوقائع من الثقات، كما كان كل آبائه وأقربائه من كبار رجال الدولتين الخوارزمية والمغولية ، مما جعل أغلب المعاصرين له ينقلون عن هذا الكتاب دون تصرف تقريبا ، واعتبروه أحد مصادرهم المعتمدة (١) .

---

(١) مقدمة القزوينى ص ع ز .

وكان عبد الله بن فضل الله الشيرازى صاحب كتاب « تاريخ وصاف » والمعاصر لعلاء الدين هو أول المستفيدين بجهانكشاى فقد لخص أجزاء جهانكشاى الثلاثة برمتها وألحق الملخص بالجزء الرابع من كتابه الذى ألفه باللغة الفارسية فى سنوات ٦٩٩ ، ٧٢٨ . وهو يقول ان تاريخه يعد ذيلا لجهانكشاى لأنه يبدأ من حيث ينتهى جهانكشاى فى سنة ٦٥٥ ويستطرد فى شرح الحوادث والوقائع حتى سنة ٧٢٨ ( ١ ) .

أما رشيد الدين فضل الله المؤرخ الكبير والذى تولى منصب الوزارة فى عهد اثنين من سلاطين المغول فى ايران هما **غازان خان وأولجايتو** فقد ضمن مشتملات أجزاء جهانكشاى الثلاثة تقريبا تاريخه الكبير « جامع التواريخ » الذى أتم تأليفه فى حدود سنة ٧١٠ ( ٢ ) .

ويقول أبو الفرج غرغريوس بن أهرون الملطى المعروف بابن العبرى والمتوفى سنة ٦٨٥ فى تاريخه العام المطول الذى ألفه باللغة السريانية ان كتاب جهانكشاى عديم النظير فى موضوعه وان كل ما جاء فى كتابه يتعلق بتاريخ الدول **الخوارزمية والاسماعيلية والمغول** منقول عن جهانكشاى ( ٣ ) . كما ينقل أبو الفرج المذكور ويترجم الى العربية فصولا بنصها أو مع تصرف يسير عن جهانكشاى فى كتابه الآخر المعروف بتاريخ مختصر الدول . وتعتبر المعلومات المتعلقة بتاريخ الخوارزمية والمغول والاسماعيلية حتى سنة ٦٥٥ والتى وردت فى مختصر الدول منقولة برمتها من جهانكشاى (٤) .

---

(١) الوصاف ، طبع بومباى ص ٦ .
(٢) مقدمة القزوينى ص ع ح .
(٣) أيضا ، ص ع ج نقلا عن كاترمر فى الكنوز الشرقية ص ٢٣٣ .
(٤) أيضا ، ع ج .

وينقل صفى الدين محمد بن على بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى صاحب كتاب الفخرى الذى ألف فى سنة ٧٠١ عدة فقرات بدون تصرف عن جهانكشاى ( ١ ) .

ويشير شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله الكاتب الدمشقى المعروف بابن فضل الله العمرى فى مواضع عديدة من كتابه « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » المؤلف فى سنة ٧٣٨ الى أنه ينقل عن : « الصاحب علاء الدين الجوينى (٢) » .

كذلك ينقل تاريخ كزيده ، وتاريخ البناكتى ، وروضة الصفا ، وحبيب السير ، وسائر التواريخ الفارسية المتأخرة فصولا كثيرة عن جهانكشاى اذ اقتصر تعويل المتأخرين فى الغالب الأعم فيما يتعلق بتاريخ ملوك خوارزم والاسماعيلية والمغول على جهانكشاى وجامع التواريخ والوصاف دون غيرهم ( ٣ ) .

وتجدر الأشارة الى أن كتاب « تاريخ جهانكشاى » يقف بأسلوبه الفريد المبتكر على مشارف حلقة جديدة من حلقات تطور النثر الفارسى . ويعتبر النقاد أن عطا ملك الجوينى هو أول من استعمل الألفاظ **المغولية** فى اللغة الفارسية ( ٥ ) .

---

(١) أيضا ، ف .
(٢) انظر النسخة المصورة بدار الكتب المصرية من مسالك الأبصار ( ٥٥٩ معارف عامة ) الجزء الثانى من المجلد الأول ورقات ٢١٣ و ٢١٩ و ٢٢٣ فى معرض سرده ، لتاريخ التتر .
(٣) مقدمة القزوينى ف — فا .
(٤) هذا هو رأى الأستاذ محمد تقى بهار الذى خصص حوالى خمسين صفحة فى الجزء الثالث من كتابه « سبك شناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى » ( ص ٥١ — ١٠٠ ) للحديث عن أسلوب جهانكشاى .

ولقد ترجم كتــاب « تاريخ جهانكشــــاى » الى اللغــة الانجليزية فى السنوات الأخيرة ، ترجمــه بويل وراجعه المستشرق الروسى مينورسكى ونشر فى مجلدين فى هارفارد سنة ١٩٥٨م تحت أشراف الأمم المتحدة ( ١ ) .

* * *

**تاريخ الاسماعيلية فى جهانكشاى :**

قلنـــا ان عطا ملك الجوينى كان يصاحب هولاكو بصفة دائمة فى أثناء حملته لاستئصـــال الاسماعيلية فى ايران ( ٢ ) . وكان للجوينى الفضل فى انقاذ مكتبة ألموت الشهيرة من التخريب عندما استأذن هولاكو فى الابقاء عليها ريثما يستخرج منها مـــا يليق من الكتب ، فكان كتـــاب « سركذشت سيدنا » الذى يتحدث عن سيرة الحســـن بن الصـــباح مؤسس دولـــة الاسماعيليـــة فى ايران من بين الكتب التى استخرجهـــا المصنف ، ونقـــل لخلاصة مختصرة منه فى الجزء الثالث من كتابه « تاريخ جهانكشاى ( ٣ ) » .

ويشتمل القسم الخـــاص بتاريخ الاسماعيليـــة فى جهانكشـــاى على مقدمة يعرض فيها المصنف لتاريخ المذهب الاسماعيلى وتطوره ويتحـــدث عن قيـــام الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر معتبرا هـــذه الدولة ثمرة من ثمرات الحركة الاسماعيلية . ويذكر فى اختصــــار تواريخ الخلفاء الفاطميين فى مصر الى زوال دولتهم على يد الأيوبيين ، ثم يشرع فى نقل مختصر لكتاب « سركذشت سيدنا » يسرد فيـــه سيرة الحسن بن الصباح ومذهبه الذى أستحدثه بعـــد قدومه من مصر ، وينبرى المصنف للرد عليه وتفنيد عقائده وابطالها ، ثم يتحـــدث عن ملوك الاسماعيلية الذين أتوا بعد الحسن بن

---

(١) صدرت الترجمة بعنوان: The History of the world conqueror

(٢) انظر فيما سبق ص ١٣٤ .

(٣) جهانكشاى ج ٣ ص ١٨٥ ـ ٢١٦ .

الصباح وآخرهم ركن الدين خورشاه الذى قتله المغول وقضوا على اتباعه . ويعقد المصنف فصلا فى وصف بعض القلاع التى كان الاسماعيلية يتخذونها معاقل ويبدى اعجابه بمناعتها وعظمتها ، وينهى تاريخ الاسماعيلية فى كتابه بذكر ما كان من قتل ركن الدين واتباعه .

وترجع اهمية القسم الخاص بالاسماعيلية فى كتاب « تاريخ جهانكشاى » ، وهو القسم الذى قمنا بنقله الى العربية ، الى أنه يعد المصدر الأول الذى كتب عن الدولة التى انشأها اتباع هذه الطائفة فى ايران . واذا كان رشيد الدين قد خصص قسما كاملا للحديث عن الاسماعيلية فى موسوعته الضخمة « جامع التواريخ » — التى اتمها بعد وفاة المصنف بما يقرب من ثلاثين عاما — ويمتاز هذا القسم فى جامع التواريخ بأنه أكثر تفصيلا عما أورده عطا ملك فى جهانكشاى ، الا أن رشيد الدين فى هذا القسم لا يكاد يضيف شيئا ذا اهمية خاصة من الوجهة العلمية يتميز به عما أورده علاء الدين فى تاريخه مما يجعل هذا القسم تابعا فى الأهمية للقسم الوارد فى جهانكشاى عن تاريخ الاسماعيلية (١) .

ويبدو أن أحسن ما قيل الى الآن فى المقارنة بين النصين ، تاريخ الاسماعيلية فى جهانكشاى وتاريخهم فى جامع التواريخ ، هو ما كتبه هارولد بوين فى مقال له بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية (٢) يقول فيه انه

---

(١) حرصت على الرجوع الى تاريخ الاسماعيلية فى جامع التواريخ ، وقد أعاننى ذلك على ترجمة بعض العبارات الغامضة الواردة فى نص جهانكشاى .

(٢) The Sar-Gudhasht —i— Sayyidna, the "Tale of three School-fellows and the Wasaya of Nizam al Mulk", by : Bowen.
وانظر ايضا :
The History of the World Conqueror, p. 666, by : Boyle
ويرى ايفانوف فى A guide To Ismaili Lit. p. 102. رأيا جديدا قيما يختص بتاريخ الاسماعيلية فى جامع التواريخ .

اذا كان يجد أن رشيد الدين لديه فى الغالب الأعم مزيدا من الحقائق تكثر عما أورده الجوينى ، فانه يجد أن الجوينى لديه المزيد من الحقائق التى أغفلها رشيد الدين . فاذا اتفقا ، نجد الألفاظ متشابهة فى معظم الأحيان . ويفترض أن الجوينى كان يلتقط المبادىء العامة التى يقوم رشيد الدين بتفصيلها ، حتى فى مقدمة رشيد الدين عن هذا القسم تلك المقدمة التى يبدو بوضوح أنها نفس المقدمة النثرية للجوينى المؤلفة فى عصر مبكر .

* * *

وعندما أضطلعت بترجمة النص الذى أورده عطا ملك فى كتابه « تاريخ جهانكشاى » عن دولة الاسماعيلية فى ايران ( ١ ) ، حاولت أن أقلد بصفة عامة الترجمة القيمة التى قام بها أساتذتى الأفاضل : المرحوم الأستاذ الدكتور أمين الشواربى ، والأستاذ الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، والأستاذ الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد لكتاب « راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية » ، كما رأيت من الأنسب أن أحتفظ بحواشى أسفل الصفحات التى كتبها الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى تعليقا على بعض النقاط الواردة فى المتن أو تصويبا لها وان أضيف اليها عددا من التعليقات بغية المزيد من التوضيح بالنسبة للقارىء العربى .

ولقد استعملت — فى ترجمة هذا النص — علامات الترقيم بكثرة قد تجاوز حد الضرورة ، غير أنى كنت فى غالب الأحيان مضطرا الى ذلك بسبب ما تتصف به الجملة عند الجوينى من طول غير عادى ، ولعدم جرى أسلوبه على وتيرة واحدة ، ولكثرة ما يورد من الجمل المختصرة المبتسرة .

---

(١) يستغرق النص المذكور الصفحات من ١٤٢ — ٢٧٨ من الجزء الثالث من جهانكشاى الذى طبع فى ليدن بهولندا سنة ١٩٣٧ ، ضمن سلسلة « جب » التذكارية البريطانية : Gibb Memorial Series.

والحقيقة انه لولا الطبعة الممتازة من كتاب « تاريخ جهانكشاى » التى توفر الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى على اخراجها لما قيض لهذا النص عن تاريخ دولة الاسماعيلية فى ايران — ولا لغيره من الموارد التى اوردها الجوينى فى كتابه كله — ان تكتسب هذا الوضوح الذى يسر على مهمة الترجمة الى حد بعيد .

وينبغى أن اقرر اننى فيما يتعلق بالمواضع التى استعصت على ترجمتها من النص الفارسى قد استشرت الترجمة الانجليزية لكتاب « تاريخ جهانكشاى » التى قام بها المستشرق الأمريكى بويل وراجعها المستشرق الروسى مينورسكى .

* * *

## ذكر تقــرير

## مذاهب الباطنية والاسماعيلية وأحوالهم (١)

فى صــدر الاســلام ، بعد أيام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين ، ظهر من بين المسلمين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الاسلام فقد رسخت عصبية المجوس فى قلوب هذه الطائفة . ( ١٤٣ ) ولكى يشيعوا بين الناس الشــك والضــلال اذاعوا اقوالا مؤداها أن لظــاهر الشريعة باطنا ستر على أكثر الناس . ودعموا هـذه الأباطيل بالأقوال التى وصلت اليهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المبادىء من مذاهب المجوس . ولكى لا يشنع عليهم أهل الاســلام بل لكى يشيعوهم ( ٢ ) كانوا ينكرون على طوائف فرق المؤمنين أنهم لم ينصروا آل بيت الرســول صــلوات الله عليهم خاصة عندما جهر بظلمهم يزيد ( ٣ ) وأتباعه — عليهم ما يستحقون — فلم ينتقم لهم أحــد من بين الأمراء وأهل الحــل والعقد ورضــوا بخلافة آل يزيــد .

ولــا انفصــل الكيســانية ( ٤ ) عن باقى الشيعة وتبعوا محمد بن

---

(١) هذا القسم الوارد فى الجزء الثالث من جهانكشاى ابتداء من ص ١٤٢ ، وسوف نثبت أرقام صفحات الأصل فى المتن .

(٢) « شيعه على رأيه تابعه وقواه وفلان يشيعه على ذلك اى يقويه » ( لسان العرب ) .

(٣) المترجم : يعنى يزيد بن معاوية الخليفة الأموى الثانى .

(٤) المترجم : الكيسانية فرقة من فرق الشيعة . يقول الشهرستانى ( الملل والنحل ج ١ ص ٢٨٠ ) بأنهم أصحــاب كيسان مولى على بن أبى طالب . بينما ينسبها النوبختى ( فرق الشيعة ص ٢٣ ) والقمى ( المقالات والفرق ص ٢١ ) الى المختار بن أبى عبيد الله الثقفى وكان لقبه كيسان وهم الذين قالوا بامامة محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفيــة . ( انظر أيضا مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ١٦ — ٢١ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧ — ٣٤ ، الفصــل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٧٩ — ١٨٠ ) .

الحنفية انضم أولئك القوم الى الكيســـانية ونسبوا اليه ( ١ ) تقرير العلوم الباطنية . الى أن خرج زيد بن على ، ورفضـــه شيعة ( ٢ ) محمد بن على ابن الحسين صلوات الله عليهم ورضوانه فقيل رفضوا زيدا . وقد ظل اسم الرافضى ( ٣ ) يطلق عليهم منذ ذلك الحين ، ولمـــا أصيب الكيسانية بالوهن بسبب نقص عددهم وعدتهم انضم هؤلاء القوم الى الروافض .

وكان من بينهم شخص من اعقاب ( ١٤٤ ) جعفر الطيـــار ( ٤ ) يقال له عبد الله بن معاويـــة ( ٥ ) قبل دعوة الروافض وتبحر فى ذلك المذهب ووضـــع المؤلفات فى توطيده ، ومن جملة مؤلفاته أنه اخترع جدولا ( ٦ ) فى تعيين أوائل الشهور العربية وقال بعدم الحاجة الى رؤية الهلال . وقد نسب وضـــع الجـــدول — وهو بحر الضـــلال — الى ائمـــة أهل البيت رضوان الله عليهم وقال ان الامام يستطيع رؤيـــة الهلال ولا يمكن لأحـــد

---

(١) يعنى الى محمد بن الحنفية .

(٢) يعنى الامام محمد الباقر .

(٣) المترجم : الى مثل هـــذا الرأى فى سبب تسميتهم بالرافضـــة أو الروافض يذهب الفخر الرازى (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٢) فيقول : « وانما سموا بالرافضة لأن زيد بن على بن الحسين خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه .. فقـــال لهم رفضتمونى ؟ قالوا : نعم ، فبقى عليهم هـــذا الاسم » . ولكن الأشعرى يقول فى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٥ : « وانما سموا الرافضة لرفضهم امامـــة أبى بكر وعمر .. » . وانظر وجها آخر فى سبب هـــذه التسمية لدى كل من النوبختى ( فرق الشيعة ص ٦٣ ) والقمى ( المقالات والفرق ص ٧٧ ) . وانظر أيضا البغدادى ( الفرق بين الفرق ص ٢٥ ) ، ابن الجوزى ( تلبيس ص ١٠٣ ) ، الاسفراينى (التبصير فى الدين ص ٧٥) .

(٤) المترجم : فى سبب تسمية جعفر بالطيـــار انظر عمدة الطـــالب فى انساب آل أبى طالب طبع بومباى ص ١٨ — ١٩ .

(٥) المترجم : هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. خرج على بنى أمية فى أواخر ايام دولتهم واستولى على فارس واصفهان وكرمان ، لكنه قتل فى النهاية على يد أبى مسلم الخراسانى فى سنة ١٣٠ ، انظر الطبرى ٢ : ١٨٧٩ — ١٨٨٧ ، ١٩٧٦ — ١٩٨٠ وابن الأثير فى حوادث سنتى ١٢٧ و ١٢٩ .

(٦) أبو الريحان فى الآثار الباقية ص ٦٤ — ٦٨ وأبو منصور البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ٢٥٦ ينسبان وضع هذا الجدول الى عبد الكريم بن أبى العوجاء الزنديق المعروف . ولم اعثر فى أى مرجع من المراجع المتعلقة بترجمة حال عبد الله بن معاوية أو الخاصة بشرح مذهبه وطريقته على ما يثبت نسبة وضع هذا الجدول اليه كما يزعم الجوينى .

ذلك عليه روافض الشيعة ودب بينهم الخلاف . فأطلق جماعــة الجدوليين غيره أن يشـعر به ، فأوائل الشـهور تقع قبل التمكن من رؤية الهلال . فأنكر على انفسهم اسم « أهل العلم البــاطن » وأطلقوا على باقى الشيعة اسم « أهل الظــاهر » .

حتى جاء عصر جعفر الصـــادق رضى الله عنه . وكان له أربعــة أولاد أكبرهم اسماعيل الذى كان حفيدا للحسن من جهــة أمه ( ١ ) ، والثــانى موسى وكانت أمه أم ولد ، ( ١٤٥ ) والثالث محمد الديباج ( ٢ ) وهو مدفون بظــاهر جرجان ( ٣ ) بجانب قبر الداعى ( ٤ ) ، والرابع عبد الله المعروف

---

(١) أم اسماعيل هي فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن على بن أبى طالب : « فولد جعفر بن محمد اسماعيل الأعرج وعبد الله وأم فروة أمهم فاطمــة ابنــة الحسين الأثرم بن الحسين بن على بن أبى طــالب » ( الطبرى القسم الرابع ، ص ٢٠٥٩ ) — « وامــا اسماعيل بن جعفر الصادق ويكنى أبا محمد وأمه فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان أكبر ولد أبيه ويعرف باسماعيل الأعرج » ( عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب ورقة ١٤٢ ) ، — « ومكث الصادق خمسا وعشرين سنة لاولد له الا اسماعيل وعبد الله وأم فروة وأمهم فاطمه بنت الحسين ابن الحسن » ( دستور المنجمين ورقة ٣٣٣ ، نسخة المكتبة الأهلية بباريس رقم Arabe 5968 )

(٢) المترجم : « محمد الديباج بن جعفر الصادق لقب بذلك لحسن وجهه » ( عمدة الطالب طبع بومباى ص ٢١٨ ) .

(٣) « ومن مزار الأكابر (فى جرجان) قبر محمد بن جعفر الصادق وهذا المزار مشهور باسم القبر الأحمر » ( نزهة القلوب ص ١٥٩ ) .

(٤) المترجم : المراد بالداعى هو : «محمد بن زيد بن محمد بن اسماعيل ابن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ملك طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد الداعى الكبير وأقام سبع عشرة سنة وسبعة أشهر ثم حاربه محمد بن هارون السرجينى صاحب اسماعيل بن أحمد السامانى فقتله وحمل رأسه الى بخارى ودفن بدنه بجرجان عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليهما السلام » ( عمدة الطالب ص ٧٠ طبع بومباى باختصار ) . ومحمد ابن زيد هذا هو أحد السادات العلوية الذين حكموا طبرستان منذ سنة ٢٥٠ واستمر حكمهم لها حتى سنة ٣١٦ عندما استولى أسفار بن شيرويه الديلمى عليها . ومحمد بن زيد يعتبر واحدا من الأربعة الكبار الذين حكموا تلك البلاد وكانوا يتمتعون بالاستقلال عمن سواهم : أولهم الحسن بن زيد المعروف بالداعى الكبير (٢٥٠ — ٢٧٠هـ) وثانيهم محمد بن زيد المذكور وهو

بالأفطح (١) . قال الشيعة أن جعفرا امام معصوم ، وقد نص على ابنه اسماعيل ، غير أن اسماعيل كان يعاقر الخمر فأنكر جعفر الصادق عليه ذلك . وقد روى عنه أنه قال : « ان اسماعيل ليس ابنى لكنه شيطان ظهر فى صورته » . ونقلوا عنه أيضا أنه قال : « بدا ( ٢ ) الله فى أمر اسماعيل » . فنص على ابنه الآخر موسى .

أما الطائفة المذكورة التى انتقلت من الكيسانية الى الروافض فقد انضمت الى اسماعيل وانفصلت عن الروافض وقالوا الأصل هو النص الأول ولا يجوز البداء على الله وكل من يعرف باطن الشريعة لا يعاقب اذا ما أغفل الظاهر وكل ما يأتيه الامام من قول أو فعل فهو حق اذ لم يتطرق خلل أو نقصان الى اسماعيل من جراء شرب الخمر . ( ١٤٦ ) فسموا الاسماعيلية وتميزوا بهذا الاسم عن باقى الشيعة .

---

معروف بالداعى على اطلاقها ( ٢٧٠ — ٢٨٧ ) وثالثهم الحسن بن على الحسينى المعروف بناصر الحق والناصر الكبير الذى كان له الفضل فى ادخال الديالمة والجيل فى الاسلام ( ٣٠١ — ٣٠٤ ) والرابع هو الحسن بن قاسم الحسنى المعروف بالداعى الصغير ( ٣٠٤ — ٣١٦ ) وفى السنة الأخيرة قتل على يد أسفار بن شيرويه فانقرضت بموته تلك الدولة . (انظر الطبرى القسم الثالث فى مواضع عديدة وابن الأثير تحت السنوات المذكورة ، وتاريخ طبرستان لسيد ظهير الدين ص ٢٨٢ وما بعدها ) .

(١) الأفطح لقب عبد الله وكان أكبر أولاد الامام جعفر الصادق سنا بعد اسماعيل ، سمى به « لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرأس وقد قيل أنه كان أفطح الرجلين » ( رجال الكشى ص ٢٤٥ ) ، أنظر أيضا خطط المقريزى ج ٤ ص ١٧٤ ، والأنساب للسمعانى ص ٤٢٩ والشهرستانى ص ١٢٦ .

(٢) المترجم : معنى البداء : « أن الله تعالى يريد الشىء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله » ( ابن حزم ج ٤ ص ١٨٢ ) ، وانظر فى البداء عند الشيعة « أصل الشيعة وأصولها » للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ص ١٩٠ .

وقبل وفـــاة جعفر الصـــادق رضى الله عنه ( ١ ) توفى اسماعيل سنة خمس واربعين ومائة فى قرية عريض ( وهى تبعد أربعة فراسخ عن المدينة ) فأدخل المدينة محمولا على اكتاف الرجال فأحضر جعفر الصـــادق رضى الله عنه والى المدينة — وكان يحكمها من قبل الخلفاء العباسيين رضوان الله عليهم — وجماعة من مشاهير المدينة ومشـــايخها وكشف لهم عن ( جثته ) وحرر محضرا لاثبات وفاته موشحا بتوقيعات جماعة الحاضرين ثم دفنـــه فى البقيـــع .

قال القوم الذين كانوا ينتسبون الى اسماعيل ان اسماعيل لم يكن قد مات ولكنهم أعلنوا موته على سبيل التعمية على النـــاس حتى لا يقصـــد هو وأتباعه بالقتل . وقال باقى الشيعة لقـــد كان غرض جعفر هو اظهار بطلان مقالة تلك الطـــائفة التى انتسبت الى اسماعيل ، وواقـــع الأمر أن هذين الرأيين ( ١٤٧ ) باطلان كلاهما فقـــد فسر كل من الجماعتين هـــذا الفعل وفق هواه . ولقد كان هـــدف جعفر هو ابراء ســـاحته من حوالة دعوى الامامة التى نسبوهـــا اليه من حيث أن نصـــه على أولاده معنـــاه انكاره هو وشيعته للخلفـــاء .

---

(١) تقع وفاة الامام جعفر الصادق على أشهر الروايات فى سنة ١٤٨ ( انظر أصول الكافى ، تهذيب الشيخ الطوسى ، تاريخ ابن واضح اليعقوبى ج ٣ ص ٢ ٤٥٨ ( = ج ٣ ص ١٥٠ طبع النجف ) ، ومروج الذهب فى أوائل خلافة المنصور ، وابن الأثير فى حوادث سنة ١٤٨ ، وابن خلكان فى «جعفر» وعمدة الطالب ورقة ١١٨ ( = ورقة ٩٠ أ من نسخة دار الكتب المصرية ، ص ١٧٣ طبع بومبـــاى ) وغيرهـــا وغيرها ) . وبقول ضعيف فى ســـنة ١٤٧ ( عمدة الطالب أيضا ، فى احدى روايتيه ) ، أو سنة ١٤٦ ( المعارف لابن قتيبه ص ٧٣ ) ، وكانت وفاة اسماعيل بتصريح المصنف سنة ١٤٥ وبذلك تكون وفاة اسماعيل سابقة على وفاة أبيه بثلاثة أعوام أو بعامين أو بعام واحد وليس بخمسة أعوام على أى تقدير ( كما تقول احدى نسخ جهانكشاى الخطية ) .

مجمل القول أنه لما توفى جعفر رضى الله عنه تابع جمهور الشيعة موسى . وقال عدد يسير بامامة محمد الديباج فسموا ( ١ ) . وقالت فرقة ضئيلة بامامة عبد الله الأفطح فسموهم الفطحية ( ٢ ) .

وبعد مدة أرسل الخلفاء الى المدينة وأحضروا موسى على سبيل الاشخاص الى بغداد حيث حبسوه وتوفى فى السجن ، وقال الشيعة انه سم . ولقد نقل الى حافة الجسر وأخرج لأهل بغداد حتى يروا أن ليس بجثته جروح . ودفن بمقابر ( ٣ ) قريش .

( ١٤٨ ) وقد بقى ابنه على بن موسى الرضى بالمدينة حتى نقله المأمون الى خراسان ، وله قصة مشهورة ، وتوفى بطوس ، وقالوا مات مسموما وقد دفن بها .

ولما كان الخلفاء يتعقبون هذه الجماعة لادعائهم الامامة فقد توارى أولاد اسماعيل وتفرقوا عن المدينة الى العراق وخراسان وتوجه بعضهم الى المغرب .

---

(١) يبدو أن التصحيح بديباجى وديباجية من تصرفات النساخ أنفسهم بمناسبة كلمة « ديباج » ولم نر فى موضع آخر تسمية لهذه الفرقة باسم « الديباجية » فالشهرستاني فى موضع واحد من الملل والنحل ص ١٦ يسمى اتباع محمد الديباج العمارية : « فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية » وفى موضع آخر ص ١٢٦ يسميهم الشميطية .

(٢) المترجم : نسبة الى عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق .

(٣) لا توجد كلمة قريش فى أية نسخة من النسخ الخطية وواضح أنه بدونها تصبح العبارة لغوا ومن قبيل النار حارة ، وصريح أقوال المؤرخين أن مدفن الامام موسى الكاظم كان بمقابر قريش ببغداد : « ودفن بمقابر قريش » ( عمد الطالب ورقة ١١٨ = ص ١٧٥ طبع بمباى ) ، « ودفن فى مقابر قريش ببغداد » ( الشهرستانى ص ١٢٧ ) ، « مقابر قريش ببغداد وهى مقبرة مشهورة ... وهى التى فيها قبر موسى الكاظم » ( ياقوت فى باب الميم ) .

وقال الاسماعيلية ان اسماعيل كان لا يزال حيا بعد وفاة جعفر بخمسة أعوام فقد رؤى فى ســوق البصرة ، يسأله مقعد ، فأخذ اسماعيل بيده فبرىء ، ووقف على قدميه وســار معه . كما دعا أيضــا لأعمى فأبصر .

ولمــا مات اسماعيل توجــه ابنه محمد ، الذى كان شابا يافعا فى عصر جعفر كمــا كان أكبر ســنا من موسى ( بن جعفر ) ( ١ ) ، توجــه الى الجبال ( ٢ ) ثم قــدم الى الرى ومنها الى قريــة سمله ( ٣ ) . « ومحمد آبــاد » بالرى منسوبة اليه . وكــان له أولاد تواروا فى خراســان ، ثم توجهوا الى قندهار ( ٤ ) من أعمال ولاية السند واستوطنوها .

وقــد تدفق دعاة الاسماعيلية فى داخــل الولايات ودعوا الناس الى مذهبهم ، فقبل دعوتهم خلق كثير .

( ١٤٩ ) توجه على بن اسماعيل من تلك الناحية الى الشــام والمغرب مناديا : « من نجــا برأســه ( ٥ ) » . ولمــا لم يكن طالب امامة كما أن

---

(١) كانت ولادة موسى الكاظم فى سنة ١٢٨ ، وولادة محمد بن اسماعيل بتصريح دســتور المنجمين ٣٣٤ فى ســنة ١٢١ ، يتضح اذن أن محمد بن اسماعيل كان أكبر من عمه موسى الكاظم بسبعة أعوام .

(٢) المترجم : يعنى الرى واصفهان وهمدان وتوابعها وكان يطلق عليها فيما مضى اسم « العراق العجمى » .

(٣) يحتمل أن تكون هذه الكلمة تصــحيف شــلمبه التى كانت قصبة دماوند ( انظر ياقوت فى باب الشين وابن خرداذبه ص ١١٨ ) .
المترجم : وجاء فى رســالة القضاء والقــدر للشيخ الرئيس ابن سينا ( ص ٤٤ ) : « أنه لما تيسر عودى من شلمبه راكبا جــدد اصفهان عرست ببعض القلاع المعقودة على الجــادة » ( نقلا عن حواشى « دانش بزوه » على جامع التواريخ الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ٢٠٠ ) .

(٤) المترجم : ليس المقصود بها قندهار الموجودة فى أفغانستان ولكن المقصود بها « كندهارا » المملكــة الهندية وعاصمتها فايهند التى تقع بين الاندوس ونهر كابل . انظر Minorsky
Hudud El Aalam, pp. 255 — 254.

(٥) مجمع الأمثال فى باب الميم ج ٢ ص ١٦٩ . وقد ذكرها المصنف فى ص ٤٦ من الجزء الثالث من جهانكشاى ص ١ ـــ ٢ : « من نجا برأســه فقــد ربــح » .

احـدا لم يتبعـه ظهر هنـاك وظهر اعقابه من بعده ولا زالوا ظـاهرين حتى الآن .

وبرز لجماعة الاسماعيلية رؤسـاء شرحوا مقالاتهم وفصلوها فقالوا لم يخل العـالم من امام قط ولن يخلو من امام . وكل من كان اماما لا بد أن يكون أبوه اماما وأبو أبيه وهلم جرا حتى آدم عليه السـلام ، بل حتى الأزل كما يذهب بعضهم لانهم يقولون بقدم العالم . كما لا بد من أن يكون ابن الامام اماما وابن ابنه ، وهلم جرا الى الأبد . ولا يمكن أن يموت الامام الا بعـد أن يكون ابنه الذى سوف يتولى الامامة من بعـده قـد ولد أو أنفصـل عن صلبه . ويقولون ان هـذا هو معنى الآية « ذرية بعضها من بعض » ، والآية « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » .

ولمـا احتج عليهم الشيعة بالحسن بن على وكان اماما باتفاق الشيعة أجمعين بينما لم يكن ابنه اماما ، أجابوا بان امامته مستودعة ، أى لم تكن ثابتـة ، فكانت امامته عارية بينما كانت امامـة الحسين مستقرة والآيـة « فمستقر ومستودع » تشير الى ذلك .

ويقولون ان الامام لا يكون ظـاهرا على الـدوام . فهو أحيانا يظهر وأحيانا يستتر مثله فى ذلك مثل الليل والنهار متعاقبان . فاذا كان الامام ظاهرا يجوز أن تكون دعوته ( ١٥٠ ) مستورة ، وأما اذا كان الامام مستورا فلابد وان تكون دعوته ظاهرة ( ١ ) وان يعين دعاته بين النـاس ، حتى لا يكون للناس على الله حجـة .

---

(١) عبارة الجوينى هى تقريبا نفس عبارة الشهرستانى : « قالوا ولن تخلو الأرض قط من امام حى قاهر اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا يجوز أن يكون حجته مستورا واذا كان الامام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين » ( الشهرستانى ص ١٤٦ = ج ١ ص ٤٢٥ طبع الأزهر ) .

فالرســـل أصحاب التنزيل والأئمة أصحاب التأويل . ولا يخلو عهد قط ولا عهد أى رسول من امام ، وقــد جاء بعد ابراهيم شخص ورد ذكره فى التوراة فقالت ( ١ ) انه كان فى ذلك الوقت ملك يسمى فى التوراة باللغــة السريانية والعبرية ملخيزداق ملخ شوليم ( ٢ ) ومعناه باللغــة العربيــة ملك الصـــدق وملك السلام . وقالت (٣) انه لمــا وصــل اليه ابراهيم صلوات الله عليه أعطاه عشر حيوانات . والخضر الذى أراد أن يعلم موسى العلم اللدنى كان اماما واماما مشهورا ( ٤ ) .

( ١٥١ ) وكانت فترة ما قبل الاسلام دور ستر فكان الأئمة مستترين وقــد ظهرت الامامة فى عصر على رضى الله عنه وكان على ( بن أبى طالب ) امام ذلك الدور . ومنذ عهده ظهر الأئمة حتى اسماعيل ومحمد بن اسماعيل الذى كان ســـابع الأئمة ( ٥ ) .

ثم بــدأ الستر باسماعيل ومحمد الذى كان آخر دور الظهور ، فقــد استتر تماما وبقى الأئمة من بعده مستترين الى أن ظهروا .

وقالوا ان موسى بن جعفر فدى اسماعيل بنفســـه كما فدى على بن

---

(١) يعنى قالت التوراة .
(٢) التوراة فى تراجمها المختلفة ، طبع والتون ، سفر التكوين فصل ١٤ آية ١٨ .
(٣) يعنى التوراة .
(٤) المترجم : كذا فى الأصل : « امام بود نامزد امام » .
(٥) كذا فى جميع النسخ ، وفى دستور المنجمين ورقة ٣٣٤ يطلق عليه أيضا « الســابع التام » وما زالت هذه المسألة وهى ان الاسماعيلية يعدون محمد بن اسماعيل السابع لا الثامن فى عداد الأئمة خافية على كاتب هذه السطور . انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣١ وأنظر ايضا ترجمة كزانوفا لهذا الفصــل من الخطط فى الرســـالة المسماة « التعاليم الخفية لفاطميى مصر » ص ١٣٧ حاشية ٢ ، ص ١٤٠ ج ١ ، ٤ .

موسى الرضا بنفسه محمد بن اسماعيل ( ١ ) . وقصة ابراهيم والذبيح : « وفديناه بذبح عظيم » تشير الى ما يشاكل ذلك . ومجمل القول أنهم اقروا خرافات كثيرة وظهر من بينهم دعاة منهم ميمون القداح وابنه عبد الله ابن ميمون ( ٢ ) الذى يعد من كبار علماء هذه الطائفة ، وحسن شيخ عبدان (٣) . وظهر منهم فى زمن جعفر الصادق رضوان الله عليه أبو الخطاب (٤) الذى ادعى الوهية جعفر ، وهذا ما يقوله كل من الاتحادية والحلولية . وقد قال جعفر عنه : « ملعون هو وأصحابه » . وأمثال هؤلاء كثيرون ، نجد اشارات عنهم فى كتب التواريخ والمقالات .

---

(١) النسخة الخطية ح : « وقالوا فدى موسى بن جعفر محمد بن اسماعيل » ولو أن هذا مخالف لباقى النسخ الا أنه مطابق تماما لدستور المنجمين ورقة ٣٣٤ : « وقد روى أنه ( أى موسى الكاظم ) فدى ابن أخيه محمد بن اسماعيل لما طلبه العباسية » ، والاحتمال قوى فى أن النسخة ح هى وحدها الصواب لأنه فضلا عن مطابقتها لدستور المنجمين وهى نسخة قديمة ذات قيمة بالغة عن الاسماعيلية النزارية ، وقد بقى أصل النسخة منذ عهدهم — فان موسى بن جعفر كان معاصرا طيلة حياته تقريبا لمحمد بن اسماعيل وليس لاسماعيل .

(٢) المترجم : كتب الأستاذ القزوينى بحثا واسعا عن ميمون القداح وابنه عبد الله فى حواشى الجزء الثالث من جهانكشاى ص ٣١٢ — ٣٤٣ ، وقد استند برنارد لويس فى كتابه The Origins of Ismailism الذى نشر فى سنة ١٩٤٠ على بحث الأستاذ القزوينى . أما ايفانوف فقد رجع لمناقشة الآراء المتعلقة بشخصيهما الى مراجع اسماعيلية خالصة فى كتابه Ismaili Tradition Concerning the Rise of The Fatimids. المنشور فى سنة ١٩٤٢ ، ثم عاد ايفانوف ونشر فى سنة ١٩٤٦ كتابا مستقلا عن صلة هذين الشخصين بالاسماعيلية بعنوان The Allaged Founder of Ismailism ناقش فيه بالتفصيل النصوص المتعلقة بهما وانتهى الى نفس الآراء التى أجملها فى كتابه سالف الذكر .

(٣) المترجم : يريد به عبدان الكاتب من كبار دعاة الاسماعيلية وصهر حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط رئيس القرامطة المشهور . ويورد ابن النديم فى الفهرست ص ١٨٩ أسماء بعض مؤلفات عبدان ، وقد قتل عبدان فى حدود سنة ٢٨٠ . ويعرف سائر المؤرخين هذا الداعى باسم « عبدان » لا حسن شيخ عبدان كما ورد فى المتن . (انظر الفهرست ص ١٨٧ — ١٨٩ ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ص ٣٧٤ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ) .

(٢) المترجم : المراد هو أبو الخطاب محمد بن أبى زينب مقلاص الأسدى الأجدع الذى تنسب اليه الفرقة المعروفة بالخطابية من غلاة الشيعة ، وقد تناولنا مذهبه بشىء من التفصيل فى القسم الأول عند حديثنا من نشأة الاسماعيلية .

خلاصــــة القول ان هــذا المذهب وتلك المقالات قــد انتشرت ، وظهر فى أكثر بــلاد الاســـلام ، من المغرب والمشرق ، قوم بعضهم مســـتترون وبعضهم ظــاهرون كلهم متفقون على أن الزمان لا يخلو من امـــام يمكن به معرفة الله ولا سبيل الى معرفة الله بدون معرفة الامام . والى هــذا الامام أشــار الرســل فى كافة العصور . كما أن للشريعـــة باطنا وظــاهرا . الأصــل هو الباطن فاذا كان الناس عالمين بباطن الشرع **( ١٥٣ )** فلا بأس ان هم استهانوا بالظــاهر . وعلى هــذا الأســاس تعتبر مقــالاتهم من مقالات أصحاب المذاهب بمعنى أنها خارجة عن الملة .

حتى كان ظهور القرامطة فى عصر الخليفة المعتمد سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وتفصيل ذلك وارد فى التواريخ ، وكان أولهم حمدان قرمط ( ١ ) . خرج فى سواد الكوفة لما التف حوله جماعة من الناس ، فأعملوا ايديهم فى قتل المسلمين ونهب الأموال وسبى الذرارى وكان يهاجم مــدن العراق والشــام ثم يختفى فى الباديـــة . واستفحلت فتنتهم وعجز الخلفــاء عن التصدى لهم ، وقد استولوا على البحرين (٢) وتوجهوا بعد ذلك الى مكة ، فقتلوا الحجيج وملأوا بئر زمزم بجثث القتلى وقطعوا الحجر الأسود ( ٣ )

---

(١) المترجم : المقصود هو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الذى اشتق اسم « القرامطة » من لقبه على أشهر الأقوال ، وتاريخ وفاته ليس معروفا ولكن النويرى فى نهاية الأرب يشير الى أن أثره قد فقد كلية قبل سنة ست وثمانين ومائتين بقليل ولم يقف له أحد على أثر ولم يعلم ماذا كانت نهايته . (انظر نهاية الأرب،النسخة المصورة بدار الكتب المصرية جزء ٢٤ ورقة ١١٦).

(٢) المترجم : ليس المقصود بها الجزر الموجودة حاليا بهذا الاسم فى الخليج بل فى الجهة المقابلة لها فى شبه الجزيرة العربية وهى المنطقة التى يطلق عليها الآن اسم « حسا » ( انظر كتاب الخليج العربى للدكتور جمال زكريا قاسم ص ٢٧ ) .

(٣) كذا فى بعض النسخ الخطية ، وتقول النسخة ح وجامع التواريخ ورقة ١١ = ص ١٧ من طبعة طهران : « قطعوه نصفين » — وقد بحثت عجلا فلم أعثر فى أى موضع على ما يفيد بأن القرامطة قطعوا الحجر الأسود نصفين كما تقرر احدى النسخ وجامع التواريخ بل قال بعض المؤرخين ومن بينهم المقريزى فى اتعاظ ( ص ١٢٩ = ٢٤٥ طبع الدكتور الشيال ) : «شقوقا حدثت فيه بعد انقلاعه » وقال الأزرقى وابن جبير ان الحجر الأسود قطع الى عدة قطع ، وسكت البعض الآخر ومن بينهم ابن الأثير عن هذه الفقرة كلية ، انظر قرامطة ديخويه ص ١٤٧ .

واحتفظوا به خمسا وعشرين سنة ( ١ ) ، وقد طلب ملوك الاسلام أن يستردوه بمائة ألف دينار (٢) ، الا انهم رفضوا بيعه . وفى نهاية الخمسة والعشرين سنة أحضروه الى الكوفة والقوا به فى جامع الكوفة ووضعوا معه ورقة كتب فيها : « اخذنا هذا الحجر بأمر ورددناه بأمر » . وقد حمل أهل الاسلام ( ٣ ) الحجر الى مكة ووضعوه فى مقره .

وفى أثناء فتنة القرامطة قدم الى ولاية الكوفة والعراق أحد دعاة الاسماعيلية ، من أعقاب عبد الله بن ميمون القداح ، وكان معه طفل وقال : « اننى داعى الامام وظهور الامام وشيك » . وأرسل شخصا يسمى بلقاسم بن حوشب ( ٤ ) الى اليمن لكى يتولى أمر الدعوة بها . وكلفه بأن يرسل الدعاة الى الأطراف . وقد تحسنت الأمور لأبى القاسم هذا ودخل جماعة فى ( ١٥٥ ) دعوته . وممن أرسلهم أبو القاسم رجل يقال له

---

(١) المترجم : تبلغ المدة الحقيقية التى احتفظ فيها القرامطة بالحجر الأسود اثنين وعشرين عاما لا خمسة وعشرين . ( انظر ابن الأثير ج ٨ ص ١٩٢ فى حوادث سنة ٣٣٩ ، وتاريخ أبى الفدا فى حوادث نفس السنة ، واتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٢٤٣ ، ٢٤٦ طبع مصر ) .

(٢) كذا فى جميع النسخ الخطية ، وكافة المؤرخين يذكرون خمسين الفا ، انظر قرامطة دىخويه ص ١٤٥ .

(٣) وهذا أيضا مخالف لأقوال عامة المؤرخين اذ يقولون ان القرامطة بعد أن علقوا الحجر مدة فى جامع الكوفة حملوه الى مكة وأعادوه الى مكانه السابق . انظر اتعاظ ص ١٢٩ (ص ٢٤٦ طبع مصر)،ودى خويه ص ١٤٥ .

(٤) يريد به أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زادان النجار الكوفى الملقب بالمنصور من مشاهير دعاة الاسماعيلية فى اليمن .

أبو عبد الله (١) الصــوفى المحتسب (٢) من قبيلة كتامة (٣) بالمغرب — وكان قد دخل فى دعوة بلقاسم — ليتولى أمر الدعوة بها ، وقد قبل أناس مذهبه . فكتب الى ذلك الشخص الذى كان من أعقاب عبد الله بن ميمون وأرســل اليه الرســائل لأنه أقرب الى الامــام من بلقاسم بن حوشب .

( ١٥٦ ) وكان ذلك الشخص يحرضــه على الدعوة . فلمــا عظم أمر أبى عبد الله واستولى على بعض بلاد المغرب وحدود القيروان وسجلماســه توجــه ذلك الشخص الذى كــان من أعقــاب عبد الله بن ميمون الى تلك النواحى ومعه الطفل ، ولدى وصولهما الى سجلماسه استقبله أبو عبد الله الكتامى ( ٤ ) وقام على خدمتــه وقال له : « اننى كنت أقوم بحكم هــذه الولايات بصفتى نائبا عنك ، أما وقــد وصــلت الآن فأنت أولى » . قال : « اننى كنت اقول من قبل بأننى داعى الامــام حسب ما اقتضته المصلحة

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بأبى عبد الله الشيعى .

(٢) لم أعثر بين كتب التواريخ على من يلقب أبا عبد الله الشيعى بلقب « الصوفى » الا فى جامع التواريخ ورقة ١٣ = ص ٢٠ طبع طهران حيث يسمى صاحب الترجمة ( أبو عبد الله الصوفى الشيعى المشرقى ) ولكن نظرا لأن رشيد الدين قد استنسخ هذه الفصول بنفس عبارة جهانكشاى فى الغالب الأعم لذا لا يمكن اعتبار جامع التواريخ سندا مستقلا بذاته .

المترجم : غير أن المســعودى فى مروج الذهب ج ١ ص ٣٧١ وذيل الطبرى لعريب ص ٥٢ يسميانه : « أبو عبد الله المحتسب الصوفى » .

(٣) المترجم : كان أبو عبد الله الشيعى باجمــاع المؤرخين من أهــل المشرق ، وانتهى بعضهم الى اعتباره من أهل الكوفة ، واعتبره البعض من رامهرمز ، وعده آخرون من صنعاء اليمن ، فالمقريزى يرى فى اتعاظ الحنفا ( ص ٦٨ طبع الدكتور الشيال ) أن أبا عبد الله كان : « أصله من الكوفة ... من رامهرمز » بينما يرى ابن الأثير ( ج ٨ ص ١٢ طبــع ليدن ) أنه كان : « من أهل صنعاء » وكذلك يرى القلقشندى فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٠ ، ويعتبره صاحب البيان المغرب ج ١ ص ١٥٢ أنه كان : « رجــلا من أهل المشرق » .

(٤) المترجم : هذا سهو واضح ، لأن المؤرخين يجمعون على أن المهدى وابنه كانا قد وقعا فى قبضة اليسع بن مدرار والى سجلماسه قبل أن يقدم أبو عبد الله الشيعى على فتحها ، ولقد بدا لعبد الله المذكور حينئذ أنه لن يستطيع أن يخلص المهدى وابنه من أسر اليسع الا اذا فتح المدينة ، فتم له فتحها فى السابع من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين . ( انظر ابن عذارى فى البيان المغرب ج ١ ص ١٥١ ) .

حيث أن وقت ظهور الامام لم يكن قد حان . أما الآن فقد حان وقت الظهور وأنا أقول اننى الامام وأنا من ( ١٥٧ ) أبناء اسماعيل ابن جعفر » . وسمى نفسه عبد الله ( ١ ) المهدى ، كما أطلق على الطفل اسم القائم بأمر الله محمد ، ونصب نفسه اماما وخليفة ، واجتمع عليه المغاربة وبخاصة بنو كتامة . وبنى مدينة المهدية فى أرض القيروان ( ٢ ) سنة ثمان وخمسين ومائتين ( ٣ ) ( صح : ثمان وثمانين ) .

ولما ارتفع شأنه أراد أن يفسد ايوان الشريعة فأخذ يبدى التهاون فى أحكامها . فداخل أبا عبد الله الصوفى المحتسب شك فى شأنه ففترت عزيمته فى هذا الأمر . وأراد يوسف أخو عبد الله ( ٤ ) العصيان كما طلب الى عبد الله أن يخرج على المهدى . ولهذا قتل المهدى أبا عبد الله وأخاه .

---

(١) كذا أيضا فى جامع التواريخ ورقة ١٧ ص ٢٦ ط طهران ( ذكرت مرتين ) — على الرغم من أن جمهور المؤرخين قد كتبوا اسم المهدى عبيد الله الا أن دستور المنجمين وهو من تواليف الاسماعيلية أنفسهم يقول فى ترجمة حياة المهدى ورقة ٣٣٥ : « مولانا الامام المهدى بالله أبو محمد عبد الله صلوات الله عليه . . . وكان يقال له قبل الظهور عبيد الله » ولما كان المصنف فى هذا الجزء من كتابه يستعمل الكثير من مصادر الاسماعيلية أنفسهم فينبغى الا نعتبر أن عبد الله فى المتن بدلا من عبيد الله سهو وتصحيف من النساخ .

(٢) — (٣) ذلك خطأ ظاهر لأن المهدى ولد فى سنة ٢٥٩ أو ٢٦٠ أى بعد سنة أو سنتين من هذا التاريخ ( انظر ابن خلكان ١ : ٤٩٢ ، واتعاظ ص ٤٤ ، ودستور المنجمين ٣٣٥ ) فكيف يمكن اذن أن يكون قد بنى المهدية فى سنة ٢٥٨ أى قبل ولادته بسنة أو سنتين — ولما كان المهدى قد شرع فى بناء المهدية فى سنة ٣٠٣ وأتمها فى [illegible] فالصواب فى المتن اما أن يكون «ثلاث وثلاثمائة» اذا كان قصد [illegible] تاريخ البدء فى بنائها، واما « ثمان وثلاثمائة » اذا كان يقصد تاريخ اتمامها ، ولكن نظرا لأن كافة أعداد المتن ليست خاطئة بل تبقى كلمة « ثمان » صحيحة على الأقل فان الاحتمال الثانى يبدو أرجح .



(٤) المترجم : يكتب المقريزى اسم أخى عبد الله الشيعى : « أبا العباس محمد » ( اتعاظ الحنفا ص ٦٨ طبع مصر ) بينما يكتبه ابن خلكان ( ج ١ ص ١٧٨ ) : « أبا العباس أحمد » ولم نر مرجعا ذكر اسمه على النحو الوارد فى المتن .

وكان ظهور المهدى بسجلماسه من بلاد المغرب ، وكان استيلاؤه فى سنة ست وتسعين ومائتين . وفى سنة اثنتين وثلاثمائة (١) انتصر على بنى الأغلب الذين كانوا ملوك المغرب من قبل الخلفاء العباسيين وقضى عليهم ، كما انتصر على كافة ممالك المغرب وافريقية وصقلية . وهم يروون خبرا عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : « على رأس الثلثمائة تطلع الشمس من مغربها » وقالوا ان ظهور المهدى هو تأويل هذا الخبر ، وقالوا أيضا كان بين محمد بن اسماعيل والمهدى ثلاثة أئمة مستترين **(١٥٩)** أسماؤهم محمد بن أحمد بن ( ٢ ) وألقابهم الرضى ( ٣ ) والوفى والتقى (٤) ، وقال المسلمون بولاية المغرب أن المهدى من أعقاب عبد الله بن سالم البصرى ( ٥ ) ومن دعاة تلك الطائفة ، بينما قال أهل

---

(١) المترجم : هذا مخالف لاجماع المؤرخين فكلهم بلا استثناء حدد تاريخ انقراض بنى الأغلب بسنة ست وتسعين ومائتين ، فقد هرب آخر سلاطين بنى الأغلب أبو مضر زيادة الله بن أبى العباس من وجه أبى عبد الله الشيعى عندما حاصر عاصمته رقادة فى السنة المذكورة . ( انظر ابن عذارى ج ١ ص ١٤٤ وما بعدها ، تاريخ الولاة للكندى ص ٢٦٧ وابن الأثير ج ٨ فى حوادث سنة ٣٩٦ ، وأتعاظ الحنفا ص ٦٩ طبع القسطنطينية ) .

(٢) جامع التواريخ ١٧ = ص ٢٦ ط طهران : محمد بن أحمد ، — يقول دستور المنجمين تحت عنوان « الأئمة الثلثة المستورين » ورقة ٣٣٥ : « ويقال اسلامهم ( ظ : أسماؤهم ) محمد بن أحمد » ، وهكذا يلاحظ أن اسم الامام الثالث من الأئمة المستترين لا يرد حتى فى دستور المنجمين وهو من كتب الاسماعيلية أنفسهم .

(٣) جامع التواريخ ١٧ : رضى ( مشددا ) = وفى النسخة المطبوعة بطهران ص ٢٦ : رضى بدون تشديد . ودستور المنجمين ورقة ٣٣٥ : « الرضى ، الرضى » فى موضعين وقد قرأ دخويه فى رسالة القرامطة ص ٥ و ٩ كلمة الرضى هذه ( الرضا ) رغم أنه نقل فى ص ٢٠٤ من نفس الرسالة نص عبارة دستور المنجمين وطبع هذه الكلمة صوابا وبوضوح تام مرتين : « الرضى » بالياء المشددة .

(٤) جامع ١٧ = ص ٢٦ ط طهران ، ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٣ : « وقيل هو ( أى المهدى ) عبيد الله بن التقى بن الوفى بن الرضى » .

(٥) المترجم : لا يذكر الطبرى وابن الأثير والمقريزى فى الخطط واتعاظ الحنفا اسم عبد الله سالم البصرى ، وان كان الطبرى يسمى عبيد الله المهدى فى موضعين من تاريخه ( القسم الثالث ص ٢٢٩١ ، ٢٢٩٢ ) « ابن البصرى » . بينما يذكر عريب بن سعد اسم عبد الله بن سالم البصرى فى ذيل تاريخ الطبرى ( ص ٢٧ — ٢٨ طبع المطبعة الحسينية ) : « عبيد الله هذا القائم بافريقية هو عبيد الله بن عبد الله بن سالم ... وكان عبيد الله يعرف أول دخوله القيروان بابن البصرى » .

بغداد والعراق أنه من أعقاب عبد الله بن ميمون القداح ، خلاصة القول انهم كلهم أجمعوا على تكذيب انتسابه لاسماعيل بن جعفر وأنكروه . وفى عصر القادر بالله عقد محضر فى بغداد ، قرر فيه الأعيان والسادات والقضاة والعلماء كتابة أن مذهب (١) أولاد المهدى مقدوح وأنهم كاذبون فى انتسابهم لجعفر الصادق (١٦٠) رضوان الله عليه — وسوف نثبت نص هذا المحضر فى أثناء ذكر « الحاكم » خامس أعقاب المهدى — وقد تولى المهدى ستا وعشرين سنة وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

جلس مكان ابنه **القائم** ، وخرج فى عهده رجل من أهل المغرب يقال له أبو يزيد (٢) ، وكان رجلا مسلما متدينا سنى المذهب ورعا . وعدد على الناس بدع المهدى والقائم فتابعه بعض الناس ، واشتبك فى قتال مع القائم، فهزم جيشه وحوصر فى المهدية . وأطلق عليه أتباع القائم اسم الدجال ، لأنهم ذكروا فى الملاحم أن دجالا سوف يخرج على المهدى أو على القائم .

وقد توفى القائم فى أثناء تلك المعارك فى شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فظل نبأ وفاته فى طى الكتمان .

وجلس مكانه ابنه **المنصور اسماعيل** وبدأ فى الاعداد لمقاومة أبى يزيد وكان رجلا صاحب رأى شجاعا . فانتصر على أبى (١٦١) يزيد وهزمه ، وتابع السير فى أثره مدة واشتبك معه وفى النهاية أسره وقتله .

---

(١) المترجم : كذا فى جميع النسخ الخطية : « مذهب » ، جامع ١٧ = ص ٢٦ ط طهران : « نسب » ويبدو أن هذا هو المعنى المقصود .

(٢) المترجم : يريد به أبا يزيد مخلد بن كيداد خرج على القائم الفاطمى . كان باجماع المؤرخين من الخوارج الاباضية ( انظر التنبيه والاشراف للمسعودى ص ٣٣٣ — ٣٣٥ ، الفهرست لابن النديم ص ١٨٧ . ويقول عنه المقريزى فى اتعاظ الحنفا ص ١٠٩ طبع مصر : « كان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء » .

وأمر بأن يطاف بجثته فى بلاد المغرب وجلس مكان أبيه وأظهر موته . وقد توفى هو أيضا فى سنة احدى واربعين وثلاثمائة .

وجلس مكانه ابنه **المعز أبو تميم معد** ، كان رجلا صاحب رأى مدبرا ، شجاعا ، موفور الحظ . ساس الملك على الوجه الأكمل واتسع ملكه عن ملك آبائه ، وقد قصر جل همه على طلب ملك مصر ، التى كانت فى ذلك الوقت فى يد كافور الاخشيدى . فأرسل المعز اليها غلامه أبا الحسن جوهر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة كى يدعو له . فاستجاب له خلق كثير وقد استمال كافور بعد ذلك ودعاه فاستجاب له . فخطب فى مصر باسم المعز مناوأة للخلفاء العباسيين .

وقد توفى كافور فى نفس السنة أى سنة ثمان وخمسين ( ١ ) . واستقل جوهر بملك مصر من قبل المعز . وفى نفس السنة أيضا وضع أساس مدينة القاهرة على امتداد الفسطاط فاكتمل بناؤها سنة اثنتين وستين ( ٣٦٢ ) وسموها القاهرة المعزية .

ووصل المعز الى مصر فى رمضان سنة اثنتين وستين بجيوش لا حصر لها وتجملات لا نهاية لها . وجعل من القاهرة عاصمة له ، وخرجت مصر وأرض الحجاز من قبضة تصرف بنى العباس ودخلت فى يد المعز ، فبسط العدل والانصاف فى تلك الممالك ، وتتردد على الألسنة حكايات عجيبة عن مظاهر عدله وآثار انصافه . وقد توفى فى ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة .

---

(١) المترجم : توفى كافور على أشهر الأقوال فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ويقول فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، ويقول آخر فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . أى قبل قدوم جوهر الى مصر ( ٣٥٨ ) بسنة على الأقل وبثلاث سنين على الأكثر . وهكذا يلاحظ أن الفقرات السابقة المتعلقة بعلاقات جوهر بكافور بعد قدوم جوهر الى مصر باطلة كلية . ( انظر الولاة للكندى ص ٢٩٧ ، ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٦ — ٣٥٨ ، ابن عذارى ج ١ ص ٢٣٦ ، الخطط للمقريزى ج ٣ ص ٤١ — ٤٢ ) .

جلس مكانـــه **العـــزيز أبو منصـــور نزار** فدخلت ممالك المغرب ومصر والحجـــاز فى حوزته . وحكايات قتاله وحروبه وظفره على البتكين ( ١ ) المعزى ( ٢ ) ، حاكم الشام من قبل الطائع لله ، والحسن بن أحمد القرمطى الذى كان قد قدم لـــدد البتكين ، مذكورة فى تاريخ المغاربة . وكانت وفاته فى رمضـــان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وكان العزيز رجلا حسن السيرة، حليما : فمن حـــلمه أن الحسن بن بشر ( ٣ ) **( ١٦٣ )** الدمشقى هجـــاه هو ووزيره ابن كلس ( ٤ ) وكاتب انشائه أبا منصور ( ٥ ) الدروانى ( ٦ ) بهذه القطعـــة ( ٧ ) :

---

(١) اسم هذا الشخص مكتوب فى ابن الأثير الفتكين « فى جميع المواضع ومنها ٨ : ٢٦٠، وما بعدها ، وفى الخطط « افتكين » ومنها ٤ : ٦٦ .

(٢) « الفتكين التركى مولى معز الدولة بن بويه » ( أيضا ٨ : ٢٦٠ ) ، « قدم الأتراك عليهم الفتكين وهو من أكابر قوادهم وموالى معز الدولة » ( ابن الأثير ٨ : ٢٥٥ ) « الفتكين مولى أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة » ( دستور المنجمين ٣٤١ ) .

(٣) انظر ابن الأثير ٩ : ٤٨ فى حوادث سنة ٣٨٦ .

(٤) هو أبو الفرج يعقوب بن ... كلس بكسر كاف ثم لام مشددة وزير العزيز الفاطمى ، انظر ابن خلكان فى حرف الياء ج ٢ ص ٥٠٠ — ٥٠٤ ، وابن الأثير ٩ : ٤٨ ، الخطط للمقريزى ٤ : ٦٧ وغيرها .

(٥) ابن الأثير ٩ : ٤٨ ومختصر الدول لابن العبرى . ٣١ : أبو نصر ، ولا شك فى أن هذا هو الصواب وأن أبا منصور تصحيف من النساخ لأنه فضلا عن ابن الأثير وابن العبرى فان اسمه يرد صريحا فى الأشعار الآتية ( أبو نصر ) ، غير أننا أبقينا المتن على حاله نظرا لاتفاق النسخ ، وهذا هو نص عبـــارة ابن الأثير : « كان بمصر شـــاعر اسمه الحسن ابن بشر الدمشقى وكان كثير الهجـــاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز وكاتب الأنشاء من جهته أبا نصر عبد الله بن الحسين القيروانى فقال قل لأبى نصر الأبيات » .

(٦) ابن الأثير : القيروانى ( وسبق ذكر نصه فى الحاشية السابقة ) ، ويغلب على الظن أن « دروانى » فى المتن مصحف « القيروانى » الموجودة فى ابن الأثير خاصة وأن هذه الحكاية قد نقلت عنه حرفا بحرف ، أو نقلها الاثنان من مصدر مشترك .

(٧) هـــذه الأبيات مذكورة فى ابن الأثير ٩ : ٤٨ ومختصر الدول لابن العبرى ص ٣١ ، وقد بحثت عجلا فلم أجدها فى موضع آخر .

قل لأبى نصر ( ١ ) كاتب القصر والمتأتى ( ٢ ) لنقض ذا الأمر
انقض عرى الملك للوزير تفــز منــه بحســن الثنــاء والــذكر
(١٦٤) وأعط وامنع(٣) ولاتخف أحدا فصاحب القصر ليس فى القصر
وليس يدرى (٤) ماذا يــراد به وهــو اذا درى فمــا يــدرى

فشــكاه ابن كلس الى العزيز وأنشده هــذه القطعة فقال له : « هذا شىء اشتركنا فى الهجاء به (٥) فشاركنى فى العفو عنه » ، فنظم مرة ثانية هجاء آخر وأضاف فيه الفضل قائد جيشه ( ٦ ) :

تنصــر فالتنصــر ديــن حــق عليــــه زماننــا هـــذا يـــدل
وقــل بثلاثــة عــزوا وجــلوا وعطــل مــا ســواهم فهو عطــل
فيعقــوب الوزير أب وهــذا العـــزيز ابــن وروح القــدس فضــل

ومرة ثانية عرض الوزير (٧) هذا الشعر على العزيز ، الذى قــال رغم شدة غضبه : « أعف عنه » ( ٨ ) وعفا عنه مرة أخرى .

وفى النهايــة دخل الوزير على العزيز فى المرة الثالثة ( ١٦٥ ) وقال لم يبق للعفو عن هذا معنى فهو نقصــان لهيبة الملك فقد قال هذه المرة شعرا فاحشــا فى حقك أنت العزيز وفى أنا الوزير ونديمك بن زبارج ( ٩ ) فى هذه القطعة ( ١٠ ) :

---

(١) كذا أيضا فى ابن الأثير ومختصر الدول ، والوزن يقتضى ترك تنوينه فالظاهر أنه منع من الصرف لضرورة الشعر .
(٢) مختصر الدول ٣١٠ : والمتأنى ( بنون بدلا من التاء الثانية ) .
(٣) كذا أيضا فى مختصر الدول ٣١٠ ، ابن الأثير : أو امنع .
(٤) كذا فى ابن الأثير ومختصر الدول .
(٥) ابن الأثير : فيه فى الهجاء ( بدلا من « فى الهجاء به » ) .
(٦) بحثت عجلا فلم أجد هذه الأبيات الا فى ابن الأثير ٩ : ٤٨ .
(٧) ابن الأثير : « فشكاه ( الوزير ) أيضا الى العزيز » .
(٨) كذا فى ابن الأثير ( بدون حركات ) .
(٩) ابن الأثير ٩ : ٤٨ .
(١٠) بحثت عجلا فلم أعثر على هــذين البيتين فى موضع آخر غير ابن الأثير ٩ : ٤٨ .

زبــارجى نــديم          وكلسى ( ١ ) وزير
نعـم علـى قـدر الكلـب يصـلح السـاجور

فغضب العزيز وأمر الوزير بالقبض عليه ثم عاد فأسف على ما بدر منـه وأشـار باطلاق سراحـه . ولمـا عرف الوزير بذلك بادر بقتله قبل وصول الرسول فأسف العزيز على ذلك وأصابه الحزن .

وكان العزيز قد أعطى الشـام ليهودى يقال له منشا ( ٢ ) كما أعطى مصر لنصرانى يقـال له عيسى بن نسطورس ( ٣ ) وكانا يظلمان المسلمين ويعتديان عليهم بسبب العقيدة . فأرسـلت امرأة رقعـة الى العزيز تقول فيها : « يا أمير المؤمنين ( ١٦٦ ) بالذى أعز اليهود بمنشا ( ١ ) بن لسام ( ٥ ) والنصـارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا نظرت فى حالى » ، فتـأثر العزيز بما جـاء فى هـذه الرقعـة وعزلهما وأخـذ من النصرانى ثلاثمائة ألف دينـار ورد مظالمه . وقـد فرض فى مناسبات مختلفة ، على اليهود والنصـارى مؤن المسلمين .

وقد تولى بعده ابنه **الحاكم أبو على منصور** وهو فى الثانية عشرة ( ٦ )

---

(١) كذا فى ابن الأثير ( بدون حركات ) ، والواضـح أن المقصـود هو يعقوب بن كلس الوزير .

(٢) كذا أيضا فى ابن الأثير ٩ : ٩٨ ، وتاريخ ابن القلانسى ص ٣٣ : منشا ابن ابراهيم الفـرار ، وتـاريخ حـلب لابن العـديم ( نسخة بـاريس Arabe 1666 ورقة ٤٩ ) : أبو سهل منشا بن ابراهيم اليهودى القزاز ( بقاف وزائين معجمتين أولاهما مشددة ) ، أبو الفدا ج ٢ ص ١٣٨ ، ميشا .

(٣) كذا أيضا فى ابن الأثير ٩ : ٤٨ ، وابن القلانسى ص ٣٣ ، ٤٦ .

(٤) كذا فى ابن الأثير وابن القلانسى .

(٥) جامع ٣٢ ( = ص ٤٩ طبع طهران ) ، — لا يذكر كل من ابن الأثير وابن تغرى بردى وأبو الفدا اسم أبى منشا ، وابن القلانسى يقول مرتين فى ص ٣٣ : منشا بن الفرار ، ومرة واحدة منشا بن ابراهيم بن الفرار ، انظر ص ١٦٥ ح ٧ .

(٦) ابن الأثير ح ٩ ص ٤٩ : « فولى وعمره احدى عشرة سنة وستة أشهر » .

من عمره ؛ وكان يقدر ما عند ابيه من الحلم عنده من الطيش والجنون ( ١ ) فقد أذاق أهل مصر غاية الظلم والعسف ، وكان من عادته أنه اذا ركب رفعوا اليه المظالم فيستمع اليها ولا ينكر بأى حال ما تشتمل عليه من مظالم . فكانوا يناولونه الأوراق يتضمن معظمها فحشا وشتما فيه وفى آبائه وأجداده وتقرير فساد نسبه .

لدرجة انهم أعدوا تمثال امرأة من الورق ( ١٦٧ ) والبسوها ملاءة فى زى امرأة ( ٢ ) ، ووضعوا فى يدها ظلامة مختومة ونصبوها فى طريقه الذى يمر به . فلما وصلت الورقة من يدها الى الحاكم الظالم وجد شتائم وفحشا قبيحا وفضائح ومخازى له ولأسلافه . فغضب وأمر بالقبض على المرأة ، فلما سارعوا اليها وجدوها تمثالا . فأمر العبيد والأجناد — من شدة غيظه من ذلك — بحرق مصر وقتل اهلها ، فثار أهل مصر لدفع هذه الشناعة والذب عن حريمهم ، الا أن أصحاب الحاكم كانوا يحرقون كل موضع عجز أهل مصر عن الدفاع عنه ، ويغيرون عليه . وكان الحاكم يذهب بنفسه كل يوم لمشاهدة تلك الحال ويتظاهر بأن هذه الأفعال انما تؤدى دون رضاه واذنه . وفى اليوم الثالث من بدء هذا الحال لجأ مشايخ مصر وأربابها الى المسجد الجامع . ورفعوا المصاحف على فروع الأشجار ، ورفعوا المظالم وقالوا : « لو كان هذا الفساد ينفذ دون اذنك وأمرك ، فأذن لنا ، نحن عبيدك ورعاياك ، بدفع المفسدين ومنعهم » ( ١٦٨ ) ، قال : « لم آمر بهذا الفساد فهلا دفعتموه

---

(١) المترجم : استعملت فى ترجمة هذه الجملة نفس أسلوب ابن الطقطقى فى « الفخرى » ص ١٥٩ عند عقده مقارنة بين تيقظ المأمون واهمال الأمين وتفريطه .

(٢) هذه الحكاية بتمامها مطابقة حرفا بحرف تقريبا لابن تغرى بردى ( فى النجوم الزاهرة ) ( ج ٢ ص ٦٦ ) الذى نقلها من تاريخ الصابى والاحتمال قوى فى أن الجوينى نقل أيضا عن نفس المصدر أى عن ابن الصابى ، وهذا هو نص الفقرة المعادلة فى النجوم الزاهرة : « عملوا تمثال امرأة من قراطيس بخف وازار ونصبوها فى بعض الطرق وتركوا فى يدها رقعة كأنها ظلامة » انظر أيضا ابن الأثير ٩ : ٤٨ ، ١٣٠ .

انتم ؟ » . وقال للجند : « أمضوا فيما بدأتم فيه » . فلما انشغلوا بالقتال ساق غوغاء المدينة الجنود الى باب القـاهرة ، حيث محط رحال الحاكم ، فخاف وأشـار بمنع الجند . مجمل القول أن ربع مصر قد احترق فى هذه الواقعـة وتعرض نصفها للغـارة . وقـد ارتكب غلمان الحاكم الكثير من الفضـائح مع حريم أهـل مصر فقتـل أرباب الشرف والمروءة انفسهم خشية العـار .

وقـد اعتاد الحاكم أن يطوف فى الأسواق ليلا ليتفقد أحوال الرعيـة . وكان أيضـا يدفع بالعجائز وينظمهن للتجسس على أحوال النساء والتعرف على امورهن بحيث يدخلن قصور الناس ويخرجن منها ينهين اليه ما صدق وما كذب عن النسـاء وأهل الستر . وقـد قتل من جراء هـذا خلقا من النساء وأرسل مناديا ينادى بأن تمتنع النسـاء عن الخروج من البيـوت ولا يسرن على السطوح ولا يخيط الاسكافيون أحذية النساء .

وكان قـد منع الناس من شرب الخمر فلما لم يمتنعوا أمر باقتلاع معظم أشجار العنب .

ولمحة أخرى من عادته ، إذ كان يكتب الرقـاع بخط يده بعضها يقول : « امنحوا من حمل هذه الف دينار أو مدينة كذا ( ١٦٩ ) أو خلعة ثمينة » وبعضها الآخر يقول : « اقتلوا من حمل تلك ، أو خذوا منه جزءا من المال ، أو اقطعوا عضوا من أعضـائه ونكلوا ومثلوا به » ثم يختم الرقاع بالشمع والعنبر والطين المختوم ( ١ ) ، وينشرهـا أيام الاحتفالات فيتنـاول كل شخص ، فى غاية الحرص ، رقعة من هـذه الرقـاع وفقا لحظه ويحملها الى متصرفى الأعمال ، بحيث ينفذ ما اشتملت عليه الرقعة فى الحـال .

---

(١) الطين المختوم طين احمر اللون يستعمل فى الطب . ( تحفة المؤمنين وبرهان قاطع فى « كل مختوم » ) .

وقـــد أصـــدر الحاكم أمرا بمنع النصـــارى واليهود من ركوب الخيل والبغال ومن امتلاك الركاب الحديد . وأن يكون لكل واحد منهم جرسا ( ١ ) يعلق فى صـــدره كقلادة حتى يميزهم عن المسلمين .

وبسبب هذه الحركات المذمومة اشمأز أهل البلد مسلمين وذميين من ذميم أفعاله وسوء أحكامه ومل منه حرمه وبطانته وخواصه .

وقد اتهم أخته ست الملك بابن دواس ( ٢ ) الذى كان أميرا من أمرائه ومقـــدم جيوشـــه ومدبر أموره . فأبلغت أخته هـــذا الكلام فى رســـالة الى ابن دواس واتفقا على قتل الحاكم واقامة ابنه عليا بعـــده وتعاهـــدا واستقرا على أن يهلكاه . فأعطيا ألف دينـــار ( ٣ ) لغلامين من غلمان ابن دواس كى يعدا كمينا على جبل المقطم ( ٤ ) القريب من القاهرة ( ١٧٠ ) فاذا ما توجـــه الحاكم مع الركابى الى هناك وفقا لعادته وثبا عليه لقتله . وكان الحاكم يدعى العلم بالنجوم وكأن قـــد تنبـــأ بأن تلك الليلة ستكون فاصلا بالنسبة له اذا عبره جـــاوز الثمانين ، وأخبر والدتـــه بهـــذا فبكت كثيرا وتوسلت اليه قائلة ان من الأفضـــل ألا يتحرك الليلة . فالتزم كلام الوالدة . فلما حل السحر استولى عليه الضجر ، فلم يطق الســـكون والراحـــة ولم يستطع النوم والاستقرار ، وقـــد بكت أمه كثيرا وتعلقت بطرف ثوبه ولكن ذلك لم يجد نفعا وقال : « لو لم أتحرك هـــذه اللحظة فان روحى ستطير

---

(١) جامع ٣٧ ( = ص ٥٥ طبع طهران ) « وأعدوا جرســـا به عـــدة قلادات » ، الخطط ٤ : ٧٣ : « ألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس اذا دخلوا الحمام » .

(٢) انظر ابن الأثير ٩ : ١٣٠ ، ١٣١ ، والنجوم ٢ : ٧١ : « سيف الدولة ابن دواس من شيوخ كتامة » .

(٣) ابن الأثير ٩ : ١٣١ ، والنجوم ٢ : ٧٢ : ألف دينار .

(٤) « خرج الحاكم الى الجبل المعروف بالمقطم ليلة الاثنين الســـابع والعشرين من شوال يعنى سنة احدى عشرة وأربعمائة فطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر الفقاعى ثم توجه شرقى حلوان موضع بالمقطم ومعه ركابيان الخ » ( ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢ : ٧٥ نقلا عن الفقاعى ) .

من جسدى » . فتوجه — على عادته — الى المقطم مع ركابيه . فخرج الغلامان من الكمين وفتكا به هو والركابى ، وأحضرا جثته لاخفائها لدى أخته فدفنته فى قصرها ولم يطلع أحد على ذلك السر اللهم الا الوزير الذى أطلعاه عليه بعد التأكيد والتحليف . ولما علم الوزير اتفق معهما فى تدبير الأمر وتسكين الناس . فكانوا ينسبون سبب غيبته الى أنه غاب مدة تستغرق سبعة أيام ، وكانوا يحضرون كل يوم شخصا مختلفا ليخبر الناس بأن الحاكم فى المكان الفلانى .

( **١٧١** ) قصارى القول أنهم اطلعوا الأعيان والأركان وبعد أخذ العهود واطلاق العطايا بايعوا ابنه **أبا الحسن عليا** ولقب **بالظاهر بالله** (١) وأجلس على العرش . وأظهرت ( ست الملك ) نبأ وفاة الحاكم ؛ ومنحت ابن دواس خلعا فاخرة وولته أمور الملك .

وعندئذ استدعت نسيم الخادم الذى كان قهرمان القصور وأفضل الغلمان وكان يلازمه على الدوام مائة غلام مسلحين بالسيوف لحراسة الخليفة ، ووضعت معه خطة لقتل ابن دواس ، واحتالا بأن جعلا هؤلاء الغلمان المائة ملازمين لركاب ابن دواس حتى دخل القصر يوما فأمرت ( ست الملك ) به فأغلق نسيم أبواب القصر وأحكمها وقال للغلمان : يقول مولانا الظاهر : اقتلوا ابن دواس قاتل أبى الحاكم ( ٢ ) فأعملوا فيه السيوف حتى قضوا عليه . وبعد الفراغ منه قامت ست الملك ( **١٧٢** ) فى مدة وجيزة بالقضاء على كل من شاركه فى قتل الحاكم أو اطلع عليه،

---

(١) جامع ٤٣( = ص ٦٤ ط طهران ) : الظاهر لدين الله ، وقد ضبط كافة المؤرخين لقبه « الظاهر لاعزاز دين الله » وليس الظاهر بالله ولا الظاهر لدين الله . انظر ابن الأثير ٩ : ١٣٢ ، ١٨٦ ، وأبى الفدا ٢ : ١٥٨ ، ١٦٧ وابن خلكان ١ : ٤٠٢ ، وابن القلانسى٨٣ والخطط للمقريزى ٢ : ١٦٧ ، وابن تغرى بردى ( فى النجوم الزاهرة ) : ١٢٩ وما بعدها ، ودستور المنجمين ورقة ٣٤٢ ، وابن العبرى ٣١٣ .

(٢) « هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه » ( ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢ : ٧٧ ) .

واستقلت هي وانفردت بتدبير أمور الدولة وترتيب مصـالح المملكة وقامت هيبتها فى قلوب أرباب الحل والعقد وأعيـان الدولة .

وكان قتل الحاكم وتخليص الله تعالى لخلائق تلك البلاد من ظلمه وغشمه وأفعاله الذميمة وأخلاقـه اللئيمـة فى شـوال ( ١ ) سنة احـدى عشرة وأربعمائة . من ملك الموت الى مالك ( ٢ ) .

وقـد تولى الظـاهر الخلافـة خمس عشرة سنة وكانت وفاتـه فى شهور ( ٣ ) سنة سبع ( ١٧٣ ) وعشرين وأربعمائة .

## ذكر محضر المهـدى المقدوح

فى سنة تسـع وثلاثمائة ( ٤ ) ( صـح : احـدى وأربعمائة ) ، كان صـاحب الموصل من قبل الخلفاء العباسيين فى عهد القادر بالله هو معتمد

---

(١) المتفق عليه بين المؤرخين هو أن الحـاكم فقد وقتل فى ٢٧ أو ٢٨ شوال ، أنظر ابن الأثير ٩ : ١٣٠ ، وابن خلكان ٢ : ٢٥١ ، والخطط ٢ : ١٦٧ ، ٤ : ٧٤ ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢ : ٨١ وأبى الفدا ٢ : ١٥٨ ، ودستور المنجمين ٣٤٢ .

(٢) اسم خازن جهنم ، انظر كتب التفاسير فى تفسير آية « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك » ، وهذه العبارة ، مصراع من بيتين لأبى الفتح البستى أوردهما الثعالبى فى الايجاز والاعجاز وهما :

قـلت لـه لما قضـى نحبـه ... لاردك الـرحمن مـن هـالك
أمـا وقـد فارقتنـا فـانتقل ... مـن ملك المـوت الى مـالك

(٣) توفى على وجه التحديد فى الخامس عشر من شعبان من السـنة المذكورة ، انظر ابن الأثير ٩ : ١٨٦ ، وابن خلكان ١ : ٤٠٣ ، وابن القلانسى ٨٣ ، وأبى الفدا ٢ : ١٥٩ ، والخطط ٢ : ١٦٩ ، وابن تغرى بردى فى النجوم ٢ : ١٣٦ .

(٤) وذلك خطأ واضح والصواب «احدى وأربعمائة » كما ذكرنا فى المتن بين قوسين : أولا لأن هذه الواقعة يعنى قراءة قرواش الخطبة فى ممالكه باسم الحاكم تذكر باجماع المؤرخين فى وقائع سنة ٤٠١ ( انظر ابن الأثير ٩ : ٩٢ ، وابن خلكان ٢ : ٢٣٧ ، وابى الفدا ٢ : ١٣٩ ، وابن تغرى بردى فى النجوم ٢ : ١٠٧ — ١١٠ ) ، ثانيا لأن ولادة الحاكم كانت فى سنة ٣٧٥ أى بعد ٦٦ سنة من سنة «تسع وثلثمائة» فكيف يمكن اذن أن يكون قرواش قد قرأ الخطبة باسم الحاكم قبل ولادته بست وستين سنة ! .

الدولة أبو منيع ( ١ ) قرواش بن المقلد العقيلى . وقد بدأ الحاكم بالكتابة اليه وكان يرسل اليه من مصر ( ١٧٤ ) التحف والعطايا بعضها فى أثر بعض ويدعوه لمبايعته ، فاستجاب له معتمد الدولة وحرض أهل الموصل على طاعة الحاكم ومخالفة القادر بالله ، وقرأ الخطبة باسم الحاكم وتوجه من هناك الى الكوفة وجعل الخطبة هناك أيضا باسمه ( ٢ ) . وفى ذلك الوقت كان بهاء الدين بن عضد الدولة قد ذهب الى فارس ، فلما علم بهذا الأمر أرسل شخصا الى معتمد الدولة وشدد عليه . فأسف معتمد الدولة من فعلته وأفرغ ذهنه من ربقة طاعة الحاكم . فقرئت الخطبة مرة أخرى فى البلاد المذكورة باسم القادر بالله فصار مخصوصا بالخلع الثمينة من دار الخلافة . وتفاصيل هذا الأمر وكيفيته مسجلة فى كتب التاريخ ، فلنسلك هنا سبيل الايجاز ، والغرض من هذا هو نقل المحضر الذى اجمعوا فيه على بطلان نسبهم ، وهذه نسخته (٣) :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد به الشهود أن معد ( ٤ ) بن اسماعيل (٥) المستولى ( ٦ ) على مصر هو معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن ( ٧ ) بن سعيد ( ٨ ) وأنهم منتسبون الى ديصان بن سعيد

---

(١) والصواب « أبو المنيع » بألف ولام ، انظر ابن الأثير ٩ : ٨٢ ، وابن خلكان ٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والنجوم ٧ : ١٠٧ وغيرها وقد صححنا قرواش عن ضبط ابن خلكان ٢ : ٢٣٩ .

(٢) « وفى هذه السنة ( ٤٠١ ) أيضا خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل للحاكم بأمر الله العلوى صاحب مصر بأعماله كلها وهى الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها » ( ابن الأثير ٩ : ٩٢ ) .

(٣) ذكر هذا المحضر أيضا ، باختلاف يسير مع جهانكشاى ، أبو الفدا فى ٢ : ١٥٠ ، والمقريزى فى الاتعاظ ٢٢ — ٢٣ ( = ٥٨ — ٦٠ طبع مصر ) ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢ : ١١٢ — ١١٣ .

(٤) أى المعز .

(٥) أى المنصور .

(٦) أى الذى استولى سابقا يعنى المعز .

(٧) أى القائم ، واسمه عند عامة المؤرخين محمد ولكن المقريزى نقل فى الاتعاظ ص ٤٥ قولا أن اسمه عبد الرحمن ، وذكر المسعودى فى التنبيه والاشراف ص ٣٣٤ أيضا أن اسمه عبد الرحمن .

(٨) هذا هو اسم المهدى على زعم أعدائه .

الذى انتسب اليـه الديصـانية وان سـعيدا المذكور ( ١ ) صـار الى المغرب ( ٢ ) وتسمى ( ٣ ) بعبـد الله ( ٤ ) وتلقب ( ٥ ) بالمهدى وان هـذا الناجم ( ٦ ) بمصر هو منصور الملقب ( ٧ ) بالحاكم حكم الله عليـه بالبوار والدمـار ابن نـزار ( ٨ ) بن معـد ( ٩ ) بن اسماعيل ( ١٠ ) بن عبـد الرحمن ( ١١ ) بن سعيد ( ١٢ ) وان من تقدمـه **( ١٧٦ )** من سلفه الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ادعيـاء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ولا يتعلقون منه بسبب (١٣) وان ما ادعوه من الانتسـاب اليه باطل وزور لم يتوقف أحد من أهل بيوتات الطالبيين (١٤) من (١٥) اطـلاق القول فى هؤلاء أنهم خوارج أدعيـاء وأن هـذا الانكار لباطلهم كان شـائعا بالحرمين و (١٦) فى أول أمرهم بالمغرب منتشـرا

---

(١) كذا فى جميع النسخ ، وقد أضافت النجوم : لما ، ولا نجد هذه الجملة فى أبى الفدا واتعاظ .

(٢) كذا فى جميع النسخ ، ولا نجد هذه الواو فى النجوم ، والجملة بأكملها ليست موجودة فى أبى الفدا واتعاظ .

(٣) كذا فى النجوم ، وفى بعض النسخ يسمى ، ولا نجد الجملة فى أبى الفدا واتعاظ .

(٤) النجوم : بعبيد الله ، والجملة ليست موجودة فى أبى الفدا واتعاظ ، — وكما يبدو صراحة فى دستور المنجمين عبد الله وعبيد الله كلاهما اسمان صحيحان للمهدى ، انظر ص ١٥٧ ج ١ وما يقابلها من الترجمة العربية . اذا فلا موجب للتوهم بأن عبد الله فى المتن تصحيف عبيد الله .

(٥) كذا فى النجوم ، والجملة ليست موجودة فى أبى الفدا واتعاظ .

(٦) كذا فى بعض النسخ وأبى الفدا والنجوم واتعاظ .

(٧) كذا فى جميع النسخ ، وكذا أيضا فى النجوم ، أبو الفدا واتعاظ : المتلقب ، ولعله أظهر .

(٨) أى العزيز .

(٩) أى المعز .

(١٠) أى المنصور .

(١١) أى القائم ، انظر حاشية (٧) فى الصفحة السابقة .

(١٢) أى المهدى ، انظر حاشية ( ٨ ) فى الصفحة السابقة .

(١٣) هذه الجملة ليست موجودة فى أبى الفدا واتعاظ والنجوم .

(١٤) أبو الفدا واتعاظ لا يكتبان الجملة .

(١٥) النجوم : عن ، ولعله أصوب .

(١٦) كذا فى جميع النسخ،والواو غير موجودة فى النجوم،وأصل الجملة غير موجود فى أبى الفدا واتعاظ .

انتشـــارا عظيما وأن هـــذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق و ( ١ )
زنادقة ملحدون معطلون وللاسلام جاحدون ( ٢ ) ولمذهب الثنوية ( ٣ )
والمجوسية معتقـدون عطلوا الحـدود وأباحوا الفروج و ( ١٧٧ ) أحلوا
الخمور وسفكوا الدمـاء وسبوا الأنبيـاء وادعوا الربوبية وكتب فى ( ٤ )
ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وشهد بذلك من العلويين الشرفاء ( ٥ )
المرتضى والرضى الموسويان وجماعة منهم ( ٦ ) وشهد من الفقهاء المعتبرين
الشيخ أبو حـامد الاسفرايني وأبو الحسـن ( ٧ ) القـدورى وقـاضى
القضـاة أبو محمد بن الأكفـانى ( ٨ ) وأبو عبد الله البيضـاوى ( ٩ ) .
وقـد قرىء هـذا المحضر على المنابر ببغداد وغيرها من البلاد .

## ذكر جلوس المستنصر بن الظـاهر

لمـا مات الظـاهر كان ابنـه أبو تميم معد فى السـابعة من عمره .
فأجلس على كرسى العرش ( ١٧٨ ) ولقب بالمستنصر . وكـان مشـهورا
بوفرة الجنون وقلة العقل ، ونظرا لمـا كـان يأتيـه من تلون فى الأفعـال
وتناقض فى الأعمال واسراف فى الأموال فى غير مصـارفها القويمة والمنـع
فى مواضـع الاطلاق ــ اشتهر بالمستنصر المجنون وقد روى فى الكتب وذكر

---

(١) كذا فى جميع النسخ ، وهذه الواو غير موجودة فى أبى الفدا واتعاظ والنجوم .
(٢) كذا فى أبى الفدا واتعاظ ، والجملة ليست موجودة فى النجوم .
(٣) النجوم : اليهودية ، وليست الجملة موجودة فى أبى الفدا واتعاظ .
(٤) كذا فى جميع النسخ ، وقد أضاف كل من أبى الفدا واتعاظ : شهر .
(٥) هـذه الجملة غير موجودة فى النجوم ، ولم يذكر كل من أبى الفدا واتعاظ اسم أحد من الشهود .
(٦) أى من العلويين الشرفاء .
(٧) كذا فى جميع النسخ ، النجوم : أبو الحسين ، وهو المشهور فى كنيته .
(٨) النجوم : أبو محمد عبد الله بن الأكفانى ، ابن الأثير ٩ : ٩٨ وابن خلدون ٣ : ٤٤٢ كلاهما : ابن الأكفانى .
(٩) ابن خلدون ٣ : ٤٤٢ : أبو عبد الله البيضاوى ، ابن الأثير ٩ : ٩٨ : أبو عبد الله بن البيضاوى ( باقحام كلمة ابن ) ، والنجوم لا تذكره .

فى التواريخ روايات نادرة بعيدة كل البعد عما جرت عليه العادة عند الخلفاء والسلاطين وانتظمته رسومهم . ونحن نذكر هنا حادثة أو حادثتين طريفتين حتى يمكن التوصل عن طريقهما الى كنه أمثاله ونظائر أفعاله .

أما الحادثة الأولى فهى عن اسرافه وذلك أنه اعتاد أن يطلب عيون الجواهر القيمة من الخزانة ، فيدقها كالكحل ويذروها فى جدول ماء . وكان بخيلا لدرجة أنه اضطر الجند ، بسبب امساك الأرزاق المعهودة ومنع الأطلاق المرسومة ، الى الشغب والثورة . فحصروه يوما فى القصر وطلبوا رواتبهم فكتب بخطه رقعة فى الاعتذار عن التقدير ( ١ ) والامساك ثم أرسلها الى الجند :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى غير الهى وله الفضل

جدى نبيى وامامى أبى وقولى التوحيد والعدل ( ٢ )

( ١٧٩ ) المال مال الله والعبيد عبيد الله ( ٣ ) والعطاء خير من المنع وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وأفعاله الباقية مماثلة لهذه الحكاية ويمكن قياسها عليها :

فانها خطرات من وساوسه يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

وعلى هذا النحو قضى المستنصر عهده وبقى فى الخلافة ستين عاما ( ٤ ) قال الله تعالى : « انما نملى لهم ليزدادوا اثما » .

---

(١) « القدر التضييق كالتقدير وقدر عليه الشىء قدرا وقدره ضيقه قوله تعالى : « وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه » أى ضيق ( لسان وتاج ) .

(٢) هذان البيتان مذكوران فى تاريخ ابن القلانسى ٩٥ ، والنجوم ٢ : ٢٤٠ ، ٣٣٩ ، والخطط للمقريزى ٤ : ٧٣ وينسب المقريزى الواقعة المذكورة فى البيتين للحاكم ، والنجوم فى الموضع الثانى للآمر بأحكام الله .

(٣) كذا أيضا فى ابن القلانسى ٩٥ ، والنجوم ٢ : ٢٤٠ والعبد عبد الله ، والخطط ٤ : ٧٣ والخلق عباد الله .

(٤) كانت وفاة المستنصر فى ١٨ ذى الحجة سنة أربعمائة وسبع وثمانين .

وكان له ولدان أحدهما يسمى أبو منصور نزار . جعله فى البداية وليا للعهد ولقبه بالمصطفى لدين الله . ثم تراجع عن ذلك وخلعه وجعل ابنه **أبا القاسم أحمد** وليا للعهد ولقبه **المستعلى بالله** ( ١ ) .

وقد انقسم أئمة البدعة وأعيانها بعد وفاة المستنصر الى فريقين : فريق قال بامامة نزار على اعتبار أن النص الأول هو الصحيح . وكان من هذه الفرقة الاسماعيلية يعنى ملاحدة العراق والشام وقومش ( ٢ ) وخراسان وكان يقال لهم النزارية . وأثبتت الفرقة الأخرى امامة المستعلى ( ١٨٠ ) وهم اسماعيلية مصر وتلك الديار ويقال لهم المستعلوية ( ٣ ) .

وفى عهد المستنصر أظهر الحسن بن الصباح الدعوة بولايات الديلم على التفصيل الآتى فيما بعد . وقد أطلق على طائفة النزارية اسم الالحاد لأنهم رفعوا — فى دعوة الحسن بن الصباح — الشرائع المحمدية ( التى سنها الرسول ) عليه السلام . وأباحوا المحرمات ، قال الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » . ولكن طائفة المستعلوية لم ينسلخوا عن ظاهر الشرع واقتدوا بسنن آبائهم وأجدادهم .

وقد تابع أجناد مصر وأهاليها المستعلى وأجلسوه على عرش الخلافة . وهرب نزار مع ولديه من المستعلى وتوجه الى الاسكندرية فقبل أهلها بيعته . فأرسل المستعلى جيوشا حصرته مدة فى الاسكندرية وفى

---

(١) المترجم : هذا سهو واضح ، لأن الذى خلع نزارا من ولاية العهد هو أمير الجيوش شاهنشاه بن بدر الجمالى المعروف بالأفضل وليس المستنصر ، ولقد تم خلع نزار بعد وفاة المستنصر ( انظر ابن القلانسى ص ١٢٨ وابن الأثير فى حوادث سنة ٤٨٧ ، وابن ميسر ص ٣٤ — ٣٥ ) .

(٢) المترجم : قومش وقومس كانت احدى الولايات الصغيرة الواقعة فى الجنوب الشرقى لسلسلة جبال البرز ( انظر حاشية ( ١ ) على ترجمة بويل الانجليزية لهذا الموضع من جهانكشاى ) .

(٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ . فى جميع المواضع : مستعلوية .

النهاية سلمت الاسكندرية وحمل هو وابناه الى مصر . وقـد ظل الثلاثة فى السجن بالقـاهرة الى ان قضوا نحبهم . وتدعى طائفة النزارية أن أحد ابنـاء نزار ، الذى انتقلت اليه الامامة وفق مذهبهم الباطل ، ترك ابنا له فى الاسكندرية لم يعثر عليه ( ١٨١ ) أو يتعرف عليه أحـد ، واليه ينتسب رئيس ملاحدة الموت الآن ( ١ ) . وسوف يأتى ذكر ذلك فى دعوة الملاحـدة الجـديدة .

وقد بقى المستعلى فى الخلافة الى أن توفى ( ٢ ) .

وقـد جلس مكانه ابنه **أبو على منصور** ( ٣ ) ، وفى الرابـع من ذى القعدة سنة أربـع وعشرين وخمسمائة قضى عليه فجـأة جماعة من غلاة المذهب النزارى .

ولمـا لم يكن قـد أعقب ولدا فقد جعل ابن عمه **أبا الميمون عبد المجيد ابن محمد** وليـا للعهد ( ٤ ) فقـام مقامه وصـار خليفة ولقب بالحافظ لدين الله . وبقى فى الخلافة عشرين سنة ( ٥ ) .

وجلس مكانه من بعده **أبو منصور اسماعيل** ( ٦ ) وقـد لقب **بالظافر** ، قتله عباس بن تميم الـذى كان وزيره ( ٧ ) ( ١٨٢ ) ونصب مكانه ابنه **أبا القاسم عيسى** وهو فى الخامسـة من عمره وكان لقبه **الفايز بالله** ( ٨ ) ولقد مات بعد أن مكث فى الخلافـة ست سنوات ( ٩ ) .

---

(١) من هذا نعلم أن هذا الموضع من الكتاب ألف قبل فتح قلاع الموت على يد هولاكو انظر ج ١ مقدمة المصحح ص قد — قاه .

(٢) فى ١٧ صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

(٣) الملقب بالآمر بأحكام الله .

(٤) محمد هذا هو أبو الحافظ لدين الله بن المستنصر ولم يكن خليفـة وكنيته أبو القاسم .

(٥) توفى فى الخامس من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

(٦) وهو ابن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المذكور .

(٧) فى منتصف المحرم وبقول آخر فى سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائـة من المعلومات عن عبـاس بن تميم انظـر ابن الأثيـر فى حوادث سنتى ٥٤٤ و ٥٤٨ ، وابن خلكان ج ١ ص ٤٠٧ ، وأسامة بن منقذ فى كتابه « الاعتبار » طبع فيليب حتى ص ١٨ — ٢٩ ، وقد ورد اسم عباس بن تميم فى صبح الأعشى ج ١٣ : ٢٤٢ ، ٢٤٣ محرفـا « عياش » بياء مثناة تحتانية وشين .

(٨) لقب هذا الخليفة باجماع المؤرخين هو الفائز بنصر الله ، ويختصر أحيانا الى الفائز فالفائز بالله الوارد فى المتن سهو بلا شك .

(٩) فى ١٧ رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ونصب بعد موته ابن عمه **أبو محمد عبد الله بن يوسف بن حافظ** خليفة ولقب بالعاضد لدين الله . وقد ظل فى الخلافة الى أن استولى آل أيوب على مصر وبلادها .

## ذكر السبب فى ذلك

## وما جرت عليه الحال فيه

فى أوائل سنة أربع وخمسين ( ١ ) ( صح : أربع وستين ) وخمسمائة قدم جيش ضخم للفرنج الى ديار مصر فأعمل فيها القتل والنهب ، **( ١٨٣ )** وكان شابور ( ٢ ) وزير العاضد فى ذلك الوقت هو صاحب الحل والعقد بمملكة مصر ، فلما انشغل جند الفرنج بمحاصرة القاهرة ويئس الخليفة والوزير وكافة أهالى مصر والقاهرة ، عقد شابور صلحا مع قائدهم بألف ألف ( ٣ ) دينار مصرى بعضها بالأجل وبعضها نقدا . فرفع الفرنج الحصار عن القاهرة غير أنهم ظلوا مقيمين بالديار المصرية انتظارا لاستيفاء باقى المال الذى اتفقوا عليه .

(١) هذا خطأ واضح ومخالف لاجماع المؤرخين ومناقض لما صرح به المؤلف نفسه **بعد ما يقرب من خمسة عشر سطرا من أن** دخول شيركوه القاهرة مع جنوده كان فى سنة ٥٦٤ ، والصواب فى المتن « أربع وستين » **بدلا من « أربع وخمسين »** وقد وضعنا التاريخ الصحيح بين قوسين .

(٢) جامع التواريخ ٦٢ وما بعدها : شاوور ( بواوين ) فى كل المواضع ( ص ٩٢ طبع طهران : شاور ) ، اسم هذا الشخص مذكور فى جميع كتب المؤرخين العرب بلا استثناء « شاور » ، بشين معجمة وواو واحدة ، غير أنه لما كان اسمه قد كتب فى هذا الكتاب فى جميع المواضع وجميع النسخ بلا استثناء شابور ( أو سابور ) لتبين لنا أن هذه الكلمة ليست ناشئة من غلط النساخ بل من المصنف نفسه الذى خيل اليه أنها شابور وكان يقرؤها على ذلك ، ويؤيد هذه الفقرة ما ذكر فى جامع التواريخ الذى غالبا ما يتابع جهانكشاى فى هذه الفصول فقد كتبت هذه الكلمة فى جميع المواضع (شاوور) بواوين ، وواضح أننا احتفظنا بالاملاء الأصلية للمصنف فى كافة المواضع ( المترجم : وقد عقد الأستاذ القزوينى فى بحث هذه المسألة فصلا طويلا فى حواشى آخر الكتاب انظر جهانكشاى ج ٣ ص ٣٧١ — ٣٧٩ ) .

(٣) « وصانع شاور الفرنج على ألف ألف دينار » ( أبو الفدا فى حوادث ٥٦٤ ج ٣ : ٤٧ ) « فأرسل (شاور) الى ملك الفرنج يشير بالصلح وأخذ مال فأجابه الى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصرية يعجل البعض ويمهل البعض » ( ابن الأثير فى حوادث السنة المذكورة ج ١١ : ١٥١ ) .

وفى ذلك الوقت كان نور الدين محمود بن زنجى بن آقسنقر هو صاحب الشام . فاستغاث العاضد والوزير وأهل مصر به من استيلاء الفرنج وطلبوا الاستعانة بمدده ومعاضدته لدرجة أنهم أرسلوا اليه ( ١٨٤ ) ذؤابات شعر النساء . فأرسل نور الدين شيركوه ، صاحب حمص ، بجيش جرار للمحافظة على ديار مصر ، وقد صاحب صلاح الدين يوسف بن أيوب عمه شيركوه . ولما سمع الفرنج بخبر جيش الشام عادوا الى ديارهم وتوجه شيركوه الى القاهرة فوصلها فى السابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة . وقد استقبله العاضد وشابور تعظيما واكراما لمقدمه ، فطلب شيركوه من شابور مالا للجند ولكنه اخذ فى المماطلة والتسويف . فانقلب الولاء والصفاء الى تنافر وعداء ، وأخذ شابور فى التدبير لقتل شيركوه بحجة دعوته لينزل ضيفا عليه ( ١ ) ولما كان العاضد ضعيفا عاجزا فى يد شابور ، فقد أخبر شيركوه عن مكيدته وهكذا وجد الباعث على قتله . وفى أحد الأيام قدم شابور عند شيركوه على سبيل التفقد والتودد فذهب ابن أخيه صلاح الدين يوسف لاستقباله وفق مقتضى العادة مع جماعة من أهل السلاح فقبض عليه وأرسل رأسه الى العاضد طبقا لرغبته . وكان ذلك فى السابع عشر ( ٢ ) من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة .

وقد عهد العاضد ( ١٨٥ ) بمنصب الوزارة الى شيركوه ولقبه الملك المنصور . ولم تكد تمضى ثلاثة شهور ( ٣ ) حتى قضى نحبه . فأعطى الوزارة لابن أخيه صلاح الدين يوسف . فضبط صلاح الدين الأمور ، اذ استولى على العاضد ومملكة مصر فكان العاضد يأتمر بأمره .

---

(١) المترجم : « ثم ان شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه ويقبض عليهم ... الخ » ( أبو الفدا ج ٣ : ٤٨ ) .

(٢) انظر ابن الأثير ١١ : ١٥٢ ، والخطط ٢ : ١٧٥ ، وابن خلكان ١ : ٢٣٧ ، ٢ : ٥٦٠ .

(٣) كانت مدة وزارة شيركوه على وجه التحديد شهران وخمسة أيام وكانت وفاته فى يوم السبت الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ( ابن الأثير ١١ : ١٥٣ ، وابن خلكان ١ : ٢٤٦ ) .

وكتب صاحب الشام نور الدين محمود الى صلاح الدين أنه :
« طالما نفذ الحكم فى تلك الممالك فينبغى نصرة الحق على الباطل وأن يوضع الحق فى نصابه ، فعليكم أن تظهروا شعار دعوة الاسلام بذكر اسم الخلفاء العباسيين » . فاستجاب صلاح الدين لذلك وخطب أول جمعة من المحرم سنة ست ( ١ ) ( صح : سبع ) وستين وخمسمائة على منابر الديار المصرية باسم الناصر لدين الله ( ٢ ) كما ضربت السكة باسمه .

ولقد توفى العاضد يوم عاشوراء فحبس صلاح الدين أولاده ( ١٨٦ ) وأنسابه وفى النهاية أذاقهم جميعا شربة الفناء وقطع نسلهم بصفة نهائية . واستقل صلاح الدين يوسف واستبد ( ٣ ) ، وله آثار محمودة ومقامات مشهورة .

* * *

---

(١) وذلك سهو واضح ومخالف لاجماع المؤرخين وهم جميعا يذكرون أن قطع خطبة الفاطميين فى مصر واقامة الخطبة باسم بنى العباس وقع على وجه التحديد فى سنة سبع وستين وخمسمائة ، والصواب فى المتن « سبع » بدلا من « ست » بدون أدنى شك وترديد .

(٢) وهذا أيضا سهو واضح من المصنف ، والصواب باتفاق المؤرخين هو « المستضىء بالله » بدلا من الناصر لدين الله ، بينما كان تاريخ جلوس الناصر لدين الله فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة أى بعد ثمانية أعوام من هذه الواقعة . مدة خلافة المستضىء من سنة ٥٦٦ حتى سنة ٥٧٥ .

(٣) المترجم : « استبد به تفرد » ( القاموس المحيط للفيروز آبادى ) .

## ذكر الحسن بن الصباح وما أحدثه من تجديد ودعوة الملاحدة التى يقال لها (( الدعوة الجديدة )) لاجددها الله تعالى

بعد أن استأصل الحق تعالى بفضل عزيمة وحركة أمير الدنيا هولاكو ، قلاع هؤلاء الملاعين ورباعهم ، ودفع شرهم ، صدر الأمر عند فتح ألموت ، بأن يطلع مؤلف هذا الكتاب على مستودعات الخزانة ومحتويات المكتبة ، كى يستخرج ما يجده لائقا بالسلطان . خلاصة القول أننى لما كنت أقوم بفحص المكتبة التى كانوا قد بدأوا فى جمعها منذ سنين عديدة ، أخذت استخرج المصاحف ونفائس الكتب — كما يخرج الحى من الميت — من بين الكثير من أباطيل الفضول وأضاليل الأصول فى مذهبهم وعقيدتهم بحيث امتزجت بالمصاحف المجيدة وأنواع الكتب النفيسة فانتسج فيها الخير بالشر ، فعثرت على كتاب كانوا يسمونه « سركذشت سيدنا » ( أى سيرة سيدنا ) يتضمن ( ١٨٧ ) ترجمة حياة الحسن بن الصباح ، فنقلت منه ما كان ملائما ( ١ ) ومناسبا لسياق هذا التاريخ ، وأوردت ما كان مصدقا ومحققا .

ترجع نسبته الى قبيلة حمير . قدم أبوه من اليمن الى الكوفة ، ومن الكوفة الى قم ، ومن قم الى الرى ، فاستوطنها وهناك ولد الحسن بن الصباح .

---

(١) حصل رشيد الدين أيضا على هذا الكتاب — سركذشت سيدنا — وأدرج خلاصته ( وليس هو بعينه كما صرح ) فى جامع التواريخ ولكن منقولاته من ذلك الكتاب أكثر تفصيلا من منقولات الجوينى ، وأغلب الظن أن الجوينى نظرا لفرط تدينه وتصلبه فى العقيدة قد استعمل هذا الكتاب ، الذى كان يعد فى نظره من كتب الكفر والضلال ، بكل كراهية واشمئزاز . ولهذا نلاحظ أنه أفرط فى تلخيصه واختصاره واقتصر بقدر الامكان على أقل ما يمكن منه وما هو ضرورى لفهم تاريخ « الملاحدة » .

(٢) المترجم : فى المقارنة بين نص الجوينى ورشيد الدين انظر فيما سبق ص ١٤٧ — ١٤٨ .

أصلك من قاين وموطنك فى كوشك (١) .
أيها الديوث الغبى ، ماذا تفعل فى جيلان ؟

« ١٨٨ » اسمه الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد (ابن) (٢) الصباح الحميرى عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ذكروا فى السيرة (٣) أن جماعة من أتباعه كتبوا أحوال آبائه واحضروا الأوراق اليه ، الا أنه — على سبيل التصنع والتلبيس — لم يقبلها وغسلها فى المـــاء .

ويقرر هـــذا الحسن اللعين : « كنت أتبع مذهب آبائى ، وهو مذهب الشيعة الاثنى عشريـــة . وكان فى الرى رجـــل يسمى أميره ضراب على مذهب باطنية مصر . وكنا نتناظر معا بصفة دائمة ، فيكسر مذهبنا ، ولكنى لم اكن اسلم بينما استقرت آراؤه فى قلبى . وفى تلك الأثناء أصبت بمرض خطير شـــديد فقلت فى نفسى : أن ذلك المذهب هو الحق ولكنى لم اقبله من جراء تعصبى الشـــديد . فلو وصل الأجل الموعود ، والعياذ بالله ، لهلكت دون أن أصـــل الى الحق . فشفيت مما ألم بى من مرض وكان هناك رجل آخر من جملة الباطنيـــة يسمى أبو نجم سراج . فذهبت أتعرف عنده على هـــذا المذهب . فشرحه لى وفصله حتى وقفت على غوامضـــه . وكان هناك رجل آخر يسمى « مؤمن » منحه عبد الملك بن عطاش الاجازة بالقيام بأمر الدعوة (١٨٩) فأردت أن آخذ على يديه عهد البيعة فقال : أن مرتبتك

---

(١) كذا فى مجمع الفصحاء وهفت اقليم ، من أبيات لكوشككى القاينى من شعراء عهد السلطان سنجر وهو مخاطب الشاعر ، انظر هفت اقليم فى عنوان قهستان ، ومجمع الفصحاء ج ١ ص ٤٨٨ .

(٢) كلمة « ابن » ساقطة من جميع النسخ الخطية . بينما الصواب بلا شك هو اثباتها لأن الصباح لم يكن لقب محمد كما يظن اذا سقطت كلمة « ابن » بل كان اسم أبيه ، وكلمة الصباح من الأعلام المعروفة عند العرب الا أنها لم ترد لقبا فى أى موضع على الاطلاق .

(٣) يعنى سركذشت سيدنا ( سيرة سيدنا ) .

أعلى من مرتبتى فأنت حسن ، أما أنا فمؤمن ، فكيف آخذ عليك عهدا ؟ يعنى كيف آخذ منك البيعة للامام ؟ » . الا أنه أخذ العهد منى بعد الحاح .

ولما وصل عبد الملك بن عطاش داعى العراق فى ذلك الوقت الى الرى فى سنة أربع وستين وأربعمائة أعجب بى ، فأمر بأن أتولى نيابة الدعوة وأشار بوجوب توجهى الى خليفة مصر وكان فى ذلك الوقت هو المستنصر ( ١ ) .

وفى سنة تسع وستين وأربعمائة توجهت — عازما على السفر الى مصر — الى اصفهان ( ثم سارمنها عن طريق آذربيجان الى الشام بعد الأخطار التى شاهدها ودونها فى ذلك التاريخ ( ٢ ) .

وفى النهاية وصلت الى مصر فى سنة احدى وسبعين وأربعمائة ( ٣ ) .

---

(١) جامع التواريخ ٦٦ — ( نسخة المكتبة الأهلية بباريس .Suppl — pers. 1113 = ص ٩٩ ط . طهران ) : « وكان خليفة ذلك الزمان هو المستنصر بالله » .

(٢) كذا بصيغة الغائب — ، ولقد لخص المصنف فصلا طويلا ابتداء من جملة : « ثم سار منها عن طريق آذربيجان » الى هنا ، ولهذا أورد الأفعال بصيغة الغائب . والفقرة المعادلة لهذه الكلمات فى جامع التواريخ تقع فى ما يقرب من صفحة كاملة ( ورقة ٦٦ س ٢٤ — ورقة ٦٧ س ١٢ ويقع هذا الفصل فى طبعة طهران من ص ٩٩ — ١٠١ ) وهو يقصد بالتاريخ هنا « سركذشت سيدنا » ( سيرة سيدنا ) .

(٣) جامع التواريخ ٦٧ = ص ٩٩ طبع طهران : « وصل سيدنا الى القاهرة المعزية يوم الأربعاء الثامن من عشر من شهر صفر المظفر سنة احدى وسبعين وأربعمائة » ، ويذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢٧ ( ج ٩ : ١٨٦ ) ويتبعه ابن ميسر ( ص ٢٧ ) أن تاريخ وصول الحسن بن الصباح الى مصر كان فى سنة ٤٧٩، وذلك سهو واضح لأن منقولات المصنف من « سركذشت سيدنا » فى هذه المواضع هى غالبا عين كلام الحسن بن الصباح مباشرة ولابد أن يكون قوله فى الأمور المتعلقة به شخصيا مقدما على أقوال الآخرين .

فأقمت ( ١ ) بها ما يقرب من سنة ونصف ولم أصل طوال ( ٢ ) ( ١٩٠ ) مدة اقامتي الى المستنصر ، ولكن المستنصر كان واقفا على أمري وامتدحني غير مرة . وكان أمير الجيوش ( ٣ ) ، أمير جنده ، هو المتسلط والحاكم المطلق ، ( وهو فى نفس الوقت ) صهر ( ٤ ) المستعلى الابن الأصغر الذى كان المستنصر قد نص نصا ثانيا بأن يكون وليا للعهد . وكنت أنا طبقا لقاعدة أصول مذهبى ( ١٩١ ) أقوم بالدعوة لنزار ، ( وقد مضى تقرير ذلك ) ، لهذا ساءت علاقة أمير الجيوش بى ، فعقد خاصره استعدادا للنيل منى ، وكانت نتيجة ذلك أنهم أجبرونى على التوجه الى المغرب فوق ظهر احدى السفن مع جماعة من الفرنج . وكان البحر هائجا فألقى بالسفينة الى الشام . وهناك وقعت لى واقعة ( ٥ ) وقدمت من هناك

---

(١) كذا بصيغة المتكلم .

(٢) ابن الأثير فى حوادث سنوات ٤٢٧ ، ٤٨٧ ، ٤٩٤ يكرر التصريح بان الحسن بن الصباح قابل المستنصر شخصيا وسأله :
« من امامى بعدك فقال ابنى نزار » ولا شك فى أن ما جاء فى « سركذشت سيدنا » فيما يتعلق بالأمور الشخصية للحسن بن الصباح مقدم كما قلنا على أى قول آخر .
المترجم : وانظر مقدمة ايفانوف الانجليزية لكتاب « كلام بير » PXX, f.n. 2 حيث يذكر الاشارات التى وردت فى كتابات الاسماعيلية عن مقابلة الحسن ابن الصباح للمستنصر الفاطمى .

(٣) يريد به بدر الجمالى أبا أمير الجيوش شاهنشاه المعروف بالأفضل ، وقد وصل فى سنة ٤٦٦ الى وزارة المستنصر وبقى فى هذا المنصب حتى نهاية عمره وفى سنة ٤٨٧ توفى المستنصر قبل وفاته بخمسة أشهر ( انظر ابن خلكان فى ترجمة ابنه شاهنشاه ، وابن ميسر ٢٢ — ٣٠ ، وخطط المقريزى ٢ : ٢١١ — ٢١٣ ، وابن تغرى بردى فى مواضع عديدة ) .

(٤) المراد بكلمة صهر هنا أبو الزوجة فقد كانت بنت بدر الجمالى زوجة للمستعلى ، « وكان المستنصر نعت المستعلى بهذا اللقب ( أى بولى عهد المؤمنين ) لما عقد نكاحه على ابنة أمير الجيوش بدر » ( تاريخ ابن ميسر ٦٦ ) .

(٥) المراد بـ ( الواقعة ) كما يتضح من الفقرة المعادلة لهذا الموضع فى جامع التواريخ ٦٨ = ص ١٠٢ ط طهران هى على ما يبدو الكرامة التى أظهرها كما يزعم فى السفينة وكان قد أخبر الناس قبل حدوث الواقعة بأن السفينة لن تغرق « وفجأة هبت ريح عاصفة فتحطمت السفينة فاضطرب القوم وكان سيدنا خالى البال مطمئنا ، فسأله رجل كيف تجلس هكذا آمنا والحال على ما ترى قال : أخبرنى المستنصر عن هذا الأمر وقال : لا تخش شيئا على الاطلاق ولذا تجدنى لا ألقى بالا ، فاستقرت السفينة على صخرة الخ » .

الى حلب فوصلت منها الى اصفهان عن طريق بغداد وخوزستان فى ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين واربعمائة . ثم توجهت منها الى حدود كرمان ويزد فقمت بالدعوة حينا . ثم عدت بعد ذلك الى اصفهان وذهبت مرة أخرى الى خوزستان وقدمت من هناك الى فريم ( ١ ) وشهرياركوه ( ٢ ) عن طريق الصحراء .

**( ١٩٢ )** وقد أقمت فى دامغان ثلاث سنوات ، ومن هناك وجهت جماعة الدعاة الى أندجرود ( ٣ ) والولايات الأخرى بألموت لكى يدخلوا الناس فى الدعوة . ثم ذهبت الى جرجان ، وطرز ( ٤ ) ، وسرحد ( ٥ ) ، وجناشك ( ٦ ) . ثم عدت أدراجى من هناك . **( ١٩٣ )** ( وسبب ذلك أن نظام الملك كان قد كلف أبا مسلم الرازى ( ٧ ) بأن يقبض على الحسن )

---

(١) كذا فى جامع التواريخ ٦٨ = ص ١٠٣ ط طهران ، مدينة كانت تقع فى المنطقة الجبلية شرقى مازندران .

(٢) شهرياركوه ( جبل شهريار ) الظاهر أنه كان عبارة عن سلسلة جبال فيروزكوه وسوداكوه الحالية وكانت فريم هى مدينته الرئيسية .

(٣) أندجرود ( أندج رود ) وهى ما زالت باقيـة باسمها حتى الآن . وتعتبر — طبقا للتقسيم الحـالى — أحدى نواحى ألموت الأربعة : **فيشان ناحية ، أندجرود ، آثان ناحية ، بالا رودبار .**

(٤) طرز بطاء وراء مهملتين وزاى معجمة ، لم أعثر على هذه الكلمة فى أى كتاب من كتب المسالك والممالك ، ويذكر ابن الأثير قرية بنفس الاسم ( يعنى طرز ) فى حوادث سنة ٥٢٠ ويقول أنها من أعمال بيهق ومن القرى المخصوصة بالباطنية والاحتمال شديد فى أنها هى نفس القرية المذكورة فى المتن .

(٥) يبدو من سياق العبارة انه ربما كان موضعا فى حـدود جرجـان أو قريبـا من تلك النواحى ولكن لم يتيسر لى تعيين موضعها على وجـه التحـديد . وفى الكتب القديمة فى المسـالك والممالك والكتب الحديثه فى الجغرافيا توجد ثلاثة مواضع باسم « سرحد » ولكن ليس لأى منها صلة بهذا المقام ، بل انها جميعا بعيدة تماما عن الموضع الذى نحن بصدده .

(٦) جناشك : هى احدى النواحى على الحدود الشرقية لولاية استراباد تبعد عن مدينة استراباد بحوالى عشرين فرسخا من ناحية الشرق وحوالى عشرة فراسـخ غرب جاجرم وهى الآن عبارة عن ما يقرب من ست قرى منفصلة عن بعضها البعض . وكانت فيما سبق اسما لقلعة حصينة أيضا تقع فى تلك النواحى .

(٧) « وكان رئيس الرى انسان يقال له أبو مسلم وهو صهر نظـام الملك .... فلما هرب الحسن من أبى مسلم طلبه فلم يدركه » ( ابن الأثير حوادث سنة ٤٩٤ ) .

فكان يبذل أقصى ما فى وسعه للعثور على . فلم أستطع القدوم الى الرى وكنت أريد أن أذهب الى ديلمان ببلاد الروم حيث كنت قد أرسلت الدعاة . ولذلك قدمت الى سارى ومنها وصلت الى قزوين عن طريق دنباوند وخوار الرى ، وهكذا تحاشيت الرى .

وقد أرسلت من قزوين مرة أخرى داعيا الى قلعة ألموت ، وكان يتولاها رجل يقال له علوى مهدى من قبل ملكشاه . والموت اله أموت يعنى عش العقاب ( ١ ) ، فقد كان للعقاب عشا بها . فقبل الدعوة جماعة فى الموت ثم دعوا بدورهم العلوى فقال هو بلسانه ( تظاهرا ) : « قبلت » . وأتبع ذلك باستعمال الحيلة فأنزل من القلعة كل من قبل الدعوة وأغلق دونهم بابها ، وقال : « هى قلعة السلطان » . وبعد نقاش طويل سمح لهؤلاء الجماعة بالدخول ثانية فلم يقبلوا بعد ذلك النزول من القلعة بمقتضى طلبه .

( ١٩٤ ) مجمل القول انى ذهبت ( ٢ ) من قزوين الى ديلمان ، ( ثم توجه منها الى ولاية اشكور ( ٣ ) حيث تركها الى أندجرود المتاخمة لألموت فأقام بها فترة من الزمن ) .

وعن طريق تزهده الشديد وقع كثير من الناس فى حبائله وقبلوا دعوته ( ٤ ) فحملوه الى القلعة فى مساء يوم الأربعاء السادس من

---

(١) يقول ابن الاثير ( ١٠ : ١٣١ ) : « ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب » — والظاهر أن تفسير ابن الأثير أقرب للصواب لأن « آموت » بلغة الديلم — كما يبدو — هى نفس كلمة « آموخت » ومعناها تعلم .

(٢) كذا بصيغة المتكلم المفرد .

(٣) اشكور بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف وفتح الواو ثم فى الآخر راء مهملة وهو النطق الحالى للأهالى .

المترجم : ويكتبها بيترولى فى The castels of the Assassins فى كافة المواضع Ashkavar بفتح الألف .

(٤) من هذا الموضع حتى أواخر الصفحةالتالية فضلا عن فقرات متعددة أخرى من هذا الفصل وهى المتعلقة بالحسن بن الصباح نقلت بنصها تقريبا فى تاريخ ابن اسفنديار ، ويبدو أن هذه الفقرات من الحاقات النساخ المتأخرين على تاريخ طبرستان .

رجب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة . ومن نوادر الاتفاقات أن حروف الله آموت هى بحساب الجمل تاريخ سنة صعوده الى ألموت التى اغتصبوها . وبقى متخفيا مدة وسمى نفسه دهخدا . فلما اطلع العلوى على واقع الحال وعلم أنه عاجز عن التصرف ، أذنوا له بالرحيل ، فكتب ( الحسن ) حوالة بثلاثة آلاف دينار هى ثمن القلعة لحاكم كردكوه ودامغان الرئيس ( ١٩٥ ) المظفر المستوفى الذى كان قد قبل دعوته سرا . وكان من عادة الحسن أن يكتب الرقاع موجزة أشد الايجاز بسبب غاية الزهد على نمط هذه الحوالة : الرئيس م ظ ( ١ ) حفظه الله ، لتسليم علوى مهدى ثمنا لألموت ثلاثة آلاف دينار على النبى المصطفى وآله السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل .

مجمل القول أن علوى أخذ الحوالة وقال فى نفسه : « ان الرئيس المظفر رجل عظيم وهو نائب للأميرداد ( ٢ ) حبشى بن التونتاق فأنى له أن يعطينى شيئا برقعة كهذه » . وبعد مدة نزل دامغان وكان قد صار مقل الحال فأخذ الرقعة التى كانت معه الى الرئيس المظفر على سبيل التجربة ، فقبل الرئيس المظفر الخط وسلمه الذهب فى الحال .

فلما استقر الحسن بن الصباح — أخزاه الله — فى ألموت واستقل ، وجه الدعاة الى الأطراف والأكناف . وقصر عهده على أظهار الدعوة واضلال قصار النظر . وقد أحدث فى تلك البدعة تغييرا أطلقت عليه تلك الطائفة من بعده « الدعوة الجديدة » . اذ كان المتقدمون منهم قد أسسوا

---

(١) يعنى المظفر .

(٢) ذكر عطا ملك فى الجزء الثانى من جهانكشاى اسم أمير خراسان فى ذلك الوقت داد بك ( أمير داد ) حبشى بن التونتاق . انظر جوامع العلوم للفخر الرازى نسخة باريس Suppl. Pers. 1595 ورقة ٦٧ ، تاريخ السلجوقية طبع هوتسما ص ٢٥٩ ، وابن الاثير فى حوادث ٤٩٠ ، ٤٩٣ .

مذهبهم على تأويل التنزيل ، وعلى الأخص الآيات المتشابهة والاستخراجات الغريبة من معانى الأخبـــار والآثار وما شـــاكل ذلك . وكانوا يقولون ان لكل تنزيل تأويلا ولكل ( ١٩٦ ) ظـــاهر باطنا . ولكن الحسن بن الصباح فتح باب التعليم والتعلم على مصراعيـــه . وقـــال ان معرفة الله لا تكون بالعقل والنظر بل بتعليم الامام ، لأن أكثر الخلق فى العالم عقلاء ولكل شخص نظرة فى طريق الدين . فلو كان نظر العقل كافيا لمعرفة الله لمـــا اعترض أهل مذهب من المذاهب على غيرهم ولكان الجميع متساوين لأن كل الناس متدينون بنظر العقل . غير أن سبيل الاعتراض والانكار مفتوح ويحتاج البعض الى تقليد البعض ، وهذا هو مذهب التعليم ( يبين ) أن العقل غير كاف بل ينبغى وجود امام بتعليمه يتعلم الناس فى كل دور ويتدينون .

وابتدع عدة عبارات موجزة استعملها ملواحا لحبائل خداعه ، واطلق عليها اسم الالزام ، فظن الجهال والعوام أن تحت تلك الألفـــاظ المختصرة معانى كثيرة . وأدق هـــذه الألفاظ والمعانى هو ما كان يســـأله للمعترضين على مذهبه وهو هل العقل كاف أم لا ؟ ، يعنى أن العقل لو كان كافيا لمعرفة الله لمـــا وصل لذى عقل انكار لمعترض ، فلو قال معترض ان العقل غير كاف فيجب ـــ الى جانب نظر العقل ـــ وجود معلم فى كل حين ، هـــذا هو مذهبـــه .

أما ما يقوله (١) من أن العقل كاف أم لا ، فان مذهبـــه الذى يطلب اثباته فى هـــذا السؤال هو انه يجب وجود التعليم مع العقل ، بينما يقول مذهب الخصم بأنه لا يجب وجود التعليم مـــع العقل . فاذا لم يكن وجود التعليم واجبا فربما كان وجوده جائزا فعندئذ يكون معينا للعقل على النظر ، وربما لا يكون وجوده جائزا فيكتفى بالعقل وحده ( ١٩٧ ) والا فلن تحصل معرفـــة الله . وهـــذا وجهان ، بينما انشـــغل هو بابطال الوجه الثـــانى

---

(١) يبدأ كلام الجوينى من هنا فى ابطال استدلال الحسن بن الصباح .

ويقول انى ابطلت مذهبهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، لأن مذهب جمهور أهل العالم هو أن وجود العقل المجرد ليس كافيا ويشترط استعمال العقل على وجه مخصوص ، فالتعليم والهداية معينان لبعض العقلاء ، وليس للبعض بهما حاجة ، الا أنه لا مانع اذا وجـدا . فاذا كان الأمر كذلك لعرفنا أنه لم يكن قـد بلغ مبلغ التعرض لابطال مذهب الجمهور .

كما أن وقف التعـليم على شخص معين أمر يفتقر الى دليل ودليله هو مجرد قوله . اذ أنه يقول : « طالما أننى أثبت التعليم ، وليس هناك من أحد غيرى يقول بالتعليم لكان تعيين المعـلم اذن بقولى أنا » . وهـذا الكلام ظـاهر الفسـاد ، وهو بمثابة قول شخص : « اننى أقول أن الامام هو فلان والبرهان على ذلك أننى أنا أقول هـذا الكلام » . فاذا قال : « الاجماع حق ، أمـا اذا كان قولى ليس صحيحا فقـد أبطلت اذن قول الآخـرين ولاجتمعت الأمة على الباطل » فالجواب عليه : ان الاجماع حق عند الجمهور بسبب القرآن والخبر وهو ليس كذلك عندك ( ١ ) . اذن بنـاء مذهبك على الاجماع يكون بنـاء على قول خصمك ولا يفيدك . وليس له خلاف هـذا حجـة أخرى على تعيين الامام .

أما ما كان قد قاله من أن ( ١٩٨ ) الرسول عليه السلام يقول : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » وأن هـذا يعنى أنه ينبغى أن يأخذوا قول لا اله الا الله منى وهـذا هو ( مذهب ) التعليم . فالاجابـة عليه بأن هـذا معارض لحكاية العجوز التى سألوها عن الله ، فأشـارت الى السماء ، فقال الرسول عليه السلام : « دعوها فانها مؤمنة » ، وقال : « عليكم بدين العجائز » . ولم يقل للعجوز انك لم تعرفى الله منى فلست مؤمنة . وقـال أعرابى : « أليس الزمان حقا ( ٢ ) » قال الرسول عليـه

---

(١) المترجم : لا يعترف الشيعة ، ومن بينهم الاسماعيلية ، بالاجماع الذى يعتبره أهل السنة أحد مصادر التشريع الأربعة . اللهم الا باعتباره كاشفا عن رأى الامام المعصوم عند الاثنا عشرية .

(٢) لم أستطع ان أعثر على أصل الحديث فى أى موضع .
المترجم : فى الأصـل : اليست .

السلام : « دعوه فقد فقه » . ومن هـذا القبيل كثير يمكن ايراده ، ولما كان هـذا الكتاب ليس مجالا لابطال مذاهب الباطل واثبات مذهب الحق فقد روعى أن الاختصار على هـذا القدر أولى . هـذا ( ١ ) أنموذج من الخرافات التى تعد ظواهرها حبائل التلبيس وبواطنها عوامل ( ١٩٩ ) ابليس ، وكان يقرر أن الهدف من ذلك هو المنع عن نظر العقل وتحصيل العلم ، ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ) .

خلاصة القول ان الحسن كان يبذل قصارى جهده فى استخلاص النواحى المتاخمة لألموت والمواضع القريبة منها ، وكان يتسلم كل مكان تيسر بتلبيس الدعوة ، وأما ما لم يغتر بتغريره فكان يستولى عليه بالقتل والهتك والنهب والسفك والحرب وكان يستولى على كل ما يستطيع من القلاع ، وحيثما كان يجد منطقة صخرية تصلح للبناء اقام عليها قلعة .

وكان من بين خواص السلطان ملك شاه أمير يسمى يورناس ( ظ : يورنتاش ) ( ٢ ) ( ٢٠٠ ) كانت نواحى ألموت اقطاعا له . فكان

---

(١) من هذا الموضعوحوالى خمسة أسطر اخرى مكتوبفىابن اسفنديار

(٢) يبدو أن هذه الكلمة الفاسدة فى كافة النسخ الخطية هى تصحيف « يورنتاش » وهى فى التركية بمعنى الحجر الأبيض من ( يورن ) ( يورون ، يورونك ، أورون ، أورونك ) بمعنى أبيض ( تاش ) بمعنى حجر ، وفى ديوان لغات الترك لكاشغرى ١ : ١٢٠ يقول « أرنك الأبيض من كل شىء والغزية تسميه آق » ، وللكلمة رسم آخر هو أورنكتاش ( جامع التواريخ طبع بلوشه ٢٦٥ ) ، ومن نظائر هذا التركيب أرنك قش بمعنى الصقر الأبيض وتأتى أيضا بمعنى الطائر الأبيض ( الكاشغرى ١ : ٢٧٨ ) — ويرنقش رسم آخر لنفس الكلمة وهو من الأعلام التركية المعروفة ويأتى ذكره كثيرا فى تاريخ السلاجقة ، وأورونك تيمور يعنى الحديد الأبيض وهو أيضا من الأعلام التركية ( حواشى بلوشة على جامع التواريخ ٢٦٥ ) ، وأرنبغا ( أرنك بوغا ) يعنى الثور الأبيض وهو اسم أشخاص عديدين من أمراء مماليك مصر ( المنهل الصافى فى باب الألف ) ، ولم أعثر على اسم هذا الأمير فى أى كتاب من كتب التواريخ المعروفة ، وكان ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٤ ( ج ١٠ : ١٣٢ ) قد ذكر أصل الموضوع ولكنه لم يذكر اسم هذا الأمير ، وفى تاريخ كزيده ص ٥١٨ كتب اسم هذا الأمير « التونتاش » والواضح أنها كلمة مغايرة تماما وهى تحريف من النساخ أو من المؤلف نفسه .

يهاجم سفح الموت المرة تلو المرة وكان يقتل ويغير على كل من قبل دعوة ( ابن الصباح ) وأطاعه حيثما كان . ولما لم تكن القلعة قد زودت بعد بالمؤن فقد ضاق الأمر على المقيمين بها وأصابهم العجز وعزموا على أن يسلموا القلعة لعدد ضئيل من الرجال ويتحولوا هم عنها الى مكان آخر . عندئذ ادعى الحسن بن الصباح ان رسالة وصلته من امامه ، يعنى المستنصر تقضى بألا ينتقلوا من ذلك الموضع فالاقبال منه متوقع . وهكذا استطاع بهذا التمويه أن يجعل القوم يعقدون العزم على مقاساة الشدائد فتمكنوا فى ألموت وأطلقوا عليها اسم بلدة الاقبال نسبة الى هذا اللفظ الذى ذكره .

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة أرسل أحد دعاته المسمى حسين القاينى الى قهستان ليتولى الدعوة بها . فاستجاب له جماعة واستقلوا باحدى نواحى قهستان . فاعتبر نائبا لحكمهم من قبل الحسن بن الصباح . وكما تقدم الحسن بن الصباح فى ألموت بذلوا هم أيضا جهدهم فى العمل على انشاء الدعوة بقهستان واستخلاص النواحى المحيطة بهم وحدودها عن طريق استعمال التزاوير ( ١ ) والاستيلاء على القلاع .

( ٢٠١ ) فلما تفشت حكاية بدعته وامتدت أضرار تلك الطائفة الى المسلمين المجاورين لهم ، أنفذ السلطان ملكشاه فى أوائل سنة خمس وثمانين وأربعمائة أميرا يقال له أرسلانتاش لمحاربة الحسن بن الصباح

---

(١) لم اتمكن من تصحيح هذه الكلمة (العربية) أو معرفة المقصود منها ولم أعرف هل المعنى المعروف للتزوير وهو المكر والحيلة والخداع هو المراد هنا أم المراد معنى آخر ، وفضلا عن هذا فان جمع تزوير على تزاوير ولو أنها جائزة قياسا فى الاستعمال الا انها تبدو غريبة الى حد ما وغير مألوفة كما لو جمعنا مثلا تداليس وتنبيه على تداليس وتنابيه .

وأتباعـه واستئصـالهم . فقعد الأمير فى جمادى الأول ( ١ ) من السنة المذكورة لمحاصرة الموت ، ولم يكن مع الحسن بن الصـباح فى ذلك الوقت سوى ستين أو سبعين رجـلا ، ولم يكن لديهم سوى القليل من المؤن . فكانوا يعيشـون على ما يسـد الرمق من قليل القوت ، وكانوا منشغلين بحرب المحـاصرين وقتالهم . وكان داعى الحسن بن الصـباح ، المسمى دهـدار بوعلى ، قـد انتقل من زواره واردسـتان ، وأقـام فى قزوين ، واستجاب له قوم كثيرون من أهل قزوين ، كما كان هناك أناس كثيرون قد تقلدوا الدعوة الصباحية فى ولايات الطالقان وكوهبره ( ٢ ) وولاية الرى ، ( ٢،٢ ) وكان رجوعهم الى ذلك الذى استوطن قزوين فطلب الحسن بن الصباح المـدد من دهدار بوعلى الذى حرض جماعة من أهـالى كوهبره والطالقان كما أرسل من قزوين الأسلحة وآلات الحرب وقـدم ثلاثمائـة رجل من هؤلاء الرجال لمـدد الحسن بن الصباح . فألقوا أنفسهم داخل القلعة وبمعاونة المقيمين فى ألموت ومظاهرة قوم من أهالى رودبار ، كانوا قـد اتفقوا وتواعدوا على لقائهم خـارج القلعة ، أغاروا ليلا على جيش أرسلانتاش فى آخر شعبان من نفس السنة . فانهزم جيش أرسلانتاش بتقدير الهى وذهبوا عن ألموت وعادوا أدراجهم الى ملكشـاه .

وجزع السـلطان ملكشـاه من جراء هذا ولكنه أصر على استئصال تلك الطائفة . غير أن أجله كان قـد وصـل الى نهايته فتباطأت اجراءات قمع أولئك المخذولين بسبب وفاته وقويت فتنتهم .

---

(١) كذا بالتذكير ، « قال الفراء فان سمعت تذكير جمادى فانما يذهب به الى الشهر » ( لسان وتاج ) ، « قـال ابن مكى ولا يقال جمادى الأول بالتذكير وجوزه فى كلامه على تثقيف اللسان » ( صبح الأعشى ٢ : ٣٦٧ ) .

(٢) كوه بره هى قطعا بره التى وصفت فى نزهة القلوب ٢١٨،٢١٧ . ومن الوصف الذى ورد فى نزهة القلوب نتبين على وجه اليقين انها منجيل الحـالية .

وفى أوائل سنة خمس وثمانين وأربعمائة أوفد السلطان أيضا أميرا آخر من خواصه يقال له غزل سارغ لدفع ملاحدة قهستان ، وأمر جيوش خراسان باتباعه ومعاونته . فحاصرهم غزل سارغ فى قلعة ( ٦٠٣ ) دره ( ١ ) المتاخمة لسيستان وهى من أعمال مؤمناباد ( ٢ ) واشتغل بقتالهم . فوصله خبر وفاة ملكشاه قبل استخلاصها ، فنهض عنها وتفرق جيشه . وعلى شاكلة طغاة الموت مد أولئك الجماعة يد التطاول الى كل طرف من الأطراف ، وسحبوا قدم التعدى ، كما قيل :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفرى ( ٣ )

وفى بدء ( ٤ ) خروج الحسن كان نظام الملك الحسن بن على بن

---

(١) دره ، قرية تبعد عن طبس مسينان بحوالى خمسة عشر فرسخا كما تبعد عشرين فرسخا جنوب شرقى بيرجند وتقع على رأس الطريق الموصل من بيرجند الى سيستان ومازالت هناك احدى القلاع القديمة على القمم الواقعة على حدودها. انظر نزهة القلوب ١٤٦، وجامع التواريخ ٧٢ ( نسخة المكتبة الأهلية بباريس Suppl. Pers 113 ص ١٠٩ ط طهران ) ، وتاريخ سيستان ٣١ ، وبلدان الخلافة الشرقية للوسترنج ٣٦٣ ، والخرائط الأوروبية الجديدة وتكتبها Dere, Duruh والأخيرة هى الاملاء الانجليزى لهذه الكلمة لأنهم فى اللغة الانجليزية يكتبون الفتحة أحيانا u. وقد طبعت هذه الكلمة فى خريطة ايران لميرزا عبد الرازق خان المهندس ( نقلا عن الخرائط الانجليزية بدون أدنى شك ) دوروه بواوين ، وذلك سهو .

(٢) مؤمنآباد ناحية جبلية بين بيرجندوطبس سيتان تقع شرقى بيرجند وغربى طبس سيتان ومازالت تحمل نفس الاسم ، انظر نزهة القلوب ١٤٦ ، وجامع التواريخ ٧٢ — ص ١٠٩ ط طهران ، وبلدان الخلافة الشرقية ٣٦١ والخرئط الجديدة .

(٣) صدره : يا لك من قبرة بمعمر ، من جملة أبيات لطرفه بن العبد أو للكميت بن ربيعة التغلبى ، انظر مجمع الأمثال فى باب الخاء ( طبع مصر ج ١ ص ١٦١ ) ، ولسان العرب فى مادة ق ب ر .

(٤) من هنا الى حوالى ١٤ سطرا آخرين مكتوب بالنص فى تاريخ ابن اسفنديار .

اسحق الطوسى رحمه الله وزيرا للكشاه . ولقد بذل غاية جهده فى استئصال الفتنة الصباحية من جذورها وكان يسعى جهده فى تجهيز وتسريح العساكر لقمعهم وقسرهم وذلك لما كان يراه بنظره الثاقب من شمائل أحوال الحسن (٢٠٤) بن الصباح واتباعه وهم امارات الفتن فى الاسلام ولما كان يشاهده من علامات الخلل . فمد الحسن بن الصباح مصائد المكائد كى يستدرج فى فخ الاهلاك منذ الوهلة الأولى صيدا عظيما ، مثل نظام الملك ، فيذيع بسبب ذلك صيت ناموسه . فمهد بشعبدة الغرور ودمدمة الزور والتعبئات المزخرفة والمعميات المزيفة (١) ، لقاعدة الفداوية فتوجه رجل اسمه أبو طاهر (٢) الأرانى ، ونسبه خسر الدنيا والآخرة ، وهو مزود بالضلال (لاعتقاده) بأنه يطلب سعادة الآخرة — الى حدود نهاوند فى منزل يقال له سحنه (٣) ليلة الجمعة الثانى عشر من رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة على هيئة صوفى . وتقدم الى محفة نظام الملك وهو متوجه فى المحفة بعد الأفطار من البلاط الى خيمة الحريم فطعنه بخنجر فاستشهد نظام الملك متأثرا بجراحه ، فكان أول شخص قتله الفداوية (٤) .

---

(١) المترجم : لعل الاشارة هنا الى (الجنة) التى وصفها ماركوبولو فى رحلته وقد نقل نص ماركوبولو ادوارد براون فى المجلد الثانى من موسوعته تاريخ الادب فى ايران وهو المجلد الذى ترجمه الى العربية المرحوم الأستاذ الدكتور ابراهيم الشواربى ، انظر ص ٢٥٣ — ٢٥٥ . وانظر أيضا حاشية The History of the World Conquror p. 676

(٢) المترجم : فى جامع التواريخ ٧٣ وحبيب السير جزء ٤ من المجلد الثانى ص ٧٣ : أبو طاهر ، وقد فضلنا رسم جامع التواريخ لأن المصنف قد درج على كتابه « أبو » بدون ألف ، فهو مثلا يكتب اسم المهدى فى ص ١٥٦ : بوعبد الله .

(٣) المترجم قرية من توابع كرمانشاه مازالت باقية باسمها حتى الآن .

(٤) آخر الفقرة المعادلة لابن اسفنديار .

ولما عاد الحسن بن الصباح من مصر توجه الى أصفهان ، كان قد ذاع صيت مقالته (٢٠٥) وانتسابه الى الباطنية والدعوة التى كان يقوم بها ، وكان الأشخاص الذين جبلوا على نصرة الاسلام والذود عن الدين يطلبونه،فكان يتوارى لهذا السبب (١) . وفى اصفهان ذهب الى دار الرئيس أبى الفضل ، الذى كان قد قبل دعوته خفية وأقام بها مدة . وعندما كان الرئيس يقابله يتبادلان أطراف الحديث ويناقشان همومهما ومتاعبهما . وذات يوم ، فى أثناء الشكوى من الزمان وحكاية تعصب السلطان وأركان دولته ، تأوه الحسن بن الصباح وقال : « وا أسفاه ! لو كان معى رجلان قلبا واحدا لكنت قلبت هذا الملك رأسا على عقب » ، فظن الرئيس أبو الفضل أن الحسن قد أصيب بأعراض الماليخوليا من كثرة الفكر وشدة

---

(١) المترجم : يضيف رشيد الدين فى هذا الموضع ( جامع التواريخ ) ، ( الجزء الخاص بالاسماعيلية ص ١١٠ — ١١٢ طبع طهران ) « قصة الأصدقاء الثلاثة » وهم الحسن بن الصباح ونظام الملك وعمر الخيام ( ونجد هذه القصة منقولة الى العربية فى الترجمة العربية للمجلد الثانى من موسوعة براون A Litrary History of Persia Vol. II للمرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربى ص ٢٣٦ — ٢٣٨ ) ، وهى مذكورة أيضا فى تاريخ كزيدة لحمد الله المستوفى ، وروضة الصفا لميرخوند، وحبيب السير لخواندامير ، وتذكرة الشعراء لدولتشاه ، والكتاب المنسوب لنظام الملك « الوصايا » ، كذلك فى مقدمة رباعيات الخيام المنشورة بالفارسية والانجليزية . وانظر تحليلا لهذه القصة فى كل من : كتاب براون فى الموضع المذكور ، وحواشى القزوينى على جهار مقالة لنظامى عروضى السمرقندى طبع ليدن ص ٢١٦ — ٢١٧ ، ومقال لوكهارت فى مجلة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن المجلد الخامس سنة ١٩٢٩ بعنوان :

Hasa-i-Sabbah and the Assassins B.S.O.S. 1929 Vol. I pp. 676 — 696

ومقال بوين فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعنوان :

"The Sar-Gudhasht — î — Sayyidna, The Tale of three school-fellows" and The Wasya of the Nizam el-Mulk by Harold Bown, J.R.A.S. 1931, pp. 771 — 782.

والرأى العلمى السائد الآن بالنسبة لهذه القصة أنها أسطورة اختلقها الاسماعيلية ليضعوا زعيمهم الحسن بن الصباح فى مصاف وزير عظيم له خطورته وشهرته مثل نظام الملك أو رياضى فيلسوف كعمر الخيام .

الخوف ومباشرة الأسفار المحفوفة بالخطر ، والا فكيف يمكنـــه بشخصين متحدين أن يقلبوا رأسا على عقب ملكا لسلطان تقع تحت خطبته وسكته البلاد من مصر الى كاشغر ويسير تحت لوائه الألوف ما بين راحل وراكب ، يجعل العالم يضطرب باشارة واحدة ، فأمعن النظر فى هذا وقال لنفسه : « انه ليس رجــلا من أهل اللغو والقول الجزاف ، فلا شــك أنه أصيب بمرض عقلى » ، وعلى ضــوء هذا الظن أخــذ يعــد العدة لعلاج مرض المـــاليخوليا دون أن يطلع الحسن . فأعد مشروبات معطرة وأغذية مقوية للمزاج ومرطبة للدماغ تليق بمن يعانى من مثــل هــذه العلة ، وحملها اليه فى الوقت المعتاد لتناول شرابه وطعامه . وعندما شاهد الحسن بن الصباح نوع الشراب والطعام وقف على ما يدور فى خلد الرئيس أبى الفضل وعزم على الرحيل فى الحــال . ولقد أكثــر الرئيس من التضرع (٢٠٦) والرجاء ولكنه رفض البقاء . ويقال انه ذهب الى كرمان ( ١ ) ، ثم عـــاد بعــد ذلك وتمكن فى الموت ، وقتــل نظام الملك على يد الفدائيين ، ومات السلطان ملكشـــاه بعد نظــام الملك بأربعين يوما ، واختلت أمور المملكة واضطربت أحوالها وظهر الاضطراب والفوضى فى الولايات . وانتهـــازا لتلك الفرصة قوى أمر الحسن بن الصباح فكان يلجأ اليه كل من أصابه خوف . فانتهز الرئيس أبو الفضل المذكور فرصة وذهب الى الموت،وانخرط فى زمرته . وذات يوم اتجه الحسن اليه وقال : « لا نعرف على وجـــه التحقيق من منا كان مصابا بالمـــاليخوليا أنا أم أنت ؟ لقد رأيت أنى عندما وجـــدت رفيقين لمعاونتى وفيت بقولى وبرهنت على دعواى » . فوقـــع الرئيس أبو الفضل ساجدا عند أقدامه وطلب المغفرة .

---

(١) جامع التواريخ ٧٥ = ص ١١٣ ط طهران « الى مصر » ، وهذا خطأ فاحش ، فالواضح أن الجوينى قال فى بداية هذه الحكاية : « ولمـــا عاد الحسن بن الصباح من مصر توجه الى أصفهان » ، فلا بد أن تكون هذه الواقعة قد حدثت اذن بعد عودته من مصر وليس قبل عودته .

وبعد ( ١ ) نظام الملك بفتــرة طعنوااثنين من أولاده بالخنجر على دفعتين . فأما أولهما المسمى أحمد ( ٢ ) فقد أصيب بالشلل فى بغداد ، (٢٠٧) كما طعنوا فخر الملك ( ٣ ) بالخنجر فى نيسابور . ثم أنه أخذ بعد ذلك فى قتل الأمراء والقواد والمشاهير الواحد تلو الآخر بحيلة الفداوية ، فكان يتخلص من كل من يتعصب معه بهذه الحيلة ، ويطول بنا المقام لو ذكرنا أسماءهم ( ٤ ) . ومن أجل هذا ابتلى القريب والبعيد من أصحاب الأطراف بحبهم وبغضهم فكانوا واقعين فى ورطة الهلاك ، أما المحبون فكان ينطبق عليهم حكم « خسر الدنيا والآخرة » لمـــا كان سلاطين الاســـلام يقومون به من قهرهم واستئصالهم ، وأما المبغضون فكانوا يلوذون بقفص التحفظ والحيطة لمـــا كان يتميز به من مكر وحيلة فقتل منهم الكثيرون .

ولمـــا دب النزاع بين بركيارغ وأخيـــه محمد ، ولـــدى الســـلطان ملكشـــاه ، وظهر الاضطراب والخلل فى المملكة اتفق الرئيس المظفر الذى

---

(١) فى جامع التواريخ ٧٥ = ص ١١٣ ط طهران : وقبل واقعة نظام الملك ، وذلك خطأ فاحش .

(٢) يعنى أبا نصر أحمد بن نظام الملك الذى كان ملقبا بلقب أبيه نظام الملك ، وقد عين من سنة ٥٠٠ — ٥٠٤ وزيرا للسلطان المسترشد بالله ، وتوفى فى بغداد سنة ٥٤٤ ، وقد وقعت حادثة طعنه بالخنجر على يـــد الباطنية فى ســـنة ٥٠٣ فى جامع بغداد ، انظـــر ابن الأثير فى حوادث ســـنوات ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٤٤ ، وتاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٩٦ — ١٠٢ ويكتب لقبه ضياء الملك ، وراحة الصدور ص ١٥٢ ، ١٦٢ — ١٦٥ .

(٣) يعنى فخر الملك أبا الفتح المظفر بن نظـــام الملك ، اختاره تتش أرسلان وزيرا له فى سنة ٤٨٧ . ثم عمل وزيرا فى السنة التالية لبرقيارق بعد قتل تتش ، ونال وزارة السلطان سنجر فى حدود ٤٩٠ وبقى فيهـــا عشر سنوات الى أن توفى . وقد قتل بيد الباطنية فى نيسابور سنة ٥٠٠ ؛ انظر ابن الأثير فى حوادث سنوات ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، وتاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٨٦ ، ٢٦٥ ، وراحـــة الصدور ص ١٣٩ ، ١٤٣ .

(٤) المترجم : نجد أســـماءهم فى جـــامع التواريخ القسم الخاص بالاسماعيلية طبع طهران ص ١٣٤ — ١٣٧ .

كان حاكم دامغــان مــع منوبــه الأمير داد حبشى ( ١ ) . على أن يطلب قلعة كردكوه من الســلطان بركيارق ، ( ٢٠٨ ) فقرن الســلطان ملتمسه بالاجابة . فذهب الرئيس المظفر بوصفه نائبا عن حبشى الى قلعة كردكوه وانفق فى عمارتها واستحكاماتها أموالا طائلة . ونقل كافــة خزائن منوبه اليها . فلما استظهر بالذخائر ، والخزائن أظهر سر معتقده بقبول الدعوة لصــاحب البدعة والتزام طريقة الكفر والالحــاد وأقام فى القلعة أربعين سنة من قبل الحسن بن الصــباح حتى نهاية عمره ، وحفر بئرا فى فصيل كردكوه فى الحجر الصلب وتعمق ثلاثمائة ذراع فلما لم يصــل الى المــاء ترك الحفر . وبعــد وفاته بسنوات وقــع زلزال فتفجرت عين فى البئر .

مجمل القول أن أمر الحسن ودعوته قــد ارتفعتا بمعاضــدة الرئيس المظفر الــذى كان ســدا منيعا وشرا بليغــا . وكان المقيمون فى قلعة لمسر ( ٢ ) ، وهى تقــع أيضا فى رودبار بألموت ، يرفضون دعوته فأرسل أحــد رفاقه المسمى كيابزرك أميد مع جماعة من الملاحــدة فتسلق القلعة خفية فى ليلة الأربعاء العشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ( ٣ ) وأربعمائة ( ٢٠٩ ) وقتل ساكنيها ، وأقام بزرك أميد عشرين عاما فى تلك القلعة ولم يكن ينزل منها الا عندما يستدعيه الحسن .

وكان للحسن بن الصــباح ولدان ، أحدهما يقال له الأستاذ حسين ،

---

(١) الأمير داد حبشى بن التونتاق من أمراء السلاجقة المعروفين وكان واليا على خراسان وقتل فى سنة ٤٩٣ فى الحرب التى نشبت بينهم وبين سنجر ( انظر ج ٢ ص ٢، ٣ ، ج ٣ ص ١٩٥ ) .

(٢) المترجم : زارت الآنسة فرياستارك اطلال لمسر فى سنة ١٩٣١م ، ووصفت مشاهداتها فى تلك المنطقة فى فصل كتبته بعنوان «قلعة الحشاشين فى لمسر » ، وهو الفصل الرابع من كتابها
The Valleys of the Assassins.

(٣) جامع نسخة باريس وورقة ٧٦ : وثمانين ، = طبع طهران ص ١١٥ : تسع وثمانين .

وكان فى قلعة الموت علوى يقال له زيد بن حسنى ، وقد كان يدعو لنفسه سرا ، وكان قد أوشك على أن يضع نهاية لأمر الحسن بن الصباح . وفى بداية الأمر قتل حسين القاينى (١) الذى كان داعى قهستان بيد حسين (٢) الدنباوندى . فاتهم الأستاذ حسين بن الصباح بدم حسين القاينى ، فأمر الحسن بقتل ابنه وأحمد (٣) (٢١٠) الدنباوندى . وبعد مضى عام وقف على حقيقة الأمر فقتل العلوى بابنه الذى قتل .

ولما كان الحسن بن الصباح قد وضع أساس العمل والناموس على الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٤) ، فلم يشرب أحد فى ملكه الخمر جهارا أو يصبها فى جرة طوال خمسة وثلاثين عاما (٥) أقامها فى الموت . وقد وصل به الأمر الى أنه طرد من القلعة رجلا كان يضرب على الناى فلم يعد اليها مرة ثانية . وكان ابنه الآخر واسمه محمد قد اتهم بشرب الخمر فأمر بقتله . وكان من عادته أن يشير الى أنه ازاء قتل ولديه الاثنين لن يتصور أحد بعد وفاته أنه كان يقوم بالدعوة من أجلهما وأن ذلك كان هدفه .

وعلى منوال هذا الناموس حدث ذات مرة أنه أرسل فى وقت

---

(١) حسين القاينى من دعاة الحسن بن الصباح المعروفين ،

(٢) يبدو من سياق العبارة بعد ثلاثة أسطر أخرى أن «أحمد الدنباوندى» ينبغى أن يكون فى مكان «حسين الدنباوندى» ويظهر أن هذا هو الصواب. وربما كان النساخ ، أو المصنف نفسه ، نظرا لكثرة تكرار أسماء الحسن وحسين وحسنى وقد وردت هذه الأسماء عدة مرات على التوالى فى هذه الأسطر الثلاثة ، قد أبدلوا « أحمد » بـ « حسين » دون قصد .

(٣) الحاشية السابقة .

(٤) ليس «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» كالمصطلح المستعمل اليوم .

(٥) جامع التواريخ ٨٢ : ثمانية وثمانين = ص ١٢٤ ط طهران : ثمانية وثلاثين .

الحصـــار ( ١ ) امرأته مع ابنتيه ( ٢١١ ) الى كردكوه وكتب الى الرئيس المظفر : « اذا قــام هؤلاء النسوة بالعمل على المغزل من أجــل الدعوة ، فأعطهن أجر حاجتهن » . ومنذ ذلك الوقت لم يكن حكامهم ( ٢ ) يحتفظون بنســـائهم الى جانبهم أثناء تأديتهم لوظيفتهم .

ولـــا تمادى الاستيلاء الصباحى واستفحل ، جمع السلطان محمد بن ملكشـــاه الجيوش لاستئصـــالهم وأرســل على رأسها نظام الملك أحمد بن نظام الملك ( ٣ ) . فطوق ألموت وأستاوند ( ٤ ) القريبة منها على شاطىء انديـــج ( ٥ ) ، ونشـــب بينهم القتـــال فترة من الوقت ، وأتلفوا غلتهم . فلما ( ٢١٢ ) عجز عن انجاز مهمته خرج الجيش من رودبار . وعم قلاعهم غــلاء عظيم حتى اقتــاتوا بالعشب ، وقــد أدى ذلك بهم الى أن دفعوا بنســـائهم وأبنائهم الى كل صوب ، كذلك أرسل هو الآخر امرأته وابنتيه الى كردكوه . وكان الجيش يهاجم رودبار المرة تلو المرة طيلة ثمانى سنوات

---

(١) يعنى محاصرة ألموت التى استمرت ثمانى سنوات وقام بها جنود السلطان محمد بن ملكشاه كما سيصرح المصنف فى الصفحتين التاليتين .

(٢) المترجم : ترجمنا كلمة « محتشم » ، وكان يعبر بها عن الرئيس المحلى فى دولة الاسماعيلية فى ايران ، الى : حاكم ( انظر كتاب « المغول فى التاريخ » للأستاذ الدكتور فؤاد الصياد ص ١٤٦ ) .

(٣) انظر ص ٢٠٦ ح ٣ ومايقابلها من الترجمة العربية .

(٤) لم أعثر فى كتب التواريخ أو كتب المسالك والممالك القديمـــة أو الكتب الجغرافية الجديدة على أية اشارة لاستاوند ، ولـــا كان المصنف يشير صراحة الى أن هذا الموضع كان قريبا من ألموت فى حدود دماوند وهو اتفاقا من قلاع الباطنية كما أنه حوصر وفتح فى حدود السنوات نفسها فانه يحتمل اذن أن يكون استناوند ( انظر معجم البلدان فى عنوان «استوناوند» ، وابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٤ ج ١٠ : ١٣٢ ، وتاريخ ابن اسفنديار ترجمة براون ص ٤ ، ٢٣١ ، ٢٤٣ = طبعة اقبال ج ١ ص ٦ ) .

(٥) المقصود هو نهر اندج بفتح الألف وسكون نون وكسر دال مهملة وفى الآخر ج وهو أحد فروع نهر ألموت ومازال هذا الاسم يعنى « أندج رود » يطلق عليه حتى الآن ، واسم ناحية اند جرود الذى مر فى ص ١٩٢ مأخوذ من اسم هذا النهر . أما نهر ألموت فالمعروف أنه عبارة عن الفرع الشمالى من فرعين الكبيرين لنهر شاهرود . وفرعه الجنوبى هو نهر الطالقان .

متصلة فيتلف الغلال ، وكان الجانبان منشغلين بالقتال . فلما عرف ( السلطان محمد ) انه لم يعد لدى الحسن ورجاله قوتا ولا قوة ، أمر الأتابك نوشتكين شيركير ( ١ ) على الجيوش فى أول سنة احدى عشر (ه) وخمسمائة وأمره بأن يحاصر القلاع من الآن فصاعدا . وفى أول شهر صفر حاصروا لمسر ، وفى الحادى عشر من ربيع حاصروا ألموت . وأقاموا المجانيق واشتدت الحرب بين الفريقين حتى ذى الحجة من السنة نفسها ، ولما أن أوشكوا على الاستيلاء على القلاع وتخليص الخلق من فتنهم ، وصل الخبر بوفاة السلطان محمد بن ملكشاه فى اصفهان . فتفرقت الجيوش ، وظل الملاحدة أحياء ، وسحبوا الذخائر وآلات الحرب والأسلحة التى كان الجيش قد جمعها الى داخل القلاع .

لما ( ٢ ) كان لكل حظ غاية ولكل أمر نهاية قدر الحق تعالى بكمال علمه وقدرته حدها ووقتها ( ٢١٣ ) فى أزل الآزال ، والى أن تحين تلك الساعة لن يتسنى لشىء أن يتم بأى حال من الأحوال حتى لو استعملت القوة الوفيرة والآلة والعدة ، والدليل على ذلك أن فتح هذه القلاع واستئصال هذه البقاع كان منوطا بظهور دولة سلطان العالم منكوقاآن وكان منضبطا بقوة وشوكة وحركة أخيه سلطان الدنيا هولاكو ، الذى قلب فى الحقيقة كافة أماكنهم ورباعهم أصلا ورأسا فى أسبوع واحد ، فكان جديرا بأن ينطبق عليه حكم « وجعلنا عاليها سافلها » مما سيأتى شرحه عقب ذلك . فلم ( ٢ ) تكن مخاصمة ( ٣ ) ابن أخى السلطان

---

(١) الأمير نوشتكين المعروف بشيركير كان من أمراء السلاجقة المشهورين وقد قتل فى سنة ٥٢٥ بأمر أبى القاسم ناصر بن على الدركزينى الانسابادى وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ( ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٢٥ ، ج ١٠ : ٢٨٥ ) .

(٢) جواب ( لما ) هو : « فلم تكن مخاصمة ابن أخى السلطان سنجر ... الخ » .

(٣) والمقصود بمخاصمة السلطان سنجر الخلاف والنزاع الذى دب بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وعمه السلطان سنجر بعد وفاة أبيه ، كما ترد مفصلة فى كتب التاريخ .

سنجر لتوجد مجالا لتدارك أمر الملاحدة فاستعادوا قوتهم مرة أخرى ، فلما استقر الملك للسلطان سنجر بدأ بأرسال الجند الى قهستان لتدارك أمرهم . فاستمرت المخاصمة التامة عدة سنوات ، وكان الحسن بن الصباح يرسل الرسل لتحرى (١) الصلح ولكنه لم يكن يجاب الى طلبه فخدع الحسن بن الصباح جماعة من خواص السلطان بأنواع المصائب (٢١٤) فكانوا يحفظون غيبه أمام السلطان ، وخدع أحد الخدم بمال خطير وأرسل خنجرا غرسوه فى الأرض أمام سرير السلطان فى ليلة كان السلطان قد نام فيها ثملا ، فلما استيقظ ورأى السكين ساوره القلق ، ونظرا لأن التهمة لم تثبت على أحد أشار بأن يظل الأمر سرا ، فأرسل الحسن بن الصباح رسولا وأعطاه رسالة مضمونها : « لو لم تكن ارادة الخير بالسلطان قائمة لكان اجدر بذلك الخنجر الذى غرس فى الأرض الصلبة أن يغرس فى صدر السلطان اللين » . فخاف السلطان ، ومال لمصالحتهم لهذا السبب . قصارى القول أن السلطان كف عن مهاجمتهم بسبب هذا التمويه فارتقى أمرهم فى عهده . وسمح لهم بادرار قدره ثلاثة آلاف دينار من خراج أملاكهم فى ناحية قومش كما عينهم للحراسة ولجباية قدر ضئيل من المال من ابناء السبيل أسفل كردكوه ، ومازالت هذه العادة باقية حتى الآن . ولقد رأيت مجموعة من المنشورات السنجرية لاستمالتهم وتملقهم كانت قد ظلت محفوظة فى مكتبتهم ومنها استطعت أن أستدل على وفور اغضاء السلطان واغماضه (٢١٥) ونشدانه للسلام معهم . خلاصة القول أنهم نعموا فى عهده بالراحة والرفاهية .

وفى أيام السلطان أيضا مرض الحسن ، فى شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وخمسمائة ، وأرسل رجلا الى لمسر يستدعى بزرك أميد ،

---

(١) « والتحرى القصد والاجتهاد فى الطلب وقوله تعالى أولئك تحروا رشدا أى توخوا وعمدوا » ( لسان ) .

وعينه مكانه ، وجعل على ميمنتــه دهدار بو على الأردستانى وخصــه بديوان الدعوة ، وجعل الحسن بن آدم القصرانى على ميسرته ، كما جعل كيابا جعفر ، الذى كان صــاحب الجيش ، أمامه ، وأوصى بأن يتم تدبير الأمور باتفاق الأربعة جميعا واستصوابهم الى أن يأتى الامام الى ملكه .
وسارع الحسن ليلة الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ثمانى عشر (ة) وخمسمائة الى نار الله وسقره .

ومنذ ذلك اليوم الذى صعد فيه الحسن بن الصباح الى القلعة ، كما سبق أن ذكرنا ، الى أن توفى ، بعــد خمســة وثلاثين عاما ، لم ينزل من القلعة مرة واحــدة ولم يخرج من القصر الذى كان يقيم فيه سوى مرتين وصعد الى سطح ( ٢١٦ ) القصر مرتين اذا أنه اعتكف باقى أوقاته داخل القصر ، يطالع الكتب ، ويشتغل بتقرير كلام بدعته وتدبير أمور المملكة .
ويؤثر عن الصــابى أنه عندما كان يؤلف تاريخ التاجى قال لصديق سأله عما يشغله : « أكاذيب الفقهــا وأباطيل أنمقهــا ، ( ١ ) حــديث خرافــة يا أم عمرو ( ٢ ) » .

لمــا جلس بزرك أميد هو ورفاقــه الآخرون استمر فى انتهاج نفس

---

(١) انظر ابن خلكان فى ترجمة الصابى ( ابراهيم بن هلال ) ، وقد نقل ابن خلكان هذه العبارة بعكس ترتيبها هنا : أباطيل أنمقها وأكاذيب الفقها .

(٢) مصراع بيت لعبد الله بن الزبعرى الشاعر المشهور الذى عاصر الرسول ( صلعم ) ، وصدره : حياة ثم موت ثم نشر ، ذكره الثعالبى فى ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب (طبع مصر ، ص ١٠٢) ، وانظر مجمع الأمثال للميدانى فى باب الحاء المهملة لمعرفة أصل « حديث خرافة » ، وانظر أيضا شرح مقامات الحريرى للشريشى ( ج ١ ص ٨٢ ) وبه تفصيل ممتع للغاية فيما يتعلق بأصل هذا الحديث .

المنهج وسلوك ذات المسلك الصباحى طيلة عشرين عامـــا ( ١ ) ، وأخذ يحكم البنـــاء ( على شفا جرف هـــار ) . ولمـــا كـــانت دولة الســـلطان سنجر لا زالت قائمة فلم يكن هناك أحـــد يجـــد فى اقـــلاع ( ٢ ) قلاعهم وهـــدم بقاعهم .

وفى تلك الفترة جرت منافرة بين أمير المؤمنين المسترشـــد بالله وبين الســـلطان مسعود السلجوقى ، الذى كان حاكما للعراق وآذربيجان نيابة عن عمه الســـلطان سنجر وسبب ذلك أنهم كانوا فى تلك الأيام فى بغداد يذكرون اسم الســلطان الغائب فى الخطبة بعـــد اسم الخليفة ، وفقا لمـــا كان يجرى عليه الحـــال فى عصر آل بويه ، ولكن الســـلطان مســـعود لم يكن يذكر على المنـــابر ، فاستقر فى خاطره العزم على مهاجمة بغـــداد . فأراد المسترشد بالله أمير المؤمنين أن يبادر هو فيسبقه على رأس **( ٢١٨ )** جيش كثيف ، فلما وصـــل بالقرب من همدان تقـــدم الســـلطان مسعود

---

(١) رغم وجود كلمة « عشرين عاما » فى أغلب النسخ الخطية القديمة لجهانكشـاى ، وكذلك فى جامع التواريخ ٨٩ = ص ١٣٧ ط طهران فان هذه الكلمة على وجـــه القطـــع واليقين ودون أدنى شبهة ، غلط فاحش وخطأ بين لأن مدة سلطنة بزرك أميد باتفاق المؤرخين ومن بينهم المؤلف كانت أربعة عشر عاما وليست عشرين ، ذلك لأن وفاة الحسن بن الصباح وقعت فى ٦ ربيع الآخر سنة ٥١٨ كما ذكر المصنف فى السطور القليلة السابقة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد صرح المصنف فى ص ٢٢١ بأن وفاة بزرك أميد كانت فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ٥٣٢ ، ومن الواضح أن الفترة بين هذين التاريخين تبلغ أربعة عشر عاما وشهرين وعشرين يوما وليست عشرين عاما ، وفضلا عن هذا الاستنباط فان تاريخ كزيده ص ٥٢١ وحبيب السير الجزء الرابع من المجلد الثانى ص ٦٢ يحددان مدة حكم بزرك أميد بصراحة ووضوح بأربعة عشر عاما وشهرين وعشرين يوما ، فليس خطأ كلمة ( عشرين عاما ) موضعا للشك والشبهة أصلا ، وربما كان هذا الخطأ موجودا فى المصدر الاسماعيلى المشترك الذى استفاد به كل من الجوينى ورشيد الدين وليس من النساخ المتأخرين .

(٢) اقلاع من باب افعال بمعنى الاستئصال ، لم يتفق لنا العثور عليها فى كتب اللغة المعتمدة وقد جاءت فقط بهذا المعنى كل من : قلع ، مجردة ، واقتلاع كافتعال ، وتقليع كتفعيل .

بجيشه من الناحية المقابلة ، فغدر جماعة من جيش بغداد وانضموا الى جيش السلطان ، وأسر وزيره وكافة أركان دولته . فأمر السلطان مسعود جنده بألا يؤذوا مخلوقا قط من جيشه وأن يقنعوا بالمال والغارة . ولم يهلك من الجانبين فى هذه المعركة سوى خمسة أنفس .

وقد حبس السلطان مسعود أركان دولة الخليفة بأسرهم فى القلعة ولكنه التزم حرمة أمير المؤمنين فسار فى صحبته الى مراغة وأرسل رجلا الى عمه السلطان سنجر ينهى اليه ما حدث . وقد اتفق أن وقعت فى تلك الأيام زلازل متواترة وصواعق مترادفة ، فأوقعت الرياح العاصفة الدنيا فى الاضطراب ، فنسب كافة الخلق ذلك الى وقوع هذا الحادث فأرسل السلطان سنجر وكتب خطابا الى السلطان مسعود مضمونه ما يلى : يتعين على ابن غياث الدين مسعود حالما يطلع على هذا المنشور أن يتوجه لخدمة أمير المؤمنين وبعد تقبيل تراب بلاط (٢١٩) حامى العالم يلتمس الصفح الجميل من الجرائم والأثقال (١) التى كانت سببا للخذلان وأن يستغفر من بادرات الزلل ، وأن يعلم أننى أعرف أن وقوع هذه الحادثة هو السبب فى حدوث مختلف الصواعق وهبوب رياح العواصف التى لم يشاهدها أحد قط فى هذا العصر ، والتى استمرت عشرين يوما حتى الآن ولذا كنت أخشى أن يضطرب الجند والخلق من جراء هذا الاختلال ، وليعلم ، والله ، أن تلافى هذا الأمر واجب ، وليعد ذلك فرضا عينا .

ويمكن الاستدلال بما حدث على ما كان عليه السلطان سنجر من خشية الله ونقاء العقيدة .

---

(١) « والأثقال الذنوب وقوله تعالى ( وليحملن اثقالهم مع أثقالهم ) أى آثامهم » ( تاج العروس ) .

ولقد توجه السلطان مسعود ممتثلا للأمر الى حضرة أمير المؤمنين وبعد تقديم الاعتذار والتزام الاستغفار والاقرار بالآثام والأوزار التمس العفو . وقد حمل السلطان مسعود غاشية أمير المؤمنين تبركا وتيمنا وسار راجلا أمام حصانه الى خيمته التى كان قد أقامها له . فلما استقر أمير المؤمنين على العرش انتصب السلطان واقفا على قدميه فى موضع الحجاب ومقام النواب .

وأرسل السلطان سنجر مرة أخرى رسولا ( لابلاغهم ) أنه اذا كان أمير المؤمنين يفكر الآن فى التوجه الى دار السلام فلا بد أن يتخذ فى هذا الصدد الاستعداد والترتيب اللائق بحضرته . ولاعلان هذا الأمر أرسل السلطان سنجر أحد المعتمدين ( ١ ) من بين كبار المقربين اليه برسالة الى السلطان مسعود . ( ٢٢٠ ) فركب السلطان لاستقبال الرسول ، فانتهز جماعة من ملاعين الفداوية والملاحدة فرصة خلو البلاط من الجند والحراس فدخلوا فجأة على أمير المؤمنين وطعنوه بالخناجر فى السابع عشر من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة فجزع السلطان مسعود جزعا شديدا ، وأقام عزاء عظيما يليق بالجانبين ، ودفن أمير المؤمنين فى داخل مراغه ( ٢ ) .

وكان جماعة من قصار النظر وسيئى الطوية بالنسبة للدولة للدولة السنجرية ينسبون هذا الحادث الى حضرة السلطان سنجر ( ٣ ) ،

---

(١) يطلق عليه كل من العماد الكاتب ( ص ١٧٧ = ص ١٦٢ ط مصر ) وابن الأثير ( ١١ : ١٢ ) : يرنقش قرآن خوان .

(٢) « وبقى حتى دفنه أهل مراغة » ( ابن الأثير ١١ : ١٢ ) .

(٣) من بين الأشخاص الذين يعرفون أن المسترشد قتل بتحريض من السلطان سنجر العماد الكاتب فى تاريخ السلجوقية ص ١٧٨ = ص ١٦٢ ط مصر : « فعرف بقرائن الأحوال أن سنجر سير الباطنية لقتله وما أشنع وما أفظع ما أقدم عليه من فعله » .

ولكن كذب المنجمون ورب الكعبة فحسن طوية السلطان سنجر ونقاء سريرته فى اتباع الدين الحنيف والشريعة وتقويتهما ، وتعظيمه لكل ما يتعلق بدار الخلافة ، الى جانب شفقته ورأفتــه ( ٢٢١ ) كل ذلك واضح بحيث لا يمكن أن ينسب الى حضرته أمثال هذا البهتان وأشكال هذا التزوير ، فقــد كان منبــع الصفح ومنشأ الرأفة . مجمل القول والكلام يجر بعضه بعضا ، أنا وصلنا الى ما نريد أن نقول ، فقد ظل بزرك أميد جالسا على رأس الضلال فى دست ( ١ ) الجهل حتى الســادس والعشرين من جمادى الأول ( صــح : الأولى ) من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، حيث سحق تحت أقدام الهلاك واشتدت لهيب الجحيم من خطب جثته .

أما ابنه محمد ، الذى كان قد جعله وليــا لعهده قبــل وفاته بثلاثة أيام ، فقــد شايع ( ٢ ) سنته بحكم ( انا وجــدنا آباءنا على أمــة ) ، فكما كانت خاتمة أبيــه الوخيمة هى قتــل المسترشد بالله كانت فاتحته الذميمة قتل ابن المسترشد الراشد بالله ، وسبب ذلك ما يلى :

لــا جلس الراشد للخلافة مال البعض لخلعه بينما تمسكت طائفة بقرارها فى مبايعته . وبعد أن اشتبك مع السلطان مسعود فى عدة مواقع فاستقر عزمــه على الســير من بغــداد لقصد الملاحدة والثأر لدم أبيه . فأصيب بمرض فى الطريق ووصل الى اصفهان وهو لا يزال على حالتــه من الوهن . فدخــل عليــه فى بلاطة جماعــة من مخــاذيل الفــداوية فجأة وطعنوه بالخناجر ( ٣ ) ، وقد دفن هو أيضا حيث قتل . ومنذ ذلك الوقت عاد الخلفاء العباسيون الى الاختفاء واحتجبوا عن الخلق .

---

(١) يعنى فى مسند أو عرش .
(٢) شايعه : قواه وتابعه .
(٣) فى ٢٥ أو ٢٦ رمضان سنة ٥٣٢ ( ابن الأثير ١١ : ٢٨ ، العماد الكاتب ص ١٨٠ = ص ١٦٢ ط مصر ) .

وكان محمد بن بزرك أميد ، متابعا لمذهب الحسن بن الصباح وأبيه ، يبذل قصارى جهده فى احكام قواعد المذهب ودأب على نهج نهجهم فى اقامة رسوم الاسلام والتزام الشرع ( على النحو ) الذى اظهروه ( ٢٢٢ ) الى أن توفى فى الثالث من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة والحق ( ١ ) بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

## ذكر ولادة الحسن بن محمد بن بزرك أميد

ولد الحسن فى سنة عشرين وخمسمائة . ولما قارب البلوغ استولت عليه الرغبة فى تحصيل وبحث اقاويل مذهب الحسن بن صباح وأسلافه ، فتتبع باتقان كلام الدعوة فى طريقة الصباحى والزاماته وصار بارعا فى تقرير مذهبهم . فلما قام بخلط ذلك النوع من الكلمات بمواعظ المتصوفة وطرفهم ، وصب من تخريجاته الشخصية الغث والسمين فى هذا القالب ، كان يردد على الدوام فى عهد أبيه محمد ، الكلمات الخطابية وأمثالها التى يعجب بها العوام والناقصون من الناس منذ النظرة الأولى التى يسمونها النظرة الخرقاء ( ٢ ) ، كما كان يقول باستحسان تلك الدعوة ، ويزيد من خداع أولئك القوم . ولما كان

---

(١) « والحق » ليست جزءا من الآية .

(٢) لا شك فى أن المصنف يقصد أن يشير الى المثل المعروف « النظرة الأولى حمقاء » ( أى خادعة وقائمة على غير أساس والمقصود من ضرب هذا المثل هو وجوب التروى والتفكر وتجديد النظر فالنظرة الأولى غير كافية لأنها فى الغالب خاطئة واهية ) . وننتهى من هذا الى أن هذا المثل لم يكن بعين العبارة فى ذهن المصنف وأنه نقله من حافظته فبدل حمقاء بخرقاء ، ومعناهما واحد ، انظر فى المثل المذكور ذيل مجمع الأمثال للميدانى (لفريتاغ) ج ٣ ص ٥١٣ نقلا عن المستقصى فى الأمثال للزمخشرى وعن غاية الكمال فى شوارد الأمثال لشرف الدين اسماعيل المعرى .

أبوه عاريا من هذا الفن فقد بدا ابنــه بهذه التلبيسات والتزويقات ( ١ ) عالمـا متفوقا الى جانبه فكان من أجل ذلك يرفع من ضلالة أهــل الجهالة رغبــة فى أن يتــابعه العوام . ( ٢٢٤ ) ونظرا لأنهم لم يكونوا قد سمعوا مثل تلك المقالات من أبيه بدأوا يظنون أنه هو الامــام الذى وعــدهم به الحسن بن الصباح . فاشتدت محبــة الطائفة له وكانوا يســارعون الى متابعتــه .

فلما سمع أبوه ، محمد ، بهذا الحال ووقف على مظان القوم ، وكان متشددا فى التزام مبادىء أبيه والحسن ( ٢ ) فيما يختص بالدعوة للامام واظهار شــعار الاسلام ( ٣ ) ، فاعتبر أن ســلوك ابنه معــارض لتلك المبادىء ، وأنكره عليــه انكارا بليغا ، وجمع النــاس وقــال : « هــذا الحسن ابنى ، وأنا لست الامام ، بل اننى داع من دعاته ، وكل من يعير هذا الكلام أذنا صاغية ويصدقه يعتبر كافرا لا دين له » . وعلى هــذا الأســاس أنزل بالقوم الذين ســلموا بامــامة ابنــه أنواع المطالبــات والعقوبات ، وقتــل مائتين وخمسين نفسا فى القلعة من المتهمين دفعــة واحــدة وربط جثثهم على ظهور مائتين وخمسين من المتهمين بنفس التهمة واخرجهم من القلعة . وبهذه الوسيلة انزجروا وامتنعوا .

ولقد استولى الخوف على الحسن نفسه من تبعــة هــذا واشتدت خشيته من أبيــه . فكتب فصولا فى التبرأ من تلك التهمة والتباعــد عن تلك المقالة ( ٢٢٥ ) وطعن فى الجماعة التى كانت تظن مثل هذه الظنون

---

(١) التزويق معنــاه التزيين والتحسين الظاهرى والتمويه والتلبيس ــ قال فى تاج العروس : « والتزويق والتزيين والتحسين زوقت الشىء اذا زينته وموهته وكلام مزوق أى محسن وقد زوقه تزويقا ويقال هذا كتاب مزور مزوق » انتهى ، أصل الكلمة معناه الطلاء بالزئبق .

(٢) يعنى الحسن بن الصباح .

(٣) يعنى أن محمد بن بزرك أميد كان متشددا ومتصلبا فى اتبــاع طريقــة أبيــه بزرك أميد والحسن بن الصباح والعمل بسيرتهما فى الدعوة للامــام والتقيد بمتــابعة شريعة الاسلام .

ولعنهم ، وبذل قصارى جهده فى ابطال هذه الأقوال وتثبيت مذهب أبيه وتوطيده والف الرسائل التى مازالت الفاظها مشهورة حتى الآن بين تلك الطوائف .

وكان الحسن قد اعتاد شرب الخمر خفية فتتناهى الى سمع أبيه اشارة عن هذا الحال فبذل غاية جهده فى استكشاف حقيقة الأمر . الا أن الحسن أخذ يدبر لطائف الحيل للتخلص من التهمة حتى تبخر ذلك الظن من ضمير أبيه ولم يعد له اثر .

وكان أتباعهم الكفرة الفاسقون ، الذين أوشكوا على الانسلاخ من شعار الشريعة ، يعتبرون ارتكاب المحظور وشرب الخمور علامة على ظهور **الامام الموعود** . **فلما قام مقام أبيه بدأ أشياعه** وأتباعه بزيادة توقيره بحكم اعتقادهم فيه ، اذ كانوا يظنون أنه الامام . فلما تفرد واستبد(١) لم يعاتب القوم على اطلاق ذلك الهذيان ولم يعاقبهم ، بل انه بدأ ، منذ اللحظة الأولى لجلوسه فى مكان أبيه ، يجيز مسخ ونسخ الرسوم الشرعية والقواعد الاسلامية التى ظلوا يلتزمون بها منذ عهد الحسن بن الصباح ، وكان يتناولها بالتغيير ، ( ٢٢٦ ) وفى رمضان سنة تسع وخمسين أمر باقامة منبر فى ساحة ميدان اسفل الموت بحيث تكون قبلته فى الوجهة المغايرة لقبلة أهل الاسلام . فلما أن كان السابع عشر من رمضان أمر اهالى ولايته ، الذين كان قد استدعاهم الى الموت فى ذلك الحين ، بأن يجتمعوا فى ذلك الميدان . ونصب أربعة أعلام كبار الحجم ذات أربعة الوان هى : الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر ، كانوا قد أعدوا لهذا الغرض ، على أركان المنبر الأربعة . ثم اعتلى المنبر

---

(١) المترجم : تفرد واستبد كلاهما بمعنى واحد ( انظر القاموس المحيط ) .

وأظهر لأولئك المتجبرين الأشقياء ، الذين كانوا يتوجهون بتأثير غوايته واضلاله نحو الشقاء والخسران ، أن رجلا قدم اليه فى الخفاء من لدن المقتدى المذموم ، أعنى الامام الموهوم الذى كان مفقودا ليس له وجود ، واحضر على حد تعبيرهم ، خطبة وسجلا (١) تمهيدا لقاعدة معتقدهم الفاسد . ثم القى وهو معتل المنبر المنحرف ، حديثا فى قضية مذهبهم الباطل المعتسف . وقال أن أمامهم قد فتح باب رحمته وأبواب رأفته على المسلمين وعليهم كذلك وأرسل اليهم الترحم ، ودعى أتباعه الخاصين المختارين ورفع عنهم آصار (٢) الشريعة وأوزارها ورسومها **(٢٢٧)** وأوصلهم الى القيادة . وعندئذ قرأ خطبة باللغة العربية ، كانت جميع معانيها كذبا وزورا وتلفيق خرافات كما كان اغلب الفاظها غلطا وسقطا وخطأ فاحشا وعباراتها مشوشة ، (قرأها) على أنها كلام امامهم المجهول المعدوم .

وأوقف واحدا من جهال ضلال أتباعه الأراذل كان عارفا بالعربية (٣) على احدى درجات المنبر ليترجم للحاضرين باللغة الفارسية تلك الترهات المردودة والألفاظ غير المحدودة ويقررها لهم . وكان مضمون خطبته : « الحسن بن محمد بزرك أميد هو خليفتنا وحجتنا وداعينا ، على شيعتنا أن يطيعوه ويتابعوه فى أمور الدين والدنيا . وأن يعتبروا حكمه محكما ويدركوا أن قوله هو قولنا ، ويعرفوا أن مولانا ( فاها بفهيم ) (٤) قد نشر رحمته عليهم ، ودعاهم الى رحمته وأوصلهم الى الله » .

---

(١) سيتكرر اصطلاح «الخطبة والسجل» فى نفس الفصل بعد ذلك .

(٢) « والأصر العهد الثقيل وفى التنزيل ( ويضع عنهم اصرهم ) والاصر الذنب والثقل وجمعه آصار » ( لسان ) .

(٣) المترجم : كان هذا هو الفقيه محمد البستى . انظر ايفانوف ( كلام بيز ) ص **١١٧** .

(٤) جملة دعائية ، قال فى اللسان : « ومن أمثالهم فى باب الدعاء على الرجل فاها لفيك تريد فا الداهية قال سيبويه فاها لفيك غير منون انما يريد فا الداهية وقيل معناه الخيبة لك وأصله انه يريد جعل الله بفيك الأرض كما يقال بفيك وحكى فاها بفيك منونة أى ألصق الله فاك بالأرض » انتهى باختصار .

وعلى هذا المنوال قرأ زخارف الزور ، ولطائف الغرور ، والفضائح المخرقة ( ١ ) ، وقبائح الزندقة ، المجهولة فى الشرع المرفوضة للعقل .

( ٢٢٨ ) وبعد الانتهاء من الانشاد البارد ، والايراد غير الوارد ، نزل من على المنبر وصلى ركعتى العيد ، فأعد خوان ودعى القوم للافطار ، ففعلوا ، بينما كان أصحاب الملاهى وأسباب المناهى يحيطون بهم اظهارا للطرب والابتهاج على رسم الأعياد . وقال : « اليوم عيد » ( ٢ ) . ومنذ ذلك الحين والملاحدة ، على الباقين منهم ما يستحقون ، يطلقون على اليوم السابع عشر من رمضان اسم ( عيد القيام ) ، وفى ذلك اليوم كان أغلبهم يشرب الخمر بشره ويتظاهر باللهو والطرب ، فقد كان أكثر هؤلاء المجهولين المخذولين يريدون بذلك التهتك والافتضاح مضايقة المسلمين الذين ابتلوا بالاقامة بينهم ومعاندتهم .

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام ( ٣ )

كذلك أظهر الحسن قبيح السيرة ، اذ كان مضل البصيرة ، فى أثناء الفصل والخطبة ( ٤ ) المذكورة ، أنه حجة وداع من قبل الامام . يعنى

---

(١) مخرقة بفتح ميم وسكون خاء معجمة بمعنى الكذب والحيلة والخداع وخفة اليد قال فى تاج العروس : « المخرقة اظهار الخرق توصلا الى حيلة وقد مخرق والمخرق المموه وهو مستعار من مخاريق الصبيان » يقول الثعالبى فى ثمار القلوب ص ٢٠٠ « الشعوذة هى السرعة والخفة وهى مخاريق وخفة فى اليد وتصوير الباطل فى صورة الحق » انظر أيضا طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ١ : ٣٢٠ س ٢١ ، وسياست نامه لنظام الملك ص ٤٨ س ١٩ .

(٢) « اليوم عيد القيامة » جامع التواريخ ١٠٦ ( ص ١٦٥ طبع طهران ) .

(٣) للمتنبى من قصيدة مطلعها :
فؤاد ما يسليه المدام ... وعيش مثل ما تهب اللئام

(٤) سيتكرر فيما يلى ذكر تعبير « الفصل والخطبة » .

هو القائم مقامه ونائبه المنفرد ، وهو فى نفس الوقت ابن محمد بن بزرك أميد ، لأنه كان يكتب على أبواب القلاع والحصون ولوحات الجدران وعناوين كتاباته انه « الحسن بن محمد بن بزرك أميد » . وعلى هذا النمط كانت كل أقوال أولئك الجهال الضلال وأفعالهم مخاريق ( ١ ) وتزاويق ( ٢ ) كما يقال فى المثل السائر يسر حسوا فى ارتغاء ( ٣ ) . ثم انه أخذ شيئا فشيئا يؤكد فى الفصول التى كان يكتبها دون استناد الى أصول لتقرير المذهب غير المهذب الذى كان يضطلع بنشره ، أحيانا بالتعريض وأحيانا بالتصريح ، أنه على الرغم من أنهم اعتبروه فى الظاهر ولد محمد بن بزرك أميد الا أنه فى الحقيقة هو الامام وهو ابن امام من أولاد نزار بن المستنصر .

ولما أرسل الى قهستان ، فى ذلك الوقت ، بالعلامة ( ٤ ) التى ترمز الى دعوته التى يطلقون عليها اسم « دعوة القيامة » ، وأراد اشاعة تلك الشناعة هناك أيضا ، وكان قد ذكر رغبته فى ذلك صراحة . فالذى حدث هو أن حاكم قهستان الذى كان نائبا من قبله فى تلك المملكة ، يسمى الرئيس المظفر ، فأرسل الحسن اليه الخطبة والسجل والفصل ( ٥ ) ، وقد سبق ذكرها ، مع شخص يقال له محمد بن خاقان ليقرأها على القوم هناك . وأعطى ، على لسان ( ٢٣٠ ) ذلك الشخص ، رسالة الى أهالى قهستان ملائمة لمضامين تلك الأكاذيب .

---

(١) انظر حاشية ( ١ ) فى الصفحة السابقة .

(٢) انظر فيما سبق ص ٢١٢ ح ١ .

(٣) الارتغاء شرب الرغوة قال أبو زيد والأصمعى أصله الرجل ينال من اللبن — يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره ( مجمع الأمثال ٢ : ٢٥١ ، ولسان العرب فى رغو ) .

(٤) ولعل المقصود هنا حكاية الأعلام الأربعة ذات الألوان الأربعة : الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر التى سبقت الاشارة اليها فى ص ٢١٣ فيما سبق .

(٥) مر ذكرها فى الصفحات القليلة السابقة .

وفى الثـامن والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وخمسين وخمسمائة أقام الرئيس المظفر فى القلعة التى كانت منشأ كفرهم والحادهم رغم أنهم كانوا يطلقون عليها اسم « مؤمناباد ( ١ ) » منبرا منحرفا عن سمت السداد منصرفا لجهة الفســاد على الوجهة التى كان امامــه المفتضح قــد ولاه أياها فى ألموت . واعتلى المنبر وقرأ الخطبــة والســجل والفصــل ، التى أرسلت اليه ، ثم صعد محمد بن خاقان الى الدرجــة الثانية من المنبر وقرأ رســالة الحسن الشفوية ومضمونها : « أن المستنصر كان قــد أرسل قبل ذلك برســالة الى ألموت مؤداها أن الله تعالى جعل على الدوام بين الناس خليفة ، وجعل لهذا الخليفة خليفة . واليوم أنا خليفة الله وخليفتى الحسن ابن الصــباح فلو أطــاعوا أمر الحسن واتبعوه فقــد أطــاعوا أمرى أنا المستنصر ، واليوم اقول ، أنا الحســن ، اننى خليفــة الله على أرضــه وخليفتى هو هــذا الرئيس المظفر ، فينبغى أن تطيعوا أمــره وتعتبروا كل ما يقوله دينا لكم » .

وفى ذلك اليوم ، لدى تقرير افشاء هذه المخازى وتقرير تلك المساوىء فى مقام الملاحــدة مؤمناباد ، قام حريم ذلك الجمع بضرب الصنج والرباب وشربن الخمر جهارا على درجات المنبر ذاتها .

ولأولئك الجهلة ( ٢٣١ ) المجهولين والبطلة المخذولين روايتــان ، بل غوايتان ، فى كيفية الميلاد والانتســاب الباطل للحسن المطعون ، الذى كان فى الحقيقة وثنا ملعونا ، من امام مفترض ، رغبة فى اثبات أنه من أعقــاب نزار بوجــه منقوض . والمبنى على المحــال محال . فالوجه الأشهر الذى هو معتقد أكثرهم ( يدل على أنهم ) لم يتوقفوا ولم يتخلفوا قط عن اطــلاق ولد الزنا عليه ، ذلك لأنهم اتفقوا جميعا فى القول بأن شخصا من مصر يقال له القاضى أبو الحسن الصعيدى ، كان من اقارب المستنصر وثقاته ، جــاء الى ألموت عند الحسن بن الصباح فى ســنة ثمان وثمانين وأربعمائة أعنى

---

(١) انظر فيما سبق ص ١٩٦ .

بعـد سنة واحـدة ( ١ ) من وفاة المستنصر ومكث بها ستة أشهر ثم عاد فى رجب من نفس السنة الى مصر . وقـد كان الحسن بن الصباح يؤكد ضرورة معاملته بالتعظيم والتوقير كما كان هو نفسـه يبذل جهدا بالغا فى معاملته على هـذا النحو . وكان قـد أحضر الى الموت ، فى زى التخفى ولباس التورية ، حفيدا لنزار الذى كان اماما من جملة أئمتهم ، ولكنه لم يفش هـذا السر ولم يظهره الا للحسن بن الصباح وحـده دون غيره . وقـد أسكنوه قرية أسفل الموت . وبسبب ( ٢٣٢ ) الحكمة الأزلية ، كان يجب ان ينتقل مستقر الامامة من مصر الى ولاية الديلم ، ولأنه كان ينبغى أن تظهر تلك الفضيحة التى يطلقون عليها اسم « دعوة القيامة » فى ألموت ، زنا نفس الشخص ( ٢ ) الذى قـدم من مصر أو ابنه الذى كان قـد ولد داخل حدود ألموت — ولم يطلع الناس على حقيقة أمره — بامرأة محمد بن بزرك أميد ، فحملت تلك المرأة بالحسـن من الامام . فلما اتفق أن وقعت الولادة غير المباركـة فى منزل محمد بن بزرك أميـد ، اعتبر كل من محمد واتباعه أنه ابنه ( ٣ ) بينما كان الحسن اماما ابن امام .

هـذا هو القول المشهور الذى يعتبر متمسك الجمهور وهو الأصـح والأصـلح عندهم ، ( ٢٣٣ ) وهو مبنى على أنواع الخزى والافتضـاح . واول ذلك انهم كانوا يقولون ان الصبى الذى رضوا بامامتـه ابن حرام . ويقول الشـاعر فى ولد الزنا :

---

(١) كانت وفاة المستنصر كما مر فى هوامش ص ١٧٩ ( ومايقابلها من الترجمة) فى١٨ ذى الحجة سنة ٤٨٧ واذاكان القاضى ابوالحسن الصعيدى قد بقى فى الموت ستة أشهر كما يقول المصنف ورجع الى مصر فى رجب ٤٨٨ فلا يكون قدومه الى الموت بعـد وفاة المستنصر بسنة كاملة بل بشهر أو شهرين على الأكثر كما يتضح من الحساب ، اذن فتعبير « سنة واحدة » مسامحة غير عادية .

(٢) يعنى حفيد نزار .

(٣) يعنى محمد بن بزرك أميد .

فمتى تقر العين من ولد الزنا ومتى تطيب شمائل الأوغاد

وأما ثانيا فكيفية نسبه الذى اثبتوه بلا حسب مخالفة للخبر النبوى المصطفوى على قائله الصلاة والسلام : « الولد للفراش وللعاهرة الحجر » ، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان القول ما قالت حذام (١) . وأما ثالثا فان الطامة الكبرى ، وموجب الشقاء ، وخسران العقبى ، أنهم — رغبة فى تصحيح هذا الوجه السقيم — وضعوا حال الأنبياء والمرسلين موضع التشبيه ونسبوا هذا الحال المموه للرسل المنزهين فقالوا هذا الانتساب كانتساب ذبيح الله اسماعيل بن خليل الله ابراهيم صلوات الله عليهما وقد كان فى الحقيقة ابن ملك السلام الذى ورد ذكره فى التوراة بملخيزداق ، كما جاء فى مقدمة هذه الأوراق . ولقد كان اسماعيل ، على زعم هذه الطائفة الضالة ، اماما من جملة ائمتهم ، وكانوا قد اعتبروه فى الظاهر ابن ابراهيم صلوات الله عليه ، فيكون اسماعيل بمقتضى هذه الدعوة اماما عندهم وابراهيم ليس اماما .

أما الوجه الثانى الذى ( ٢٣٤ ) كان معتقد أولاد بزرك أميد واقاربه ، أعنى الخاصة من أهالى منطقة الموت ، فهو أن محمد بن بزرك اميد رزق بولد فى قلعة الموت ، وفى نفس اليوم رزق الامام المجهول ، الذى لم يكن له وجود ، بالحسن من أمه فى القرية التى تقع أسفل الموت . وبعد ثلاثة أيام صعدت امراة قلعة الموت ودخلت قصر محمد بن بزرك أميد . وقد لاحظ عدة أشخاص أنها كانت تضع تحت عباءتها شيئا . وقد جلست حيث وضع طفل محمد بن بزرك أميد لينام ، وبحكم الحكمة الالهية

---

(١) شطر من بيت مشهور للجيم بن صعب أو لوسيم بن طارق ، واصل البيت هكذا :

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

انظر شواهد العينى بهامش خزانة الأدب ٤ : ٣٧٠ ، ولسان العرب فى ح ذ م .

لم يكن هناك فى تلك الســاعة غيرها ، فوضعت الحسن هــذا ، الــذى كان ابن امام ، مكانه وحملت طفل محمد بن بزرك أميد تحت الرداء وذهبت .

وهــذا الوجــه فى حــد ذاته أكثر افتضاحا من الوجه الأول : اذ كيف تدخــل امرأة غريبــة قصر ملك ، ولا يكون حوالى طفل الملك أحــد على الأطلاق فتضع طفلا غريبا مكانه وتحمله دون أن تسترعى انتباه أحد . وبعد ذلك لا يتمكن أحد قط سواء كان أبوه وأمه وحاضنته والخدم والغلمان من التعرف على الاختلاف بين الطفل الغريب وطفلهم . وقــد نشأ هــذا الوجه ذاتــه دون أدنى ريب من جراء مكابرة العقل ، وتكذيب الحس ومعــاندة العرف والعــادة . وبنــاء على تصديق هــذا القول يروون عن محمد بن الحسن هــذا أنه كان قــد قال : « ان حــديث بنوة الحسن بن محمد بن بزرك أميد تشبه بنوة اسماعيل من ابراهيم عليهما السلام . بيد أن التفاوت بينهما لم يتعــد معرفة ابراهيم بأن اسماعيل ابن امام وليس ابنــه ، لأن تبديل الولدين ( ١ ) ( ٢٣٥ ) حــدث بمعرفــة ورضــا ابراهيم عليــه السلام ، ولم يكن ذلك سرا مخفيا عليه . بينما لم يعرف محمد بن بزرك أميد هــذا السر وظن أن الحسن ابنه فى حين أنه كان اماما » .

ولقــد قال أرباب الاعتقاد الأول والرواية المتقدمة أن محمد بن بزرك أميد عرف ، بعــد ولادة الطفل ، أنه ليس ابنه وأن ذلك الشخص الــذى تفترض الطائفة الضــالة امامته قــد ارتكب الفجور والزنا بامرأته فقتله خفية . وبمقتضى هــذا الظن يكون محمد بن بزرك أميد قــد قتل اماما .

ولقــد كنا ذكرنا أنه ( ٢ ) كان قــد ضيق نطــاق التصلب والتشــدد فى التزام رسوم الاسلام ومتابعة أركان الشريعة على مبادىء مذهب الحسن ابن الصباح ، ذلك المذهب الذى كان عين الافتضــاح .

---

(١) المراد بـــ « الولدين » ولد حضرة ابراهيم وولد ملخيزداق سابق الذكر ( ص ٢١٩ فيما سبق ) .

(٢) أى محمد بن بزرك أميد .

فكانوا يعادونـــه ويلعنه أغلبهم ولا يسمحون بزيارة قبره ، الـــذى كان يقـــع بجـــانب قبر الحســـن بن الصـــباح وبزرك أميـــد ودهدار بوعلى الأردستانى . ( ٢٣٦ ) ثم ان الملاحـــدة جميعا ، خذلهم الله ، انقسموا الى فرقتين مرة أخرى فى عـــدد الآباء بين الحسن هـــذا وبين نزار ، فقـــال قوم ينبغى أن يكون بينهما ثلاثـــة آباء ، وهم يدعونهم ( ١ ) بالامامـــة اذ يقولون ان أسماءهم مجهولة بينما كانوا فى الحقيقة كما ورد فى المثل اسما بغير مسمى ، فهؤلاء القوم يعتقدون أنهم : الحسن بن القـــاهر بقوة الله بن المهتدى بن الهادى بن المصطفى نزار بن المستنصر . وقال الآخرون لم يكن بينهما أكثر من أبوين لأن القـــاهر بقوة الله كان لقب الحسن هـــذا ويقولون فى نسبه : الحسن بن المهتدى ( ٢٣٧ ) بن الهادى بن نزار .

وكانت شهرة الحسن هـــذا فى عرف طائفة الملاحدة بعلى ذكره السلام ولقـــد كان أصل اللقب ، حيث طبق فى مبدأ الأمر عليه ، دعاء كانوا يقولونه لبعضهم البعض فى زمانه ثم صـــار بعـــد ذلك لقبا مشهورا له لا يدعونـــه بلقب غيره .

فصـــارى القول أن حاصـــل هـــذا المذهب كان بلا حاصـــل كما كان سر هـــذه الدعوة كله شرا ، ذلك انهم قالوا قول الفلاسفة بقدم العالم وبأن الزمان غير متناه والمعاد روحانى . وقـــد أولوا الجنة والنار وما فيها ( ٢ ) جميعا بهذه الطريقة لكى يؤولوا معانى تلك الوجوه تأويلا روحانيا ، ثم انهم قالوا ، بنـــاء على هـــذا الأســـاس ، ان القيامة أيضـــا هى الوقت الذى يصـــل فيه الخلق الى الله وتظهر بواطن الخلائق وحقائقهم ، وترتفع أعمال الطاعة ، ففى عالم الدنيا يكون الكل عملا ، بينما لا يوجـــد حســـاب ، أما الآخرة فكلها حســـاب ولا يوجـــد عمل . وهـــذه هى الروحانية ، كما أن

---

(١) يعنى أنه لما كانت الأسماء الحقيقية للآباء الثلاثة بين الحسن ونزار مجهولة فقد اضطر الاسماعيلية الى ذكرهم فقط بألقاب امامتهم التى هى عبارة عن القاهر بقوة الله والمهتدى والهادى .

(٢) ليست « فيهما » كما يمكن أن يتوهم .

القيامة الموعودة والمنتظرة فى كافة الملل ( ۲۳۸ ) والمذاهب هى هـذه التى أظهرها الحسن . وكان قـد رفع — على ضوء هـذه القواعد — التكاليف الشرعية عن الناس لأنه ينبغى على الجميع فى دور القيامة هـذا التوجـه الى الله بكل الوجوه وترك رسوم الشرائع وعادات العبادات المؤقتة . ومن المقرر فى الشريعة أنه يجب أن تقام عبادة الله فى اليوم والليلة خمس مرات وتكون لله . ذلك تكليف ظـاهر ، ولكن الآن فى ( عصر ) القيامة ينبغى أن يكون الناس دائما مع الله بقلوبهم وأن تتوجه النفس ذاتها بصفة دائمة الى الحضرة الالهية ، وتلك هى الصـلاة الحقيقية .

وقياسـا على هـذا أولوا كافـة أركان الشريعة ورسوم الاسلام وظنوا التظاهر ( ١ ) بها مرتفعا ، ورفعوا حلالا وحرمة معظم ( التعاليم ) . وكان الحسن قـد قال فى مناسبات عديدة ، اما بالتعريض واما بالتصريح ، أنه كما هو الحـال فى دور الشريعة اذا لم يقم الانسـان بالطاعة والعبادة ولكنه أدى حكم القيامة معتبرا أن الطاعة والعبادة شىء روحانى فانه يؤخذ بالنكال والعقاب ، ويرجم . فان الحـال يكون كذلك بالنسبة لدور القيامة بحيث لو أقام فيه أحـد حكم الشريعة وواظب على العبـادات والرسوم الاسلامية ، كان التنكيل والقتل والرجم والتعذيب أكثر وجوبا بالنسبة اليه . ( كما قرر الشىء الكثير ) على نمط هـذه الخرافات والمزخرفات .

وباتباع هـذا الطريق الـذى هو سبيل الغواية والاغواء والأبطـال والاضلال غرق أولئك المدابير المخاذيل فى بحار الضـلال وتحيروا فى بيداء الحيرة . و « خسر الدنيا والآخرة » فمارسوا الأباحة والتزم غلاتهم ، عن عمـد أو عن جهل ، مذهب الأباحـة ، وأطلق قوم ( والتراب فى أفواههم ) الألوهية على أئمة ضلالهم ، الذين كانوا فى مرتبة أخس من البهائم والسباع والحشرات .

---

(١) يعنى أنهم رفعوا التظاهر برسوم الشريعة الاسلامية وآدابها التى كانت سيرة الحسن بن الصباح وخلفائه .

فلما أجازوا أظهار هـــذه البدعة والالحـــاد نادى جماعة ( ٢٣٩ ) من أهالى تلك الديار ، وكان لديهم من العقل نصيب كما كان قـــد بقى شعاع من البصيرة على أفئدتهم ( بنداء ) : « ومن نجـــا برأسه فقد ربح » فتركوا الاستيطان بين أولئك الضـــالين وقذفوا بأنفسهم خفيـــة وجهارا فى بـــلاد المسلمين ، خصوصـــا قهستان حيث جـــلا عنها عـــدد كبير من النـــاس واستوطنوا خراســـان : « وكذلك ننجى المؤمنين » . أمـــا من لم يستطع منهم الذهاب ، أو من لم يرغب فى الجلاء عن مسكنه القديم فقـــد مكثوا على ديارهم وأسبابهم ورضوا هم كذلك من أثر الشقاوة بأن يوسموا بسوء الاسم واسم الالحـــاد ، ولكنهم كانوا مسلمين فى ضمائرهم ، وكانوا كلما استطاعوا ، يلتزمون بأوامر الشرع ونواهيـــه فى الخفـــاء . فكان جمهور أهالى ولايات الملاحـــدة ، خذلهم الله ، يتبعون معنى هـــذه الآية من القرآن المجيد : « فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون » .

وبسبب هـــذا العقد المزخرف والنقد المزيف للحسن بن بزرك أميـــد، الذى كانوا ينادونه بعلى ذكره السلام ، يسمونه بقائم القيامة كما يسمون دعوتهم « القيامة » .

ومن بين الناس الذين كانت لاتزال تصـــل الى مشلم ضمائرهم رائحة من خشية الله والديانـــة رجل يقال له الحسن بن نا ماور أخو الحســـن من جهة الأم ، من بقايا آل بويه ، الذين كان أصلهم من ولاية الديلمان كما هو مسطور فى التواريـــخ . ولم يطق هـــذا الرجـــل صبرا على افشـــاء تلك الفضائح والأضاليل ، رحمة الله وجزاه عن حسن نيته خيرا ، فطعن الحسن المضـــل بخنجر فى يوم السبت الســـادس من ربيـــع الأول سنة احـــدى وخمسين وخمسمائة داخل قلعة لمسر ، فغادر الدنيا الى نار الله الموقدة .

( ٢٤٠ ) أما **ابنه محمد** ، فكان الشقى المـــاضى ( ١ ) قـــد نص على امامته ، بحكم الضـــلال بمقتضى زعمهم ، فجلس مكان أبيه وهو فى التاسعة

---

(١) المترجم : يريد به الحسن بن محمد بزرك أميد .

عشرة من عمره ، « ظلمات بعضها فوق بعض » . وقـد قام بتعذيب وقتل الحسن بن ناماور ، مـع كافة أقربائه من الرجـال والنسـاء والأطفال ، وكانوا البقية الباقية فى تلك الديار من قبيلة بويه ، بعـد تعذيبهم والتنكيل بهم . فقطع نسل بويه .

وكان محمد الاسم مذمم الفعل هـذا اكثر غلوا من أبيه فى اظهار البدعة التى كانوا يطلقون عليهـا اسم دعوة القيامـة ، التى تعتبر الأباحـة من لوازمها ، كما كان أكثر صراحـة فى اظهار الامامـة . وكان يدعى الحكمة والعلم بالفلسفة رغم أنه كان عاريا عاطلا من ذلك العلم بل من كل العلوم . وكان قـد أدرج اصطلاحات الفلاسفة فى الفصول التى كتبها( ١ ) والأصول غير المرتبة التى قالها وكان يظهر التفوق والتسوق ( ٢ ) بايراد النقاط على نمط حـديث الحكماء . ولقـد قال النبى عليه الصلاة والسلام : « المتشبع بما ليس ( ٢٤١ ) عنـده كلابس ثوبى زور ( ٣ ) » . وكانت معظم ألفـاظ كلامه ومعانيها فى العربية والحكمة والتفسير والأخبار والأمثال والأشعار التى كان قـد انتحلها جميعا وادعاها لنفسه تحريفا وتخريفا ( ٤ ) وخطأ وتصحيفا .

---

(١) المترجم : وقد بقى من مؤلفاته رسالة صغيرة الحجم بعنوان «رساله درنصيحت » ( انظر Ivanow, A Guide )

(٢) التسوق هو البيع والشراء وهو مشتق من السوق يقـال تسوق القوم اذا باعوا واشتروا ( اللسان ) . وهذا المعنى كما هو ملاحظ لا يتناسب مع المقام ، ولعل مراد المصنف هو ( تزيين السوق ) و ( العمل على رواج السوق ) بالمعنى المجازى لهذين التعبيرين يعنى أن يظهر فضله للأنظار ، أو يحرص على اظهار الفضل ونحو ذلك .

(٣) قال فى اللسان فى ش ب ع تشبع الرجل تزين بما عنده وفى الحديث المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى الزور أى المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك كالذى يرى أنه شعبان وليس كذلك ومن فعله فانما يسخر من نفسه وهو من أفعال ذوى الزور بل هو فى نفسه زور وكذب ، انظر نفس المرجع فى ث و ب ، و زور ، وشرح الجامع الصغير للسيوطى ج ٣ ص ٣٥٩ — ٣٦١ ، مجمع الأمثال ٢ : ٦٤ تحت عنوان « كلابس ثوبى زور » .

(٤) تخريف بالخاء المعجمة ، قال فى تاج العروس « خرفه تخريفا نسبة الى الخرف أى فساد العقل » .

وبحكم نص التنزيل الحكيم : « ويذرهم فى طغيانهم يعمهون » أمهل فى الملك ستا وأربعين سنة . وفى عصره سفك الملاحدة كثيرا من الدماء البريئة ، وأثاروا الفتن ، ومارسوا أنواع الفساد ، ونهبوا الأموال وقطعوا الطرق ، وأصروا على فساد الالحاد كما استقروا على قاعدة الكفر .

وكان لمحمد ابنان أكبرهما الحسن ، الذى لقب بجلال الدين . كانت ولادته فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وكان أبوه قد نص عليه فى أيام طفولته ( ٢٤٢ ) بأن يخلفه . فلما كبر وظهر اثر التعقل فيه ، بدأ ينكر طريقة أبيه ويستقذر رسوم الالحاد والاباحة . فتفرس أبوه أثر ذلك فيه ، فنشأ بينهما نوع من العناد وكان كل منهما يخاف الآخر ويحترز منه.وعندما كان جلال الدين الحسن يطلب ، فى أيام الاحتفالات والمجامع العامة ، الدخول الى البلاط ، كان أبوه يحذر منه ولا يأتمنه ، وكان يخفى درعا تحت ملابسه . كما كان يحتفظ ( حوله ) دائما بالملاحدة الذين كانوا أهل ثقته ويغالون فى القول بدعوة الغواية لحفظه من أية مؤامرة يدبرها ابنه .

وكان جلال الدين الحسن ، اما عن حسن اعتقاد أو عن طريق العناد الذى وقع بينه وبين أبيه ، ( والله أعلم بما فى الضمائر ، والحكم من الخلق على الظاهر والله يتولى السرائر فله أو عليه ما يستحقه ) ، كان قد أرسل الرسل خفية على سبيل مكايدة أبيه الى خليفة بغداد والى السلاطين والملوك الآخرين ليظهر انه ليس على غرار أبيه ، مسلم العقيدة وأنه اذا ما وصل الدور اليه بعد أبيه فانه سيرفع الالحاد ويمهد لقاعدة الاسلام ، وبهذا النوع قدم توطئة وتأسيسا . وقد توفى محمد غير المحمود هذا والمقتدى المطرود فى العاشر من ربيع الأول سنة سبع وستمائة وقال قوم مات مسموما .

( ٢٤٣ ) جلس مكانه بعده بمقتضى ولاية العهد ابنه **جلال الدين حسن** . فأظهر الاسلام منذ أن تولى الحكم مباشرة ، وقام بزجر قومه وشيعته ومنعهم ، بالتوبيخ والتشديد ، عن الالحاد ، وحملهم على التزام

الاســـلام ، واتباع رسوم الشرع . وأرســـل الرسل الى خليفة بغـداد والى السـلطان محمد خوارزمشـــاه وملوك وامراء العـراق والأطراف الأخرى لابلاغهم بهذه التغييرات ، وبمقتضى التوطئة والتمهيد الـذى كـان قـد شرع فيه خـلال عهد أبيه وأبلغ به الأطراف ، صدقوا كلامه ، وعلى الأخص أصـدرت دار الخلافـة الحكم باسـلامه وأظهرت أنواع العطف بالنسبة له ، ففتحت طريق المكاتبات والمراسلات معه ، وكتبوا له الألقاب بالحرمه . وبتلك الوسيلة الحميدة أفتى الأئمة من جميع البلاد الاسلامية باسـلامه هو وقومه وأجازوا مواصلته والزواج به واشتهر ذكره بجلال الدين **نومسلمان** ( أى المسلم الجـديد ) كما سمى أتباعه فى عهده أيضـا بنومسلمان .

ولقـد أمر بعمارة المسـاجد فى **ولايتـه** وطلب الفقهـاء من أطراف خراسـان والعراق ليتولوا شئون القضـاء والخطابة وأمثال هـذه الأمور الدينية فى ملكه فأعزهم وأكرمهم .

اما أهالى قزوين فقد أبوا فى البداية قبول اسلام جلال الدين وقومه . وكان ذلك بسبب تدينهم وصلابتهم فى الاسلام فضـلا عن شدة معرفتهم ، بحكم الجوار وقرب المسـافة ، بتزويرات الملاحـدة وأكاذيبهم وتمويهاتهم ومكائدهم ، ولأنهم عانوا منهم المتاعب ولحقتهم أشـد الأضرار ، وقـامت بين الجانبين حروب فتأصلت بينهما العداوة . ولذلك قام قضـاتهم وأئمتهم بفحص الأمر **( ٢٤٤ )** والتدبر فيه وطلبوا الدلائل والبينـات على صـدق تلك الدعوى فلما تم تقرير قبول اسلامهم بمقتضى فتاوى دار الخلافة وأئمة بلاد الاسـلام الأخرى بذل جـلال الدين قصـارى جهده فى استرضـاء ( أهـالى قزوين ) وكان يتقرب الى عظمائهم وطلب ايفاد جماعة من أعيان قزوين الى الموت لكى يروا مكتبات الحسن بن الصباح وأسلاف جلال الدين ففصـلوا عـددا كبيرا من فصـول أبى جلال الدين وجـده والحسن بن الصباح والكتب الأخرى التى تتضمن تقرير مذهب الالحاد والزندقة وتخالف عقائد المسـلمين . فأمر جـلال الدين باحراقها بحضور أولئك القزوينيين

أيضـا وفقا لما أشاروا به ، وقال بطعن ولعن آبائه وأسلافه والمهدين لتلك الدعوة . ولقـد رأيت فى أيدى أعيـان قزوين وقضاتها ورقة ، كانوا قـد كتبوها على لسـان جلال الدين الحسن فى التزام الاسلام ، وقبول شعار الشريعة ، والتبرى من الالحـاد ومذهب الآباء والأسـلاف . وكان جلال الدين قـد دون بخطه عـدة سطور على صـدر الورقـة تبرأ من ذلك المذهب فلما وصـل الى اسم أبيه وأجداده كتب هـذا الدعاء عليهم : « ملأ الله قبورهم نارا » . مجمل القول أن اسلامه واسـلام شيعته قـد انتشر ، وظهر لأهل الاسلام نوع من الألفة معهم ، كما منـع خليفة الوقت وسلاطين العصر مهاجمتهم أو قتلهم .

وتوجهت أم جلال الدين ، وكانت امرأة مسلمة ، للحج فى سنة تسـع وستمائة وكان جـلال الدين قـد أرسـل معها سبيلا ( ١ ) فأعزوا أمه وأكرموها ببغـداد اكراما عظيما ( ٢ ) وقـدم سبيله فى طريق الحج على سبيل ملوك الأطراف .

---

(١) الظاهر أن السبيل هو القافلة من الحاج التى تصحب احد الأعلام وأمير الحاج وفيها كل ما يحتاج اليه الحجاج ويعطى فى سبيل الله بلا مقابل ومن ذلك الدواب والطعام والشراب ، يقول النسوى فى سيرة جلال الدين المنكبرنى فى نفس المورد ( ص ١٦ : « وانضـاف الى ذلك اسـتهانتهم ( يعنى أهل بغداد ) بالسبيل الذى كان للسلطان فى طريق مكة حرسها الله تعالى حتى بلغـه تقديمهم صـاحب الاسماعيلية جلال الدين الحسن على سبيله » ، ويقول ابن الأثير أيضـا فى نفس المورد فى حوادث سنة ٦١٤ « وكان سبيله اذا ورد بغـداد يقدم غيره عليه ولعل فى عسكره ماية مثل الذى يقدم سبيله عليه » ويفترض دوزى فى القاموس أن هذه الكلمة معناها المؤن وما يحتاج اليه الحاج وأورد العبـارة التاليـة لابن خلكان للتدليل على ذلك : « وكان يقيم فى كل سنة سبيلا للحاج ويسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر اليه فى الطريق » والشاهد أهم من المدعى فالمراد بالسبيل فى هذه العبارة كما هو واضح هو نفس المعنى الذى سبق ذكره .

(٢) ابن الأثير حوادث ٦٠٨ .

( ٢٤٥ ) وكان جلال الدين قــد وطد علاقات الموافقة والصــداقة مع الأتابك مظفر الدين أوزبك ، ملك أران وآذربيجان ، وكان يحرص على أن تكون صلته به أوثق من صلته بمن ســواه من الملوك . وكانت بين ناصر الدين منكلى الذى كان يتملك العراق ، وبين الأتابك معاندة ووقــع بينهما عــداء وكان جيشـــه يغالب جلال الدين على بعض ولاياته . فاتفق كل من الأتابك وجلال الدين وتواضعا ، وتوجه جلال الدين الى آذربيجان فى سنة عشر وستمائة عازما على مدد الأتابك وقتال منكلى . وكان الأتابك يجتهد فى معاملة جلال الدين بالاعزاز طوال المــدة التى قضــاها فى ملكه ، وهى مــدة تبلغ عاما ونصف عام . وقامت بينهما مؤاخاة وكان الأتابك يواظب على ارســال المؤن الوفيرة اليه ويفرط فى بذل الأموال لدرجــة أنه بعــد اقامة الأنزال والعلوفات لجلال الدين وجيشــه وبعــد توزيع كافة أنواع التشريفات والخلع الثمينة ، لا على كبار قواد جيش جــلال الدين فحسب بل على كافــة الجند ، كان يرسل الى خزانته كل يوم ألف دينار من الذهب المسكوك ( ٢٤٦ ) للمتطلبات اليومية .

مجمل القول أن جلال الدين أقام مع الأتابك أوزبك مــدة فى بيلغان ، وأرســلا الرسل متفقين الى حضرة دار الخلافة والشــام والديار الأخرى طلبا للامدادات لطرد منكلى من العراق . فأرســلت دار الخلافــة مظفر الدين وجــه السبع مع جيش كامل لمــددهم وأمرت مظفر الدين كوكبورى ابن زين الــدين على كوجك ( ١ ) أن ينضــم اليهــم بجيش مــن اربــل لكى يعمل الجميع فى يوم القتال برأيه وتدبيره ويطيعون اشارته وتوجيهه . وأرسل جيش آخر من الشــام لمــددهم .

---

(١) صــدر فى الآونة الأخيرة كتاب بالعربية عن مظفر الدين المذكور بعنوان « مظفر الدين كوكبورى أمير أربل » لعبد القادر طليمات . العدد ٣٢ من سلسلة اعلام العرب طبع مصر .

وفى سنة احـدى عشرة وستمائة ( ١ ) هزموا ناصر الـدين منكلى ، كما هو مشهور ذكره وايراده هنا ليس مناسبا لسياق هـذا التـاريخ . ومكنوا سيف الدين ايغلمش ( ٢ ) مكان منكلى ( ٢٤٧ ) فى العراق وأعطوا أبهر وزنجان لجلال الدين جزاء سعيه ، وبقيت هاتان المدينتان ونواحيهما تحت تصرف نوابه .

وبعـد عـام ونصف عـام من المقام فى العراق وأران وآذربيجان عاد جلال الدين الى الموت ، وفى هـذا السفر ونظرا لطول مـدة اقامتـه بتلك البلاد صـارت دعوى اسلامـه أكثر تأكيـدا واشـد تصـديقا وزادت مخالطة المسلمين له ، وقـد التمس جلال الدين خطبة النسـاء من أمراء جيلان ، فأبدوا تقاعـدا ولم يقبلوا بغير اذن يصـدر من دار الخلافـة ، فارسـل جلال الدين رسولا الى بغـداد ، فأجابه أمير المؤمنين النـاصر لدين الله الى ملتمسـه وأجـاز بأن يقوم أمراء جيـلان بمواصـلته بحكم الاسلام . وبمقتضى هـذا تزوج جلال الدين أربعـا من بنـات أمرائهم ،

---

(١) ضبط ابن الأثير ١٢ : ١٤١ تاريخ هذه الواقعة فى شهر جمادى الأولى سنة ٦١٢ .

(٢) كذا فى جامـع التواريخ ١١٤ ( = ص ١٧٧ ط طهران ) ، هـذه الكلمة محرفة وفاسدة فى كافة نسخ جهانكشاى الخطية لأن اسم الشخص الذى نصب بعد هزيمة منكلى فى سنة ٦١١ ( أو سنة ٦١٢ ) حاكما على العراق من قبل الخلفاء وقتل بعد أربع سنوات من حكومته على يد الباطنية فى أوائل سنة ٦١٤ يأتى فى كافة كتب المؤرخين المعاصرين أو قريبى العصر لهذه الواقعة مثل ابن الأثير ١٢ : ١٤١ ، ١٤٥، ١٤٦ ، والنسوى ١٣ ، وأبى الفدا ٣ : ١١٦ ، وجهانكشاى نفسه ج ٢ : ١٢١ فى جميع المواضع اغلمش ( بألف وغين معجمـة ثم لام وميم وفى الآخر شين معجمـة ) ، وفى جامع التواريخ كما مر ايغلمش ( بنفس الضبط المذكور بزيادة ياء بعد الحرف الأول ) ، ولما كان المصدر الوحيد الذى اعتمد رشيد الدين عليه فى هذه الفصول المتعلقة بأواخر الاسماعيلية يتمثل فى كتاب جهانكشاى للجوينى حيث نقل أغلب عباراتـه بعينها حرفا بحرف فلا يبقى شك تقريبـا فى أن اغلمش كانت مسطورة فى نسخة جهانكشاى التى كانت لديه فى الموضـع الذى نحن بصدده بحيث حفظها بنفس املائها ، لذا قمنا بتصحيح اغلمش التى كتبها كافة المؤرخين مناط الصحة برواية جامـع التواريخ التى هى أقرب الصور مطابقة للمتن . فى آثار البلاد للقزوينى اسم هذا الشخص فى ص ٢٠١ ايقلمس وفى ص ٢٥١ ايقلمش .

اولاهن اخت كيكاوس ، الذى كان لا يزال حيـا يمتلك ولاية كوتم ( ١ ) ، وقـد ولد علاء الدين محمد ، ابن جلال الدين ، من هـذه ( ٢٤٨ ) المرأة .

وهم يقولون انه لما تحرك سلطان الدنيا جنكيز خان قادما من تركستان أرسل جلال الدين اليه أمراءه خفية قبل أن يصل الى بلاد الاسلام وكتب الرسائل وعرض عليه الخضوع والطاعة . كان هـذا هو زعم الملاحدة. والحقيقة غامضة غير واضحة ، ولكن الشىء الواضح أنه لما دخلت جيوش السلطان فاتح العالم جنكيز خان بلاد الاسلام ، كان أول شخص من الملوك أرسل الرسل فى هـذه الناحية من جيحون لاظهار العبودية وقبول الخضوع هو جلال الدين .

استعمل قاعدة الصواب ، وأسس بناء الصلاح ، غير أنه جاء بعـده ابن جاهل واتباع حيارى فلم يبادروا — بسبب الشقاوة والجهل — بتشييد ذلك الأساس واتمامه ، ولكنهم أخـذوا بالتدبير الفاسد بل الادبار القاصد فى نقض ذلك الترتيب حتى رأوا ما رأوا : « ولا يحيق المكر السىء الا بأهلـه » .

وكان أمير المؤمنين على بن أبى طـالب عليـه السـلام قـد ذكر فى احدى خطبه قوما من المتمردين رأوا وخامة عاقبة تدبيراتهم الفاسدة ، فقال كلمتين أو ثلاثا فى ذلك الصدد تتفق وحـال الطائفة المذكورة والحكاية المسطورة : « زرعوا الفجور وسقوه الغرور فحصـدوا الثبور ( ٢ ) » .

---

(١) المترجم : تعرف حاليا بكهذم ، وهى ناحية بولاية جيلان تقع غربى سفيدرود ، ما بين منجيل من الجهة الجنوبية ، ورشت من الجهة الشمالية ( انظر حواشى القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٤١٨ وما بعدها ) .
(٢) فقرة من الخطبة الثانية من نهج البلاغة ، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحـديد ١ : ٤٥ ، وانظر أيضا شرح الكتاب لابن ميثم البحرانى ٩٣ ، ورواية نهج البلاغة فى هذين الموضعين هى « وحصدوا » بالواو .

( ٢٤٩ ) كان **علاء الدين محمد** فى التاسـعة من عمره عندمـا جلس مكان أبيه الـذى توفى فى منتصف رمضـان سنة ثمانى عشرة وستمائة . ولم يكن له سوى ابن واحـد هو علاء الدين المذكور .

وكان جـلال الدين قـد مـات مريضـا بالاسهال فاتهموا نسـاءه بدس السم له بالاتفاق مـع أخته وبعض أقاربه ، فقام الوزير ، الذى كان بمقتضى وصيته مدبرا للملك ومربيا لابنـه علاء الدين ، بقتل خلق كثير من أقاربه ، وأخته ، ونسـائه ، وخواصـه ، وأهل بطانته بتلك التهمة وقام بحرق بعضهم .

ولـما كان عـلاء الدين لا يزال طفـلا ، ولم يكن قـد لقى نصيبا من التربية والتأديب ، وطبقا لمذهبهم المزيف وطريقهم المزخرف يعتبر امامهم متشـابها ، فى المعنى الأصلى فى أطوار الطفولة والشباب والشيخوخـة ، وكل ما يقوله كيفما كان يعتبر حقـا ، والامتثـال لأمره فى أى أسـلوب يمارسـه دين لأولئك الكفرة ، ولذلك لا يمكن لمخلوق تعنيفـه بأى حـال من الأحوال كما لا يجوز فى اعتقادهم المذموم تأديبه ولا توجيه نصـح اليه أو ارشـاد . فلا غرو أن أغفلوا تدبير ( أمور ) الدين والدنيا ، والمحافظة على المبادىء التى كانوا قـد التزموا بها باسلامهم وأعرضوا عن الاهتمام بأمور الملك ، وكـان الطفل الجـاهل الذى ( بايعوه ) بتكفل بأمور دينهم ودنياهم ويرعى مصـالحهم .

ومن كان الغراب له دليـلا    فناووس المجوس له مقيل ( ١ )

ولقـد شغل مـع أقرانه من الأطفال باللعب واللهو واقتناء الجمال ورعى الأغنام فوقـع تدبير الأمور برأى النسـاء ، حتى اضمحلت الأسس

---

(١) انظر ذيل مجمع الأمثـال لفرايتاغ ص ٤٦٦ ، وحياة الحيوان ٢ : ٢١٤ فى عنوان « الغراب » ، وقد روى الاثنان هذا المثل على النحو التالى :

ومن يكن الغراب له دليـلا    يمر به على جيف الكـلاب

التى كان أبوه قـد وضعها ، ( **٢٥٠** ) وبطلت التدابير ، التى كـانت على منهاج الأصـابة . وأول ذلك كلـه أن أولئك الذين كـانوا قـد تقلدوا الشريعة والاسلام خوفا من أبيه وهم خبثاء الطوية مظلمو الضمير وكانوا لا يزالون يعتقدون فى مذهب جـده الفاسـد « وأشربوا فى قلوبهم العجل » لـما لم يروا من يمنعهم ويزجرهم عن ارتكـاب المنكـرات والمحظورات ، ونظرا لأنـه لم يكن لديهم محرض أو وازع على اتبـاع الفرائض والسنن واقتفـاء آثار السـداد والرشـاد ، ارتدوا مرة أخـرى الى الحـادهم ومروقهم ولم تكد تنقضى مـدة قصيرة حتى عادت لهم الغلبة والقوة . أما الآخرون الذين كانوا قد قبلوا الاسلام عن بصيرة وأرادو المداومة على هذا المذهب فقـد خافوا من مهاجمة أولئك الملحدين ونكايتهم وأخفوا اسلامهم مره أخرى خوفا على حياتهم ، فشـاع الالحـاد مرة ثانيـة ( لا أعاده الله أبـدا ) بين تلك الطائفـة المشئومة والجامعة المذمومة . ولهذا السبب أهملت قواعـد الملة والدولة ومصـالح الدين والدنيـا مرة أخرى وولت وجهها نحو الاندراس .

ولـما انقضى ما يقرب من ست سنوات على تولى ذلك الطفـل الملك قام الطبيب الـذى استخدموه بقصـده ، دون أن يكون مريضـا وبـدون داع وخلافا للنصيحـة والمشـاورة ، فأخرج دمـا بكثرة بالفـة ، فاختل دماغه ، وتمثلت أمامه الخيالات . وبعـد مـدة قصيرة ظهرت عليه علة المـاليخوليا . ولم يكن لأحـد قوة ولا جراة على أن يقول بوجوب اعتزاله أو معالجته كما لم يتمكن الأطباء هناك وغيرهم من ذوى العقل والمعرفـة من القول بأنه مصـاب بالمـاليخوليا أو بأذى مماثل ، والا فان عوام تلك الطائفه سـوف تسعى دون أدنى ريب فى طلب دمهم . لأن الأذى الـذى يتعلق بـه نقصـان فى العـلم أو زوال فى العقل ، ( **٢٥١** ) لا يجوز على الامام بحيث يمكن عندئذ نسبة بعض أوامره وأفعاله الى اختـلال العقل وفسـاد المزاج والدماغ ، فلا غرو أن كانت تلك العلة تتزايد يوما بعد يوم حتى استولت عليه تماما . وفى خـلال السنوات الأخيرة من عهده أصبح عـلاء الدين الخـالى من التدابير مجنونا من أثر ذلك المرض ، فضـلا عن نقصـان العقل الغريزى وانعـدام التـأديب والتربيـة فى أيام الصبى .

فصــارت القيود والســلاسل مناسبة له . ونظرا لأن هــذا قــد حدث فى هــذا العهد ويعرف المعاصرون ســوء تدبيره وفســاد عاداته ، وخبث خياله . واهماله واضــلاله ، وغايــة جنونه ، ورسومه غير الميمونــة ، فلا حاجــة اذن الى شرح لأن التفصيل يستطيل ، ولا يتيســر تقرير عشر العشــير من وصفه بتحرير الطوامير ، فلو اشتبه أحــد فينبغى عليــه الاستدلال على الفاتحــة من الخاتمة ، وعلى البدايــة من النهاية ، وعلى المقدمة من النتيجة . هــذا فضلا عن نخوة الملك والغرور لمن كان أتباعه وأشياعــه أشقياء أغبيــاء ، من الطفولة الى آخر العمر ، ونظرا لفســاد خيالهم وبلادة حسهم أقــاموا فى ضميره الأسود وخــاطره الفاسد أن كل ما يفكر فيه انما يطالعه من نقوش اللوح المحفوظ ،وكل ما يقوله انما يقوله بالهام الهى ولا يجوز أن يكون فكره وقوله خطــأ وسهوا . حتى انخــدع هو أيضــا بذلك ، فوقــع فى خطــأ مع نفســه ، وكان يروى من الأحوال الماضية ( ٢٥٢ ) التى تظهر ( لهم ) وكأنها أعاجيب ويجعــل من الأخبــار الخفية أشياء مغيبة ، كلها خبط عشواء ، وقول على العمياء وكذب صراح ومحض افتضــاح ، ولم يكن يفكر فى أن تلك الهذيانات ســوف تصطــدم بتكذيب ذوى العقول .

وبسبب ما كان فى طبعه من سوء التربية وعدم الممارســة والشراسة والزعــارة ( ١ ) لم يكن أحــد يملك القــدرة على أن يعارضــه أو يشير فى حضوره الى نقطة تتعلق بمصــالح المملكة يتغير منها خــاطره قليلا . فلا شك أن الجواب على ذلك الشخص يكون قتله فى الحــال بالنكال بعــد معاقبته بالمثلة غير اللائقة وقطــع أعضــائه .

فلا غرو ان أخفيت عنه أخبــار داخل ملكه وخارجه وأحوال الأصدقاء والأعداء لدرجــة أنه كان يرسل الى حضرات السلاطين ، فاذا ما عادوا

---

(١) المترجم : « الزعارة الشراسة » ( القاموس المحيط )

فانهم لا يعيدون على مسامعه الجواب الذى رد به الملوك على التماسه وكلامه لأن ذلك لم يكن موافقا لطبعه على الاطلاق . ورغم أنه كان يعرف هذا الا أنه كان يخفيه فى نفسه ، ولم يجرؤ ناصح قط على التلفظ امامه بكلمة عن ذلك . وكانت كل رسائله للسلاطين كذبا وتلفيق أكاذيب ، وكان يظن أن ذلك التزوير الذى يتظاهر جهال قومه بتصديقه نفاقا ، اما لجهلهم واما لخوفهم ، سوف ينطلى على حضرات السلاطين أو يشكل على العقلاء .

وكانت تقع فى ملكه كل يوم سواء بأمره أو بدون أمره احدى حوادث السرقة وقطع الطريق وايذاء الخلق ، فكان يظن أنه يمكنه تمهيد العذر عن ذلك بالكلام التقليدى وبذل المال . الى أن زاد الأمر عن الحد وأصبحت حياته ونساؤه وولده ودماؤه وملكه وماله كلها عرضة لذلك التخبط والجنون . وليس ذلك كله بحاجة الى شرح أو تقرير لأنه فى غاية **( ٢٥٣ )** الوضوح والاشتهار .

وكان ركن الدين خورشاه هو أكبر أبناء علاء الدين وفى أثناء طفولته كان علاء الدين نفسه لا يزال فى سن الشباب اذ لم يكن فارق الميلاد بينهما يتجاوز ثمانية عشر عاما . وعندما كان ركن الدين لا يزال طفلا كان علاء الدين يقول لنفسه : « ان ركن الدين سوف يكون أماما وهو ولى عهدى » . فلما كبر ركن الدين لم يفرق مخاذيل أتباعهما بينه وبين أبيه من حيث التعظيم والمرتبة ، فكان حكمه نافذا كحكم أبيه . لذلك استاء منه علاء الدين وأخذ يردد : « سوف أجعل ولى عهدى ابنا آخر غير ركن الدين » . فلم يقبل قومهما ، بمقتضى مذهبهم ، ذلك الكلام وقالوا « اعتبار النص الأول صحيح » .

ومن أجل ذلك كان علاء الدين يؤذى ركن الدين كما كان يعذبه بلا سبب ويعاقبه بصفة مستمرة بمقتضى جنونه وغاية اختلال عقله كما كان دائم المؤاخذة له . وكان قد اضطره الى البقاء بصفة دائمة مع

الحريم فى حجرة مجاورة لحجرة أبيه فلم يكن يجرؤ على الخروج فى وضح النهار . فكان ينتهز الفرصة عندما يكون أبوه ثملا أو مشغولا برعى قطيع من الأغنام — وفقا لما جرت عليه عادته — أو منشغلا بشىء آخر أو غافلا ( عنه ) فيتسلل من الحجرة فى المساء لشرب الخمر أو يذهب الى حيث يريد .

مجمل القول أن علة جنون علاء الدين وغلبة هوسه قد اشتد فى شهور سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، فازداد تغيره على ركن الدين بالأسباب والاتفاقات الفلكية التى يطول تفصيل الحديث عنها ولا يليق ايرادها فى هذا التاريخ . فاستمر فى عقابه وايذائه وكان يواصل مهاجمته وتهديده ووعيده ، حتى خاف الولد منه على حياته وكان يقول ( ٢٥٤ ) : « لست آمن — فى أى وقت من الأوقات — على حياتى من أبى » . ولهذا أخذ يعد العدة للهرب من وجه أبيه على أن يذهب الى قلاع الشام ويستولى عليها أو يسيطر على الموت وميمون دز وبعض قلاع رودبار المشحونة بالخزائن والذخائر وينفصل عن أبيه ويتمرد عليه .

وقد حدث فى نفس السنة أن كان أكثر أركان دولة علاء الدين وأعيان مملكته خائفين منه ، بحيث لم يكن أحد منهم قط يثق فى بقائه على قيد الحياة . اذ كان قد اتهم بعضهم بمتابعة ركن الدين فتغير عليهم . كما كان قد اتهم بعضهم ، بسبب خباله الشاذ ودماغه المختل ، بتهم أخرى فكان يواصل ايذاءهم وتعذيبهم . ولو أنهم لم يكونوا فى خوفهم يحادثون بعضهم بعضا وانما كانوا يتبعون أسلوب المداراة تظاهرا ونفاقا بحيث أدى ذلك كله الى أن مل منه الخواص والعوام وكانوا على ثقة من أن ذلك التدبير الذى كان قد مارسه ومخايل الادبار التى لاحت على أحواله سوف تذهب بسلطته وملكه أدراج الرياح .

وكان ركن الدين يتخذ من الكلام التالى شراكا ينصبها : « نتيجة لما يأتيه أبى من أعمال وأفعال سمجة عزم جيش المغول على مهاجمة هذه

الملكة بينما لا يلقى أبى بالا . أما أنا فاننى أعتزله وأرسل الرسل الى حضرة سلطان وجه الأرض والى عبيد بلاطه وأنا اقبل الخضوع والعبودية . ولن أسمح لأحد بعد الآن أن يقوم بحركة فاسدة فى ملكى حتى يبقى الملك وتبقى الرعية » .

لهذه الأسباب والدواعى بايعه أغلب العظماء والأركان ورجال الجيش واتفقوا على شرط أن يكونوا معه فى كل ناحية يتوجه اليها وأن يحفظوه من اتباع أبيه وأجناده وأن يبذلوا أرواحهم دونه ، الا اذا قصده أبوه فانهم عندئذ لن يضربوا أباه ضربة أو يرفعوا عليه يدا .

فلما انقضى شهر على هذا الحديث مرض ركن الدين ولزم الفراش وبقى عاجزا عن الحركة . **( ٢٢٥ )** وفى يوم من الأيام شرب أبوه خمرا فنام حيث كان يشرب فى كوخ من الخشب والغاب مجاور لاصطبل الأغنام، وكان ينام من حوله عدد من الغلمان والرعاة والجمالين وأمثال هؤلاء الأراذل والسفلة . وفى منتصف الليل وجد مقتولا من أثر طعنة بلطة فى رقبته . وكان أمره قد انتهى بهذا الجرح . ولقد جرح هندى وتركمانى كانا قد ناما بجواره ، فمات التركمانى بعد ذلك بينما شفى الهندى . وقد حدث هذا فى سلخ شوال سنة ثلاث وخمسين وست مائة فى مكان يقال له شيركوه ( ١ ) ، حيث كان علاء الدين يقضى معظم أوقاته .

ووجه أولاد علاء الدين وقومه تهمة القتل الى عدة أشخاص ، فقاموا متأثرين بذلك الوهم بقتل عدد من المقربين لعلاء الدين وخدمه الذين كانوا قد شوهدوا بجوار الموضع الذى قتل فيه حيث كانوا

---

(١) المترجم : اسم قرية وواد يقع فى القسم الغربى من ناحية ألموت. ( انظر حواشى القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٤٢٥ ، وفريا ستارك فى رحلتها الى قلاع الحشاشين ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ) .

يقومون بحراسته ليلا . ولقد فتحوا طريق الاتهام والوهم الى المواضع البعيدة والقريبة فوصل الأمر بهم الى أن قالوا ان رجلين أو ثلاثة مجهولين قدموا من قزوين وبالمحاباة وبالاتفاق مع الخواص وكبار المقربين لعلاء الدين وارشادهم توجهوا الى فراشه وقتلوه ، ثم عادوا أدراجهم بمعاونة أولئك الخواص وحمايتهم . فكانوا يتهمون وهما وظنا كل فرد بالتعاون معهم وارشادهم . حتى استطاعوا بعد مضى أسبوع أن يتوصلوا بوضوح المخايل والدلائل من شمائل الأحوال عن يقين أن الحسن المازندرانى الذى كان أخص خواص علاء الدين ( ٢٥٦ ) وملازمه ليل نهار ومستودع أسراره هو الذى قتله . وقد قيل أيضا ان زوجة الحسن — التى كانت عشيقة علاء الدين ولم يكن الحسن قد أخفى عنها حادثة القتل — أفشت ذلك السر لركن الدين . قصارى اقول أنهم قتلوا الحسن ، بعد أسبوع ، وأحرقوا جثته كما أحرقوا أبناءه الثلاثة وكانوا بنتين وولدا . وجلس ركن الدين خرشاه مكان أبيه .

عندما كان الحسن المازندرانى طفلا حمله جيش المغول من مازندران ، فهرب من الجيش فى العراق وذهب الى ملك علاء الدين ، وكان أمرد مليحا ، فلما رآه علاء الدين أحبه وقربه اليه . فصار أمامه محل اعتماده التام ، وكان يعزه اعزازا بليغا ويسمح له بالكلام فى حرية تامة ، ومع هذا كان ، بسبب جنونه وسوء طبعه ، يؤذيه على الدوام بالتخيلات والتعليلات ويضربه ضربا عنيفا ، فتحطمت أكثر أسنانه ، وقطع جزاء من عضو ذكوريته . ( ١ ) وعلى الرغم من أن لحيته نمت ، وظهرت فى النهاية بعض آثار البياض فى شعره الا أنه ظل منظور علاء الدين ومحبوبه ، وكان يفضله على الأمارده والمعشوقين . وقد وهبه الحسن

---

(١) « ذكورة » سماعية ولكننا لا نعثر على « ذكورية » فى كتب اللغة المعتمدة اللهم الا فى قاموس دوزى ولابد أن تكون كذلك قياسا على رجولية وطفولية وما شاكلها .

احـــدى خادماته ، التى كان يعشقها ، ليتزوجها . ومـــع أن الحسن رزق منها بحوالى ثلاثة أبناء الا انه لم يكن يجرؤ على الذهاب الى منزله أو على النوم مـــع امرأته بدون اذن من علاء الدين . ولم يكن علاء الدين يتجنب الحسن أثناء مقاربته ومباشرته لامرأته . وكان الوزراء وكبار رجال دولة علاء الدين وكافة أهـــالى المملكة يتقربون الى الحسن فى رفـــع الحاجات وانهاء الحالات والمهمات الأخرى ، بل فى **( ٢٥٧ )** المصـــالح ، اذ لم يكن هناك من يستطيع مباسطة علاء الدين فى الحديث مثله ولم يكن يقبل تنفيذ أمر بقول امرىء غيره . وكثيرا ما كان الحسن يوافق بنفســـه على ما يريد دون استطلاع رأى علاء الدين ، وكانت احكامه تنفذ بتمامها . وكان قـــد استطاع بهذه المداخل المذكورة أن يجمع مالا كثيرا لم يكن يستطع أن يتمتع به وكان يخفيه عن علاء الدين . ولقـــد كان لباســـه ، الـــذى يتكون من رداء من الصوف والقطن الردىء ، قديما ممزقا فى أغلب الأحيـــان مثـــله مثل ما على مخدومه المذموم علاء الدين ، لأنـــه كان يضطر الى أن يعيش متشبها فى ملبســـه ومأكله وكافة حالاته بعلاء الدين ، وكان يلازمـــه دائما فى السير مترجلا خلف قطيع الأغنـــام ، أما فى وقت التعزز والتنعم فكـــان يركب حمـــارا . وعندما كـــان يرتدى ملابســـا أفضـــل أو يقـــع فى روع علاء الدين أن لديه بعض المـــال ، فانه كـــان يبتلى بالضربات المبرحـــة ، والمطالبات الشـــديدة ، والتمثيل الشنيع .

لهذه الأسباب استقر الحقد على علاء الدين فى قلبه وارتبطت دواعى الغضب ببعضها البعض . وكان رجلا مسلما اذ أنـــه رغم معاشرته لعلاء الدين السنين الطوال ، الا أن حب الاســـلام وبغض الالحـــاد كانـــا قـــد تمكنا من قلبه وعقيدته . وكـــان قـــد نشـــأ للحسن عن طريق مجانســـة الغربة واعتقاد الاسلام مؤانســـة الى بعض المسلمين الذين كانوا فى خدمة علاء الدين وبقوا بالضرورة أسرى فى ملكه ، وظهرت بينهم صداقة ، وحينما كان يجـــد معهم فرصـــة المناقشـــة والحوار كان ينصرف الى ذكر مثالب علاء الدين ونشر مخازيه ومســـاوئه ( تعبيرا ) عن نفثة المصـــدور وشرح الغصـــة ومقاساة شـــدائد معيشته . وبمقتضى هـــذه الدواعى اصـــبح

التوفيق رفيقه حتى اغتال علاء الدين فخاطر بقلبه وروحه فى ذلك الجهاد جزاه الله بنيته خيرا .

( ٢٥٨ ) ولقد قال البعض بأن ركن الدين خورشاه قد قتل أباه ، وهذا مخالف للحقيقة ، لأن ركن الدين كان مصابا بالحمى فى تلك الليلة وملازما للفراش وبقى عاجزا عن الحركة عدة أيام . ولكن للأسباب التى سبق ذكرها فضلا عن قرائن الأحوال المختلفة عن ذلك ، يمكن الاستدلال على أنه لم يستنكر قتل أبيه أو يسترديه وأن الحسن قد أقدم على فعل ذلك برضا رأيه . ويمكن أيضا أن يكون الحسن قد اتفق منذ البداية مع ركن الدين وأقدم على هذه الفعلة باستشارته وموافقته ، لأنه لما ذاع الخبر بأنه قتل علاء الدين لم يقبض عليه ركن الدين ولم يطالب ويستعلم عن من ساعده فى ذلك العمل ، وكيف نشأ الاغراء . بل أرسله على سبيل التعليل ليتولى أمر قطيع غنمه الخاص الذى كان قد بقى عن علاء الدين بحيث يعنى بالخراف ويهتم بأمرها . وأرسل فى عقبه أحد معتمديه ، فضرب الحسن ببلطة لما غفل فقتله بطريقة لا يستطيع بها أن يعرف أنه هوجم ( ٢٥٩ ) فلا يتمكن من التفوه بحرف . فقال الناس مستندين الى هذه الأمارات والدلائل أن ركن الدين والحسن كانا قد تواضعا وتعاهدا على قتل أبيه فخشى ، اذا أجرى تحقيق أو محاكمة ، أن يشى الحسن بكلمة عن معرفته بالأمر أو حتى عن اذنه أو ارشارته والتماسه . وكانت أم ركن الدين واخوته — خلال السنة التى بقيها فى الملك خلفا لأبيه — اذا أرادوا ايذاءه واستزادته يتهمونه بقتل أبيه ويعدون ذلك من معايبه . وكانوا يتهمون الجماعة الذين كانوا يعتبرون أصدقاء ركن الدين ومن أهل رعايته فى عهد علاء الدين وهم الذين أعزهم ركن الدين — لما جلس مكان أبيه — واعتبرهم من خاصته وأهله ، فينسبون اليهم أنهم تعاونوا معه فى قتل أبيه علاء الدين ، بل كانوا يقولون ان ركن الدين رضى بقتل أبيه أو أمر به بتعليمهم وتحريضهم ، والله أعلم بالخفيات والسرائر .

## ذكر أحوال ركن الدين خورشاه بعد وفاة أبيه

بعد ان فرغ من مراسم العزاء التى استغرقت ثلاثة أيام وجلس مكان أبيه ، أرسل الجيش الذى كان أبوه قد جهزه لمهاجمة شال رود ( ١ ) من ناحية خلخال ، ( ٢٦٠ ) فاستولوا على قلعتها وأعملوا فيها القتل والغارة . وبعد ذلك أرسل رجلا الى جيلان وغيرها من البلاد المجاورة لاعلان وفاة أبيه ، وبدأ — خلافا لسيرة أبيه — فى وضع أسس الصفاء مع أولئك الجماعة ، وأرسل الى كافة ولاياته بالتزام الاسلام وبان يسلكوا سبل السلام .

وأرسل رسولا الى يسورنوين فى همدان يقول : « طالما تقلدت الحكم فسوف أسلك طريق الخضوع وأمحو غبار الخلاف من طلعة الاخلاص » فأجابه يسورنوين بأن مواكب الأمير هولاكو وشيكة الوصول ، والصلاح فى أن يخرج بنفسه ، ولقد بذل غاية جهده فى حثه على ذلك . وبعد ذهاب الرسل وقدومها أرسل رسالة وقرر : « سأرسل اخى شهنشاه بادىء ذى بدء حتى يسير فى رفقة يسورنوين » . فسير شهنشاه فى صحبة جماعة من كفاة الحضرة فى غرة جمادى الأول ( ٢ ) ، فوصل الى يسورنوين فى حدود قزوين فأرسل يسور ابنه موراقا فى صحبة شهنشاه الى حضرة السلطان

---

(١) انظر نزهة القلوب لحمد الله المستوفى ص ٨٢ ، ٢٢٣ ، ( حيث تبدو فى الموضع الأول س ١٤ تصحيف « شالرود » ويكرر لوسترنج فى « بلدان الخلافة الاسلامية » ص ١٦٩ الفاظ المستوفى بعينها وبنفس التصحيف ، هذا اذا كان ذلك فى الواقع تصحيفا ، كما يكرر ذلك فى الخريطة المقابلة لـ ص ٨٧ ) .

(٢) سنة ٦٥٤ — «الأول» كذا ، انظر فيما سبق ص ١٩٥ حاشية (١) .

وفى العاشر من نفس الشهر قـدم يسور الى جيوش المغول والفرس فى رودبار الموت . ( ٢٦١ ) وكان جنود ركن الدين وفداويوه قـد تجمعوا على قمـة سيالان كوه ( ١ ) فى أعلى الموت . وعزم الجيش المغولى على الصعود من أسفل فوقعت موقعـة عظيمة . الا انه لـما كانت قمة الجبل محكمة والرجال كثيرون ، فقـد تراجـع جيش المغول وأتلف جنوده غلاتهم عن آخرها واشتغلوا بتخريب الولاية . وفى أثنـاء ذلك وصـل الرسـل الذين كانوا قـد أمروا بالسير من قبل سـلطان الدنيا من اسـتو بعـد وصول شهنشاه الى العبودية فى أواخر جمادى الآخر ( صح : الآخرة ) الى ركن الدين وسلموه مرسوما باستمالته (٢٦٢) واستعطافه اذ أنه : «نظرا لأنه أرسل اخاه وادى العبودية والخضوع ومازال يؤديهما ، فقد عفوت عما ارتكب ابوه وأتباعه من أخطـاء فى عهد أبيه . وحيث أنه لم يصـدر عن ركن الدين نفسـه اى جرم خلال المـدة التى جلس فيها مكان أبيـه فانه اذا خرب القلاع وتوجه للعبودية فلن تقـدم الجيوش على عمل من أعمال

---

(١) اغلب الظن أن المراد هو « سيالان كوه » ( بسين مهملة وياء مثناة تحتانية ثم الف ولام ثم الف وفى الاخر نون ) ( اى جبل سيالان ) وهو اسم جبل يقـع فى شمالى منطقـة الموت الجبلية جنوب شرقى الجبل المعروف بتخت سليمان . ولازالت بعض آثار قلعة الموت المشهورة باقية حتى الآن وكانت قد بنيت على صخرة من صخور هذا الجبل ، وقد طبعت هذه الكلمة محرفة وخطأ فى اغلب الكتب الجغرافية والخرائط الأوروبية الجديدة : ففى جغرافيا اليزه ركلو ج ٩ ص ١٥٨ — ١٥٩، وفى قاموس فيفن دوسن مارتن ج ٣ ص ٧٤٠ : سيالار — Siyalar — براء مهملة فى آخر الكلمة بدل النون ، وفى الخريطـة الكبرى لايران طبع وزارة الدفاع البريطانية سنة ١٨٩١ : سيفالا Sivala ، وبناء على التحقيق الذى قام به صديقى الفاضل السيد ميرزا عباس اقبال اشتيانى فى طهران معتمدا على بعض المثقفين من أهالى نفس المكان تحقيقا لرغبتى يتبين أن الكلمة « سيالان » كما ضبطناها هى الصحيحة ولا شك فى أن أهل البيت أدرى بما فى البيت ، وقد طبعت هذه الكلمة فى الخريطة الكبرى لايران التى أعدها السيد ميرزا عبد الرازق خان المهندس « سبالان » بالباء الموحدة ولكن المؤلف المحترم صرح شفاهة للسيد اقبال بأن الباء الموحدة خطأ مطبعى وأن الصواب ياء مثناة تحتانية .

التخريب فى ولايته » . فأظهر ركن الدين الطاعة وخرب عـــددا من القلاع ، أما فى الموت وميمون دز ولمسر فقد رمى أبوابها وحطم بعض أســـوارها وأبراجها .

وبمقتضى أمر الســـلطان ــ الذى سبق ذكره ــ انسحب يسور نوين وجنوده من الولاية . وتوجـــه أحـــد خاصـــة الســـلطان وصدر الدين فى صحبته الى عبودية الســـلطان فوصلا للعبودية لابلاغه بما انتهى اليه الأمر وطلبـــا حاكما والتمســـا مهلـــة سنة واحـــدة . وقـــد بقى بعض الرســـل هناك بغرض الانتهـــاء من تخريب القـــلاع الباقية . وفى أوائل شعبان كان رســـول الســـلطان وصدر الدين قـــد وصلا الى الحضرة فى شغان ( ١ ) ، ثم رجعا من البلاط وســـلما ركن الدين مرسوما مقدرا على الترغيب والترهيب . وكان تولاك ( ٢ ) بهـــادر قـــد قـــدم فى صحبتهما وكانت التعليمات تقضى بأنه لو أطـــاع ركن الدين فان عليـــه ــ بمقتضى الأمر ــ أن يتوجـــه لاظهـــار الخضوع وأن يتولى تولاك الحكم فى غيبتـــه للمحافظـــة على الولاية .

أما ركن الدين فقـــد حمله قصور تفكيره على اظهار شىء من التقاعد عن الخروج وخـــاف وتلعثم ، وأثار غبار التعلل . وقد سير وزيره شمس الدين كيلكى وابن عم أبيه ، سيف الدين ســـلطان ملك بن كيابو منصور ، فى صحبة الرســـل الى الحضرة فى الســـابع من شعبان ، أمـــا هو فقـــد اعتذر وطب مهلة . كما أرسل استدعاءين لكى يحضر نوابه من كردكوه وقهستان الى خدمة الســـلطان ويظهروا العبودية والطاعة . وقـــد وصل الشخصـــان المشـــار اليهما الى الحضرة فى حـــدود الرى . ولمـــا رفعت

---

(١) المترجم : انظر حواشى القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٤٢٥ الى ٤٢٨ .

(٢) جامع التواريخ طبع كاترمر = الترجمة العربية ص ٢٥٠ : توكل .

رايات السلطان فى ولاية اللار ودماوند أوفد ( السلطان ) شمس الدين كيلكى من هناك الى ( ٢٦٤ ) كردكوه ليحضر حاكمها الى حضرته ، كما أوفد رجلا من مصاحبى الوزير الى قهستان لاحضار حاكمها . كذلك أوفد سيف الدين سلطان ملك مع جماعة الرسل الى ركن الدين لابلاغه بأنه لما كان سلطان الدنيا قد نزل فى دماوند فقد أصبح من الواجب على ركن الدين أن يتوجه لاظهار العبودية ، ولو حدث أن تخلف بهدف تدبير أمره خمسة أيام فعليه أن يرسل ابنه أولا . وقد وصلوا ( ١ ) فى أول رمضان أسفل ميمون دز ، ولقد اضطرب ركن الدين وقومه من نبأ وصول رايات فاتح العالم الى الحدود ومن الاشارات السلطانية التى أشار بها السلطان ، فاستولى الرعب والخوف على ركن الدين ، وقال : « سوف أرسل ابنى » . وهذا ما فعله بعد اشارة النصحاء والمشيرين ( ٢ ) وبعد استشارتهم ثم بدأوا فى التجهز ( للرحيل ) . الا أنه أخذ يدبر التلبيسات والتمويهات خفية مستمعا لقول النساء وقصار النظر . فما كان منه الا أن أرسل طفلا فى سن ابنه ، وكانت أم هذا الطفل كردية تعمل خادمة فى قصر أبيه ، فلما افتضح أمر حملها بالطفل أرسلها علاء الدين الى منزل أبيها . ولما ولد الطفل لم يجسر أحد على القول بنسبته الى علاء الدين ولم يعيروا الأمر انتباها . فجعل ( ركن الدين ) هذا الطفل شركا للخداع فى هذا الشأن ، وأخفى الأمر وموهه على مدبريه ومشيريه وأعلن : « ها أنذا أرسل ابنى » وقد أرسل هذا الطفل فى صحبة الرسل فى السابع عشر من رمضان .

وكانت رايات السلطان قد وصلت الى حدود ولاية ركن الدين ،

---

(١) يعنى رسل هولاكو .

(٢) المترجم : كان نصير الدين الطوسى أحد هؤلاء . وكان ، طبقا لتاريخ طبرستان لابن اسفنديار (ترجمة براون ص ٢٥٩) يعمل وزيرا لركن الدين.

فكيف يبقى الأمر سرا ؟ ولقـد كان واضحا أنه أرسل ابنا مزيفا ( ١ ) ، الا أن حضرة السلطان لم يأمر فى الحال بكشف ذلك التلبيس واستمر الاغضاء والموارأة . وبعد يومين اعيد الطفل المزور برسالة مضمونها أنه لايزال مجرد طفل صغير ، فاذا كان ركن الدين ( ٢٦٥ ) سوف يضطر الى التأخر قليلا عن الوصول الى العبودية ، فعليه أن يعجل بارسال أخيه الآخر ، حتى يعيدوا اليه أخاه شهنشاه ، الذى لازم خدمة البلاط مدة طويلة ، اجابة لملتمس ركن الدين . وقد وصل الابن المزور الى ركن الدين فى الثانى عشر من رمضان .

وفى هذه الأثناء لما كانت المسافة بين رودبار الموت وبلاط السلطان قريبة ، كان الرسل يترددون على الدوام يحملون الرسائل من حضرة السلطان ، وعدا ووعيدا ، واستمالة وانذارا . مجمل القول أن ركن الدين سير أخاه الآخر ، المسمى شيرانشاه ( ٢ ) ، الى حضرة السلطان فى الخامس من شوال ، فوصل شيرانشاه الى عبودية السلطان فى اليوم الثالث الموافق السابع من شوال بناحية يقال لها فسكر من مضافات الرى . وفى نفس الوقت عاد الوزير كيلكى من كردكوه وقد أحضر حاكمها القاضى تاج الدين مردانشاه ، الى عبودية سلطان الدنيا . وفى التاسع من شوال اعيد أخوه شاهنشاه من هناك برسالة مضمونها : « أنه لو خرب ركن الدين قلعة ميمون دز وتوجه بنفسه

---

(١) يعتقد جامع التواريخ ( كاترمر ٢٠٤ = ص ٢٥٢ من الترجمة العربية) أنه كان الابن الحقيقى لركن الدين ولم يكن فى الأمر كذب أو بهتان : « وفى السابع عشر من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة ، أرسل خورشاه الى هولاكو ، ابنه الذى كان فى السابعة أو الثامنة من عمره ، وكان قد أنجبه من محظية — بصحبة طائفة من الأكابر والأعيان » .

(٢) جامع التواريخ يطلق عليه نفس الاسم فى الجزء الخاص بالاسماعيلية ١٢٢ = ص ١٨٨ طبع طهران ، بينما يطلق عليه فى الجزء الخاص بهولاكو طبع كاترمر ص ٢٠٤ = ص ٢٥٢ من الترجمة العربية اسم (شرونشاه).

الى عبودية السلطان ، فسعوف يصير موضع شفقتنا واعزازنا ، على النحو الذى تجرى عليه عادة عاطفتنا ، والا فلا يعلم الا الله ما بقى محتجبا عن النظر فى العاقبة » .

وفى اثناء ( ٢٦٦ ) هذه المفاوضات وتردد الرسل ما يقرب من شهر كان بوقاتيمور وكوكا ايلكاى ، اللذان كانا قد توجها أيضا بجيوش كثيفة من ناحية اسبيدار ، يقتربان من شاطىء البحر الذى يقع خلف ظهر مملكة ركن الدين ، وخصوصا ميمون دز ، التى كانت حصنا له ومعقلا ، وكانا يستوليان على القلاع والبقاع المحيطة بها .

وفى منتصف شوال توجه سلطان العالم من بسكر ( ١ ) الى ولاية ركن الدين سالكا طريق الطالقان ثم نزل فى السابع عشر من نفس الشهر أسفل ميمون دز ، فالتقت الجيوش الأخرى القادمة من كافة النواحى وأحاطت بالقلعة .

ولما كان ركن الدين يتأنى ويتوقف فى اقتفاء سعادته وانتهاج جادة مصلحته ، ويحجم عن النزول من القلعة . قامت مهاوشة ( ٢ ) وحرب دامت ما يقرب من ثلاثة أيام بين قوات السلطان القريبة من القلعة وبين سكان الجبل وجنود ركن الدين الذين أحرزوا بعض الانتصارات الا أنهم لم يلبثوا أن ذاقوا شيئا من المهابة السلطانية (٢٦٧) وسطوة قدرتها . وفى الخامس والعشرين من شوال قامت الحرب السلطانية ، التى لا يمكن أن يكون هناك أكثر عظمة ومهابة منها . فشاهد ركن الدين نموذجا وعرف

---

(١) الظاهر بل من المؤكد أن بسكر هذه هى نفس فسكر المذكورة فى الصفحة السابقة .

(٢) مهاوشة ومناوشة متقاربتان فى المعنى ومعناهما الحرب الخفيفة والقتال غير الشديد « وفى حديث قيس بن عاصم كنت أناوشهم وأهاوشهم فى الجاهلية أى أقاتلهم » ( اللسان ) .

أنه لا قبل له ( بالمقاومة ) . وفى اليوم التالى أرسل ابنه الوحيد ، وأخاه الآخر المسمى ايرانشاه مع طائفة من أعيان قومه وكفاتهم ومقدميهم .

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من شوال وصل هو نفسه الى عبودية سلطان العالم وحظى بسعادة المثول فى الخدمة . وأخرج كل قومه والمتصلين به من ميمون دز وقدم خزائنه الى السلطان دليلا على الخضوع . ومع أنها لم تكن فاخرة كما اشتهر عنها ، الا أنهم أخرجوا ما كان موجودا . فأمر السلطان بتوزيع أغلبها على الجند واستخلص القلعة كما استخلص باقى قلاع ركن الدين . وأما كيفية استئصال القلاع واستخلاص تلك الولايات بلا استثناء فسوف يتم شرحها بمزيد من الوضوح فيما يلى مباشرة .

كان قتل علاء الدين ، أبى ركن الدين خورشاه ، فى آخر شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وكان بدء تقلد ( ركن الدين ) حكم أولئك القوم ، وهم مطيعوهم وأتباعهم ، فى اليوم الأخير من شوال ، وقد خرج ركن الدين من شهر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ووقف أمام حضرة السلطان فى مقام العبودية ، وبذلك كانت مدة حكومته مكان أبيه سنة كاملة .

## ذكر قلاع ركن الدين بعد نزوله

كان ركن الدين لايزال يتمتع بحسن الطالع اذ نزل من القلعة ( ١ ) . وقد لازمه من الأمراء تمغا ، أحد أمراء البلاط ، مع جماعة آخرين لحمايته . وكان ركن الدين قد أرسل معتمديه فى صحبة الرسل لهدم قلاع تلك الولايات وتخريبها . فحطموا ما يربو على أربعين قلعة وهبط

(١) يعنى ميمون دز كما سبق للمصنف أن صرح فى الصفحات السابقة .

منها سكانها ، الذين كانوا كلاب الالحاد ، بمقتضى الأمر فيما عدا سكان قلعتى الموت ولمسر ، الذين تعللوا والتمسوا أن ينزلوا من القلعة عندما تصل مواكب السلطان الى حدود الموت .

وبعد يومين أو ثلاثة ( ١ ) تحرك السلطان ، وعبر شهرك رودبار مرة ثانيه وعسكر الجيش هناك . وكانت شهرك هذه فى أيام الجاهلية قبل الاسلام وفى الاسلام قبل الالحاد مركزا لملوك الديلم،ثم أنشىء بها فى عهد علاء الدين حديقة وقصر وكانت متنزها لهم . ولقد أقام ( المغول ) احتفالا بالفتح والظفر استمر تسعة أيام ثم توجهوا من هناك الى أسفل الموت ، حيث توقفوا يوما واحدا ، وأوفد ركن الدين الى أسفل القلعة ( ٢٦٩ ) لكى يفاوض أولئك القوم ويدعوهم ( للتسليم ) . فتمرد مقدم القلعة المسمى مقدم الدين ( ٢ ) وأبى النزول اباء تاما . فترك السلطان الأمير بلغاى ( ٣ ) مع جيش جرار لاحكام الحصار حول القلعة ، بينما عزم هو على التوجه بنفسه الى لمسر .

ولقد دخل أرباب الموت من باب المصلحة واغلقوا طريق الممانعة ، اذ أخذوا يرسلون الرسول تلو الرسول الى ركن الدين أسفل لمسر ، حتى

---

(١) بعد فتح ميمون دز بحوالى ثلاثة أيام .

(٢) الفقرة المعادلة فى جامع التواريخ ١٢٤ = ص ١٩١ ط طهران : وتمرد مقدم الدين الذى كان مقدم القلعة . وواضح من سياق العبارة أن مقدم أو مقدم الدين كان اسم رئيس قلعة الموت .

(٣) بلغاى هو الابن الرابع لشيبان ( شيبتان ) بن توشى بن جنكيز خان، وقد أرسله باتو لمدد هولاكو فى أثناء توجهه الى ايران وقد مات فجأة فى حدود ٦٥٧ ، انظر جامع التواريخ طبع بلوشه ص ١١٥ ، ١١١ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، وجامع التواريخ طبع كاترمر ص ٣٥٨ = ص ٢٨١ من الترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاترمر ، وأيضا ص ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٣١٧ ، ومختصر الدول لابن العبرى ص ٤٦٠ ، وقد كتب اسم بلغاى بتفاوت فى الرسم بين كل من الجامع ومعز الانساب وأبو الغازى ومختصر الدول : بلغاى وبلغا وبلغه وبالاقان وبلقه ، وكل هذه الأسماء لمسمى واحد .

شفع لهم عثراتهم فى حضرة السلطان ، وحصل لهم على مرسوم الأمان ثم سار اليهم . ولقد نزل « مقدم » من القلعة ، فصعد جماعة من المغول اليها وسمحوا لركن الدين بالصعود معهم فحطموا المجانيق وخلعوا الأبواب . وطلب سكان القلعة ثلاثة أيام مهلة واشتغلوا بنقل ما كان فى القلعة من أمتعة وأقمشة وفى اليوم الرابع صعد كافة الجنود والمجندين وأغاروا على البقايا التى تركوها .

والموت جبل شبهوه بجمل برك ووضع رقبته على الأرض . وعندما كنت بأسفل لمسر ، استولت على الرغبة فى تفقد مكتبة الموت ، التى استطار صيتها فى الأقطار ، ( ٢٧٠ ) فعرضت على السلطان أنه لا ينبغى تضييع نفائس الكتب الموجودة بالموت . فتقبل السلطان طلبى بقبول حسن واعطى الأوامر اللازمة ، فتوجهت لتفقد المكتبة وأخرجت كل ما وجدت من المصاحف ونفائس الكتب على مثال : « يخرج الحى من الميت » كما اخترت الآلات التى كانت موجودة مثل آلات الرصد من الكراسى وذات الحلق (١) ، والأسطر لابات التامة والنصفية والشعاع (٢) وأحرقت ما بقى وكان متعلقا بضلالتهم وغوايتهم وهو مالم يكن مستندا الى منقول ولا معتمدا على معقول . ورغم وجود الخزائن الوفيرة وأجناس الذهبيات والفضيات التى لا تدخل فى نطاق الحصر الا أنى ناديت عليها بنداء

---

(١) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ٢٣٥ ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ٢ : ١٥١ ( فى ترجمة نصير الدين الطوسى ) ، وكشف الظنون فى عنوان « الآلات الرصدية » .

(٢) كذا فى معظم النسخ الخطية ، وفى احدى النسخ زيدت كلمة «وذات الشعبتين » فى الحاشية — لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة ، وذات الشعبتين هى أيضا اسم آلة من آلات التنجيم كذات الحلق ، انظر كشف الظنون فى الموضيع المذكورة .

( يا صفراء اصفرى ويا بيضـــاء ابيضى ) ( ١ ) فأنعمت بها بكرم . ولقـــد وجـــدت — فى أثناء تفقدى للمكتبة — تاريخ الجيل ( ٢ ) والديلم الذى صنف باسم فخر الدولة ( ٢٧١ ) بويه ( ٣ ) . وقـــد ورد فى ذكر الموت أن أحـــد ملوك الديلم ، الذين كان يقال لهم أرجستان ( ٤ ) ، بدأ فى عمارة هـــذا الجبل فى سنة ست وأربعين ومائتين . وكان ملوك الديلم يفتخرون بهـــا كما كانت مصـــدرا لاستظهار شيعة الاسماعيلية . وقـــد ورد فى تاريـــخ السلامى أن حـــاكم ذلك الموضـــع ، وكان يدعى « سياه جشم » ( ومعناه الأسود العين ) ( ٥ ) كان من المستجيبين لدعوة الاسماعيلية بمصر وذلك

---

(١) قول مشهور لعـــلى بن أبى طالب رضى الله عنـــه ، قال فى تـــاج العروس فى ص ف ر : « والصفراء الذهب للونها ومنـــه قول على بن ابى طالب رضى الله عنه » يا صفراء اصفرى ويا بيضاء ابيضى وغرى غيرى ، « ويروى هذا الحديث مع اختلاف فى الألفاظ فى مواضع أخرى ، انظر مروج الذهب فى حكاية حرب الجمل ٤ : ٣٣٦ ، والعقد الفريد ٣ : ٩٥ ، وكشف الغمة ٤٧ ،ومقدمة ابن خلدون ١٢١ (ص ٥٣٨ طبع الدكتور على عبد الواحد وافى ) فى فصل « انقلاب الخلافة الى الملك » .

(٢) المترجم : من الكتب العربيـــة التى أهتمت بتاريـــخ الجيل كتـــاب مسالك الأبصـــار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٣ معارف عامة ، انظر الجزء الثانى من المجلد الثالث .

(٣) بويه ليس اسم فخر الدولة كما يمكن أن نتوهم من ظاهر العبارة بل انه اسم جده المشهور الذى تنسب اليه هذه السلسلة . أما اسم فخر الدولة فهو على بن ركن الدولة الحسن بن بويـــه ، وعلى ذلك ينبغى أن يعدل اسمه الى فخر الدولة البويهى .

(٤) يحتمل أن تكون هذه الكلمة تحريفا لكلمة «جستان» أو «آل جستان» وكان آل جستان سلسلة من ملوك الديلم توارثوا الحكم فى نواحى رودبار الموت والطالقان وسواحل شاهرود وسفيدرود ، ويرد ذكرهم كثيرا فى كتب التواريخ والمسالك والممالك وغيرها .

(٥) يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٣١٦ ج ٨ ص ٧٠ — ٧١ ضـــمن تفصيل أحوال أسفار بن شيرويه الديلمى : « ولـــما فرغ أسفار من أمر طبرستان سار الى الرى وبها ما كان ابن كالى ( ظ : كاكى ) فأخذها منه واستولى عليها وســـار ما كان الى طبرستان فأقام هناك وأحب أسفار أن يستولى على قلعة الموت وهى قلعـــة على جبل شـــاهق من حدود الديلم وكانت لسياه جشم بن مالك الديلمى ومعناه الأسود العين لأنه كان على احدى عينيه شامة فراسله أسفار الخ » .

فى ايام استيلاء الديالمة على العـراق . وقـد وردت كيفيـة انتقاله ( ١ ) الى هـذه القلعـة فى ذكر ( ٢٧٢ ) الحسن بن الصـباح . والحقيقـة انهـا كانت قلعـة محكمة احكاما شـديدا ، وكانت مداخلها ومخارجها ومراقيها ومعارجها قـد صـارت بفضل التشييد الذى تتمتع به جدرانها المجصصـة ومبانيهـا المرصوصـة من القوة بحيث كان الحـديد — فى أثناء تخريبها — وكأنه يضرب رأسـه فى حجر ، ولا يخرج فى يـده شىء ، وهى لـم تزل تقـاوم . وشيدوا أحجـار تلك الأحجـار عـدة أروقـة وأحواض عميقة وارتفاعات مختلفـة بحيث أغنت عن استعمال الأحجـار والملاط . وكأن آية « وتنحتون من الجبال بيوتا » قـد وردت فى وصفها . كما نحتوا المخازن والأحواض للشراب والخـل والعسل وأنواع السوائل وأجناس الجوامد . وتفاصيل تفاسير آية « والشياطين كل بناء وغواص » المبينـة فى القصص تشـاهد فى تلك العمـائر من آثـار الانس ( ٢ ) . وفى وقت الغـارة واستخراج الذخـائر الموجودة بالقلعـة خاض شخص فى حوض العسل فلم يعثر له على قرار وقبل أن يعرف الخبر كان العسل قـد غطاه كله فصـار وكأنه يونس لولا أن تداركه ( ٣ ) . وقـد مدوا جدولا من نهر باهرو ( ٤ ) الى أسفل القلعة حيث حفر جـدول فى الصخر

---

(١) الهاء هنا تعود ولاشك على الحسن بن الصـباح المذكور فى نفس السطر ولا تعود على فلان سياه جشم كما يمكن أن يتوهم من ظاهر العبارة، ذلك لأنه لم يسبق أن ورد خبر عن هذه المقولة قطفى الفصل الخاص بالحسن ابن الصباح بل على العكس جرى الحديث هناك مفصلا عن كيفية انتقال الحسن بن الصـباح الى قلعـة الموت ( ص ١٩٣ — ١٩٥ وما يقابلها من الترجمة ) .

(٢) « من آثار الانس » فى مقـابل « الشياطين » يعنى ما نسمعه فى القصص والتفاسير عن الشياطين والجنة فيما يتعلق باعداد الأبنية الخارجة عن قدرة البشر نشاهد نظيره رأى العين فى تلك العمائر .

(٣) اشارة الى الآية الكريمة « لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم » .

(٤) لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة ، ويحتمل أن تكون هذه الكلمة الفاسدة المحرفة فى كافة النسخ الخطية تصحيفا لكلمة « شاهرود » .

على مدار القلعة ( ٢٧٣ ) وشيدوا فى قاعه لتخزين المـــاء أحواضـــا من الصخر أيضـــا كأنها البحر بحيث كان المـــاء يندفع بقوته الذاتية فيملؤها على الدوام ( ١ ) وكانت أكثر ذخائرها من السوائل والجوامد قـــد وضعت فى عهد الحسن بن الصـــباح ، فمضى عليهـــا ما يربو على مائة وسبعين عاما ( ٢ ) ، دون أن تظهر الاستحالة فيها ( ٣ ) ، وكانوا يعتبرونها بركة من الحسن . أما بقية وصـــف آلات الحرب والذخائر فهى تخرج عن أن يضمها بطن كتاب واحد دون أن يكون فى ذلك ملل .

وقـــد عهد الســـلطان الى أحـــد الأمراء مع عـــدد كبير من الحشم والمجندين بتخريب القلعـــة . فلم يعول على المعول بل أشـــعلوا النـــار فى المبانى ، ثم بدأوا بعـــد ذلك فى تحطيمها ، وقـــد استغرق هـــذا العمل منهم مـــدة طويلة .

وأقـــام الســـلطان فى لمسر ، وكـــانت مشـــتى تلك النواحى ، وأمهل شياطينهـــا عـــدة أيـــام عسى أن يتخلوا عن ضـــلالهم وعسى أن يخـــرج صلال ( ٤ ) هؤلاء القوم من جحورهم فى احدى اللحظات . فلم يجن فائدة. فترك طاير بوقا مع جيش من المغول والفرس لمحاصرتها ( ٢٧٤ ) وعـــاد

---

(١) المترجم : تقدم لنا الآنسة فريا ستارك فى كتابها The Valleys of The Assassins pp. 247—248. وصفا رائعا للوسائل التى كان يتبعها الاسماعيلية فى امداد قلاعهم بالماء وخاصة قلعة لمسر .

(٢) انظر ص ١٩٤ ومايقابلها من الترجمة ، وقد استولى الحسن بن الصباح على الموت فى ٦ رجب سنة ٤٨٣ .

(٣) المترجم : استخدم المؤلف الكلمة العربية «الاستحالة» بمعنى التحول والفساد فى السوائل المخزونة .

(٤) المترجم : الصلال جمع الصل وهى الحية ( انظر حواشى الأستاذ القزوينى على جهانكشاى ج ٣ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ) .

بالسعد فى السادس عشر من ذى الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة موفقا مسددا .

وقد أسكن ( السلطان ) أمتعة ركن الدين مع حاشيته ومواشيه فى قزوين ، ووزع جنده على الأمراء . وقد لزم ركن الدين عبودية السلطان بجانب البلاط الذى كان فى حدود همدان . وسير مع معتمديه رجلين أو ثلاثة فى صحبة رسل السلطان الى قلاع الشام لكى يحضروا رؤساءها ويقوموا بجرد خزائنها وأن يحفظوا تلك القلاع كعبيد للسلطان ، التى هى مثوى الفلك ، الى تلك الحدود والديار . ولسوف يصدر الأمر فى هذا الشأن حسب ما تقتضيه المصلحة .

وكان ركن الدين موضع اهتمام السلطان ومرجمته ، وفى تلك الأثناء عشق ركن الدين احدى بنات أراذل الأتراك فقدم ملكه بدلا عن حبها كمجنون ليلى ، وفى النهاية زوجوه بها كما أمر السلطان . وفى أحد الأيام طلب من المطربين هذا الرباعى فى مجلس الشراب :

— أيها المليك لقد جئت بابك لاجئا ، وأنا خجل مما أتيته من أفعال ،

— ولقد جرنى اقبالك من شعرى الى هنا ، والا فالى أى بلاط أذهب ولأى غرض ؟ .

وكانت مراجل خياله تغلى بالهواجس بالنسبة لفحول الجمال البلخية وكان يناقش فى شأنها كل من يعرف عنها شيئا ، وطبقا لهذا أمر له السلطان يوما بمائة ناقة . فرفضها قائلا : « كيف يمكننى أن أنتظر نتاجها » . وطالب بثلاثين فحلا ذلك لأنه كان شغوفا بمشاهدة مصارعة الجمال .

( ٢٧٥ ) مجمل القول أنه لما فرغ من أمر عروسه التمس من السلطان أن يرسله الى عبودية حضرة منكوقا آن . وكان ملتمسه موافقا لرأى السلطان ، فتوجه فى أول ربيع الأول سنة خمس وخمسين

وستمائـــة مـــع تسعـــة أشـــخاص الى تلك الحضرة فى صحبة الرســـل ومقدمهم ( ١ ) .

## ذكر أحوال ركن الدين وانتهاء أمرهم

عندما كان السلطان على وشك أن يوجه ( ركن الدين ) الى حضرة سلطان العالم منكوقا آن ، وفقا لملتمسه ، أخذ على عاتقه خدمة السلطان. فى الوقت الذى وصل فيه كردكوه . فأنزل المخـــاذيل الذين كانوا بها من الذروة . ولمـــا أرسله ( السلطان ) عهد بحراسته الى جماعة من المغول برئاسة بوجراى ، فلما وصلوا أسفل كردكوه أمر سكانها فى الظاهر بالنزول ولكنه كان يحرضهم خفية على عدم النزول . فلما غادروا ذلك المكان الى بخارى ، طوع له عقله مخاصمة الرسل فلاكم بعضهم بعضا .

ولمـــا كان مقررا فى أصـــل مرســـوم القاآن ( جنكيز خـــان ) وكذلك فى لائحـــة منكوقاآن الا يتركوا أحـــدا منهم حتى ولو كان طفـــلا فى المهد . وكانوا قـــد عهدوا بكافة أتباعه ، آلافهم ومئاتهم ، الى موكلين عقلاء وقـــد صـــدرت عنهم فى تلك الأثناء أقوال وأفعـــال ( ٢٧٦ ) دعت الى التعجيل وهيأت الفرصـــة لاراقة دماء تلك الطائفة . فلقد صـــدر الأمر بأن يذهب الرسل الى كافة الجيوش ( لابلاغها ) بأن يقتل كل قوم الجماعة التى عهد بها اليهم . وتوجه قراقاى بيتكجى الى قزوين لكى يسوق ركن الدين وأبناءه وبناته واخواته وكل من كان من أصله وقومه الى نار الفناء ، وسلموا اثنين

---

(١) المترجم : بياض فى الأصل . وهو بوجراى كما سيأتى .

أو ثلاثـــة منهم الى بلغان ( ١ ) لكى يقتلهم قصاصا لدم أبيه جغتاى ( ٢ ) الذى كان الفداوية قــد اغتالوه طعنا بالخناجر ، فلم يبق من نسلهم أحــد على الاطـــلاق .

وقــد صــدر الأمر لاوتاكوجينا ، قائد جيش خراســـان ، ( ٢٧٧ ) وكـــان منشغلا بأمر قهستان ، بأن يقضى هو الآخــر على كل فرد من تلك الجماعة كان راسخا فى الالحـــاد فأخرجهم على سبيل الحشر وقتل اثنى عشر ألفا . وهكــذا أعدموا كل من كان منهم على قيد الحيـــاة عن آخرهم حيثما كانوا .

وكذلك فعلوا بركن الدين ، اذ انـــه لمـــا وصـــل الى قراقورم قـــال ســـلطان العالم منكوقاآن : « لم يكن من الضرورى احضـــاره عبر هـــذه الرحلة الطويلة . وان المرسوم الملكى الذى أصـــدرته من قبل معروف » . ولم يسمح لركن الدين بأن يرفـــع الهدايا وابلغوه بالأمر التالى : « انك اذا كنت تدعى الطـــاعة ، فلماذا تبقى بعض القلاع مستعصاة مثـــل كردكوه ولمسر ؟ فعليك الآن أن تذهب وأن تعود مرة أخرى بعــد تخريب تلك القلاع فتحظى بشرف تقديم الهدايا ( للحضرة السلطانية ) » .

---

(١) كذا أيضا فى جامع التواريخ ١٢٦ ( ص ١٩٤ ط طهران ) — ويبدو أن بلغان هذا هو نفسه الذى يطلق عليه جامع التواريخ فى موضـــع آخر قرا بولغان وهذا نص الفقرة التى ورد بها اسمه على هذا النحو : « كان الأمير الآخر ( من قواد الألف جندى الذين أتوا مع جورماغون الى ايران ) هو جغتاى بزرك قورجى من قوم ارلات من اقـــارب يورغوجين وقد قتله الملاحدة طعنا بالخناجر، وأبناؤه طولوداى يارغوجى وباى تيمور وقرابولغان وسرتاقتاى ، وكان قرابولغـــان المذكور أميرا على ألف جندى » ( جـــامع التواريخ طبع برزين ج ١ ص ٥٩ باختصار ) .

(١) من الواضح أن ( جغتاى ) هذا هو أبو بلغاى الذى كان الفداوية قد اغتالوه ليس هو جغتاى المشهور ابن جنكيز خان .

بهذا الأمل ردوه ، فلما وصل الى حدود تيعاب ( ١ ) قاده الرسل خارج الطريق واذاقوه الوبال الذى كان آباؤه واجداده قد اذاقوه لخلق الله اذ تناولوه هو واتباعه بالركل حتى أحالوهم حطاما ثم أتوا عليهم بالسيوف ، ولم يبق منه ولا من نسله اثر ، وأصبح هو وأقرباؤه سمرا على الألسنة وخبرا فى الدنيا .

( ٢٧٨ ) وهكذا تطهر العالم الذى كان ملوثا بخبثهم . وأصبح الرائحون والغادون يذهبون ويجيئون بلا خوف أو وجل أو مشقة فى الحراسة ، وأخذوا يدعون بالتوفيق للسلطان السعيد الطالع الذى أزال اسمهم ولم يبق لأحد منهم أثرا . والحقيقة أن هذا الأمر كان مرهما لجراح المسلمين وتداركا للدين من الخلل . ويعرف أولئك الذين ينتمون الى عصرهم الى أى مدى بلغت فتنة هذه الطائفة والى أى حد بلغ اضطراب الناس وانزعاجهم . وان الشخص الذى كان على وفاق معهم ، منذ عهد الملوك السالفين حتى عهد ملوك هذا العصر ، انما كان فقط مدفوعا بدافع الخوف والرعب منهم . أما من عاداهم فكان عليه أن يعيش ليله ونهاره سجينا خوفا من رعاعهم . حقا لقد كان كأسا طافحا وريحا عاتية ولكنها أخمدت ، ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين .

* * *

تم بحمد الله

---

(١) يقرأ دوسون D'ohsson هذه الكلمة Toungat ولعله اقرب للصواب — انظر كتابه
Histoire des Mongols depuis Tchinguiz-Khan jusqu'à Timour Bey, ou Temerlan, Vol. III p. 135.

## ثبت باسماء المراجع

### اولا : المراجع الفارسية

استرن ، س ،م.

١ — اولين ظهور اسماعيلية در ايران .

( ترجمه سخنرانى است كه در ١٥ مه ١٩٦١ توسط آقاى بروفسور

دردانشكده ادبيات طهران ايراد كرديده است )

ترجمة سيد حسين نصر طهران ١٩٦١ .

ابن اسفنديار ، بهاء الدين محمد بن حسن .

٢ — تاريخ طبرستان ، جلد اول .

باهتمام عباس اقبال طهران ١٣٢٠ هـ.ش .

براون ، ادوارد جرانفيل

٣ — تاريخ أدبى ايران از قد يمترين روزكاران تازمان فردوسى

ترجمة وتعليق على باشا صالح طهران ١٣٢٥ هـ.ش

بهار ، محمد تقى

٤ — سبك شناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى

جلد سوم طهران .

خواند أمير ، غياث الدين بن همام

٥ — حبيب السير فى أخبار افراد البشر

نشر محمد حسين كاشانى بمباى ١٢٧٣ هـ

ذبيح الله صفا ( دكتور )

٦ — تاريخ ادبيات در ايران ازميانه قرن بنجم تاآغاز قرن هفتم هجرى

طهران ١٣٣٦ هـ.ش .

الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان

٧ — راحة الصدور وآية السرور در تاريخ آل سلجوق ، تصحيح محمد اقبال. ليدن ١٩٢١م

رشيد الدين فضل الله

٨ — جامع التواريخ
( قسمت اسماعيليان وفاطميان ونزاريان وداعيان ورفيقان ) باهتمام محمد تقي دانش بزوه ومحمد مدرسي زنجاني،طهران ١٣٣٨ هـ.ش.

٩ — جامع التواريخ
طبع بلوشه. ليدن ١٩١١م

الطوسي ، نصير الدين محمد

١٠ — مطلوب المؤمنين
بسعي ايفانوف. بمباي ١٩٣٣م

عطا ملك الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد

١١ — تاريخ جهانكشاى ( درسه جلد ) بسعي واهتمام محمد بن عبد الوهاب قزويني. ليدن ١٩١٢ — ١٩٣٧م

عنصر المعالي كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير

١٢ — قابوس نامه ، باهتمام سعيد نفيسى طهران ١٣١٢ هـ.ش .

عوفي ، محمد عوفي

١٣ — لباب الألباب ، نشر وتحقيق براون ليدن ١٩٠٣م

الكرديزي ، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود .

١٤ — زين الأخبار ، بسعي محمد ناظم برلين ١٩٢٨م

المرعشي ، سيد ظهير الدين بن سيد نصير الدين .

١٥ — تاريخ طبرستان ورويان ومازندران باهتمام برنهرد دارن بطر سبورج ١٨٥٠م

مستوفى قزوينى ، حمد الله بن أبى بكر

١٦ — تاريخ كزيده (دوجلد) باهتمام ادوارد براون ليدن ١٩١٠ — ١٩١٣م

١٧ — نزهة القلوب قسمت جغرافيائى ، نشر لوسترنج ليدن ١٩١٣م

أبو المعالى ، محمد الحسينى العلوى

١٨ — بيان الأديان در شرح أديـــان ومذاهب جاهلى واسلامى تصحيح عباس اقبـــال طهران ١٣١٢ هـ.ش .

منتجب الجوينى ، مؤيد الدولة منتجب الدين بديع أتابك .

١٩ — كتاب عتبـــة الكتبـــة تصحيح واهتمام محمد بن عبد الوهـــاب القزوينى وعباس اقبال طهران ١٣٢٩ هـ.ش .

مير خوند

٢٠ — روضة الصفا المجلد الثالث لكنو ١٨٩١م

ناصر خسرو ، أبو معين ناصر بن خسرو القباديانى المروزى .

٢١ — خوان الأخوان ، بسعى واهتمام يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٠م

٢٢ — ديوان ناصر خسـ طهران ١٣٣١هـ

٢٣ — زاد المسافرين برلين ١٣٤١هـ

٢٤ — سفرنامه طهران ١٣٣١هـ

٢٥ — وجـــه دين برلين

نظام الملك ، أبو على الحسن بن أبى الحسن .

٢٦ — سياستنامه طبع شفر انجى ١٨٩١م
طبع طهران ١٣٣٤ هـ.ش .

٢٧ — كتاب مجمع الوصايا ( وهو منسوب الى نظام الملك ) نشر شفر در ذيل سياستنامه ص ٤٨ — ٥٦ انجى ١٨٩١م

نظامى عروضى سمرقندى ، احمد بن عمر بن على .

٢٨ — جهار مقاله ، باهتمام محمد بن عبد الوهاب قزوينى ليدن ١٩٠٩م

هدايت ، رضا قلى‌خان

٢٩ — مجمع الفصحاء در دو جلد. بومباى ١٢٩٥هـ

مؤلف مجهول ،

٣٠ — دربيان شناخت امام ، بسعى ايفانوف القاهرة ١٩٤٧م

مؤلف مجهول ،

٣١ — كلام بير يعنى كتاب هفت باب ، باهتمام ايفانوف بومباى ١٩٣٤م

مؤلف مجهول ،

٣٢ — هفت باب بابا سيدنا ، بسعى ايفانوف بومباى ١٩٣٣م

## ثانيا — المراجـع العربيـة

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم

٣٣ — الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزءا. طبع ليدن ١٨٥٣م
طبع مصر ١٣٠١هـ

اجناس جولد زيهر

٣٤ — العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمه الى العربية محمد يوسف موسى وآخران مصر ١٩٤٦م

أحمد شلبى ( دكتور )

٣٥ — تاريخ التربية الاسلامية بيروت ١٩٥٤م .

— احمد محمود الساداتى ( دكتور )

٣٦ — تاريخ جهانكشاى ، مقال نشر فى مجلة تراث الانسانية ، العـدد الثانى من المجلد الرابع فبراير ١٩٦٦

آرثر كرستنسن

٣٧ — ايران فى عهد الساسـانيين ، ترجمه عن الفرنسية الدكتور يحيى الخشاب مصر ١٩٥٧م

الاسفراينى ، أبو حامد محمد

٣٨ — التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين ، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثرى مصر ١٩٤٠م

الأشعرى ، أبو الحسن على بن اسماعيل

٣٩ — مقالات الاسلاميين الجزء الأول استانبول ١٩٢٨م

براون ، ادوارد جرانفيل

٤٠ — تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ترجمه الى العربية المرحوم الدكتور ابراهيم امين الشواربى مصر ١٩٥٤م

برنارد لويس

٤١ — أصول الاسماعيلية ، ترجمة الى العربية خليل احمد جلو ، جاسم الرجب مصر ١٩٤٧م

البغدادى ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر

٤٢ — الفرق بين الفرق ، باهتمام محمد بدر مصر ١٩١٠م

البيرونى ، أبو الريحان محمد بن أحمد

٤٣ — الآثار الباقية عن القرون الخالية ، طبع سخاو ليبزج ١٨٧٨م

٤٤ — تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة نشر سخاو ليبزج ١٩٢٥م

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف

٤٥ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى مخطوط بدار الكتب المصرية فى ثلاثة مجلدات برقم ١١١٣ تاريخ

جعفر حسين خصباك ( دكتور )

٤٦ — أحوال العراق الاقتصادية فى عهد الايلخانيين المغول (٦٥٦ — ٧٣٧) مقال نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد بغداد ١٩٦١م

جمال زكريا قاسم ( دكتور )

٤٧ — الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ — ١٩١٤م مصر ١٩٦٦م

الجوذرى ، أبو على منصور العزيزى

٤٨ — سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادى شعيرة مصر ١٩٥٤م

ابن الجوزى ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن

٤٩ — تلبيس ابليس ، تصحيح محمد منير الدمشقى مصر ١٩٢٨م

٥٠ — المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، عشرون جزءا حيدر آباد الدكن ١٣٥٧هـ

أبو حاتم الرازى ، أحمد بن حمدان

٥١ — كتاب الزينة فى المصطلحات الاسلامية تحقيق الدكتور حسين فيضى الهمدانى مصر ١٩٥٦م

حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله

٥٢ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون مجلدان استانبول ١٩٤١م

ابن حزم الأندلسى ، أبو محمد

٥٣ — الفصل فى الملل والأهواء والنحل مصر ١٣١٧هـ

حسن ابراهيم حسن ( دكتور ) وطه شرف ( دكتور )

٥٤ — عبيد الله المهدى مصر ١٩٤٧م

حسن ابراهيم حسن ( دكتور )

٥٥ — تاريخ الدولة الفاطمية مصر ١٩٥٨م

ابن حنبل ، عبد الله أحمد بن محمد

٥٦ — المسند ستة مجلدات مصر ١٣١٣هـ

أبو حنيفة الدينورى ، أحمد بن داود .
٥٧ — الأخبار الطوال
تحقيق عبد المنعم عامر مصر — ١٩٦٠م

أبو حيان التوحيدى
٥٨ — الامتناع والمؤانسة
ثلاثة اجزاء تحقيق احمد أمين واحمد زين مصر ١٩٣٩ — ١٩٤٤م

ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
٥٩ — المسالك والممالك ليدن ١٨٨٩ م

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد
٦٠ — العبر وديوان المبتدأ والخبر
سبعة أجزاء مصر ١٢٨٤ هـ
٦١ — مقدمة ابن خلدون
باهتمام الدكتور على عبد الواحد وافى مصر ١٩٥٨ م

الدوادارى ، أبو بكر محمد بن ايبك
٦٢ — كنز الدرر وجامع الغرر ( الجزء السادس )
النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٨ تاريخ

الذهبى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
٦٣ — تاريخ الاسلام
النسخة المصورة بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

الرازى ، أبو بكر محمد بن زكرياء
٦٤ — رسائل فلسفية ، مع قطع بقيت من كتبه المفقودة
جمعها وصححها بول كراوس مصر ١٩٣٩م

الراوندى ، محمد بن على بن سليمان
٦٥ — راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ السلجوقية
ترجمه عن الفارسية الدكاترة ابراهيم أمين الشواربى ،
عبد النعيم محمد حسنين ، فؤاد عبد المعطى الصياد مصر ١٩٦٠م

رشيد الدين فضل الله .
٦٦ — جامع التواريخ ( طبع كاترمر )
ترجمة عن الفارسية الدكتور يحيى الخشاب ، الدكتور
فؤاد الصياد ، والأستاذ صادق نشأت مصر ١٩٦٦م

زكى النقـــاش ( دكتور )
٦٧ — الحشاشون وأثرهم فى السياسه والاجتماع
مخطوط بالمكتبة العامة بجامعة القاهرة برقم ١٤٤ رسائل

السبكى ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب
٦٨ — طبقات الشافعية الكبرى
فى ثلاثة أجزاء المطبعة الحسينية بمصر

ابن ســـعد ،
٦٩ — الطبقـــات الكبرى
نشر ســـخاو ليدن ١٩٢٢ — ١٩٢٩ م

السمعانى ، أبو سعيد عبد الكريم بن أبى بكر
٧٠ — الأنســـاب
باهتمام مارجيليوث ليدن ١٩١٢ م

سيديو ا ل . ا
٧١ — تـــاريخ العرب العـــام
ترجمة عـــادل زعيتر لبنان ١٩٤٨ م

ابن شاكر الكتبى ، محمد بن شاكر بن أحمد
٧٢ — فوات الوفيـــات ( جزءان ) مصر ١٢٨٣هـ

الشبيبى ، محمـــد رضـــا
٧٣ — مؤرخ العراق ابن الفوطى ( جزءان ) بغداد ١٩٥٠ — ١٩٥٨ م

الشهرستانى ، محمد بن عبد الكريم
٧٤ — الملل والنحل ( جزءان )
تحقيق أبو الفتح بدران — مصر ١٩٤٧ م

الصولى ، ابو بكر محمد بن يحيى
٧٥ — أخبار الراضى بالله والمتقى بالله
نشر ج . هيورث. دن — مصر ١٩٣٤ — ١٩٣٥ م

الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير
٧٦ — تاريخ الرسل والملوك ( سبعة مجلدات )
باهتمام ديخويه — ليدن ١٨٨١ — ١٨٨٣ م

ابن الطقطقي ، محمد بن على بن طباطبا
٧٧ — الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية — مصر ١٩٢٧ م

طه أحمد شرف ( دكتور )
٧٨ — دولة النزارية أجداد اغا خان كما اسسها الحسن بن صباح
( زعيم الاسماعيلية فى فارس ) — مصر ١٩٥٠م

عبد العزيز الدورى ( دكتور )
٧٩ — « الاسماعيلية » عرض وتحليـــل
مقدمته للترجمة العربية لكتاب اصول الاسماعيلية
لبرنـــارد لويس — مصر ١٩٤٧ م

عبد القادر أحمد طليمات
٨٠ — مظفر الدين كوكبورى
سلسلة أعلام العرب ( ٣٢ ) — مصر ١٩٦٤ م

عبد المنعم ماجد ( دكتور )
٨١ — المستنصر بالله الفاطمى — مصر ١٩٦١ م

عبد النعيم محمد حسنين ( دكتور )
٨٢ — سلاجقة ايران والعـراق مصر ١٩٥٩ م

٨٣ — نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة مصر ١٩٥٤ م

ابن العبرى ، أبو الفرج غرغوريوس بن أهرون
٨٤ — مختصر الدول بيروت ١٨٩٠ م

أبو عبيد الله بن عبد العزيز
٨٥ — المغرب فى ذكر افريقية وبلاد المغرب
باهتمام دى سلان الجزائر ١٩١١ م

ابن عذارى المراكشى ،
٨٦ — البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب
الطبعة الأولى باهتمام دوزى ليدن ١٨٤٨ م
الطبعة الثانية باهتمام ليفى بروفنسال ليدن ١٨٤٨ م

العسقلانى ، احمد بن على بن حجر
٨٧ — لسان الميزان ( ستة اجزاء ) حيدر آباد الدكن ١٣٢٩ هـ

( الداعى ) علم الاسلام ثقة الامـام
٨٨ — المجـالس المستنصرية
نشر الدكتور محمد كامل حسين مصر

العماد الأصفهانى ، عماد الدين محمد بن محمد
٨٩ — تاريخ دولة آل سلجوق
اختصـار الفتح بن على بن محمد البندارى مصر ١٩٠٠ م

ابن عنبـة ، احمد بن على بن الحسين
٩٠ — عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب
مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٠ تاريخ ، وطبع فى بومبـاى
سـنة ١٣١٨ هـ

العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى
٩١ — عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان
مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ

الفخر الرازى ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين
٩٢ — اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
باهتمام على سامى النشـــار مصر ١٩٣٨ م

أبو الفـــدا ، اسماعيل بن على عماد الدين
٩٣ — المختصر فى اخبار البشر ( أربعة أجزاء ) القسطنطينية ١٢٨٦ هـ

ابن فضل الله العمرى ، شهاب الدين أحمد بن يحيى
٩٤ — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار
النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة

فؤاد عبد المعطى الصياد ( دكتور )
٩٥ — المغول فى التاريخ من جنكيز خان الى هولاكو خان مصر ١٩٦٠ م

فيليب حتى ( وآخران )
٩٦ — تاريخ العرب ( مطول ) الجزء الثانى لبنان ١٩٥٣ م

فـــان فـــلوتن
٩٧ — السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية
ترجمه عن الفرنسية حسن ابراهيم حسن ومحمـــد زكى ابراهيم
مصر ١٩٣٤ م

القالى ، أبو على اسماعيل بن قاسم
٩٨ — الأمـــالى ( ثلاثة اجـــزاء ) مصر ١٩٢٦ م

القرطبى ، عريب بن سعد
٩٩ — صلة تاريخ الطبرى المطبعه الحسينيه بمصر

القزوينى ، زكريا بن محمد بن محمود

١٠٠ـ آثار البـلاد
طبـع ووسـتنفلد — جوتنجن ١٨٤٨ م

القلانسى ، أبو يعـلى حمـزة
١٠١ـ ذيل تاريخ دمشق
باهتمام آمدورز — بيروت ١٩٠٨ م

القلقشندى ،
١٠٢ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشا — مصر

القمى ، سعد بن عبد الله خلف الأشعرى
١٠٣ـ كتاب المقالات والفرق
نشره وحققه الدكتور محمد جواد مشكور — طهران ١٩٦٣م

كاشف الغطاء ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء
١٠٤ـ أصل الشيعة وأصولها — مصر ١٩٥٨م

الكرمانى ، الداعى أحمد حميد الدين
١٠٥ـ راحـة العقـل
تحقيق وتقديم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمى — مصر ١٩٥٢م

الكشى ، أبو عمر بن عبد العزيز
١٠٦ـ معـرفة الرجـال — بومباى ١٣١٧ هـ

الكميت ، بن زيد الأسدى الشاعر
١٠٧ ـ الهاشميات ، شرح محمد الرافعى — مصر ١٩١٢م

محمد اقبـال ، — مصر ١٩٥٥ م
١٠٨ـ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام . ترجمـه عباس محمود وآخر
مصر ١٩٥٥ م

محمد ضياء الدين الريس ( دكتور )

١٠٩ـ النظريات السياسية الاسلامية مصر ١٩٦٠ م

محمد كامل حسين ( دكتور )

١١٠ـ ادب مصر الفاطميــة مصر ١٩٥٨ م

١١١ـ ديوان المؤيد داعى الدعـــاة مصر ١٩٤٩ م

١١٢ـ نظرية المثل والممثول فى شعر مصر الفاطميــة مصر ١٩٤٨ م

المسعودى ، ابو الحسن علي بن الحسين

١١٤ـ التنبيه والاشراف

طبعة دى خويه ، ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية ليدن ١٨٩٣م

١١٥ـ مروج الذهب ومعـــادن الجوهر ( جزءان ) مصر ١٢٨٣ م

مسكويه ، ابو على احمد بن محمد

١١٦ ـ تجارب الأمم ( جزءان ) باهتمام آمدورز مصر ١٩١٤م

ابو المعــالى ، محمد الحسينى العــلوى

١١٧ـ بيــان الأديـــان

نقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب ونشر بمجلة كلية الآداب

بجامعة القاهرة ، المجلد التاسع عشر الجزء الأول مايو ١٩٥٧ م

المقدسى ، شمس الدين احمد ابو عبد الله

١١٨ـ احسن التقـــاسيم

بعناية دى خويه ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية ليدن ١٩٠٦ م

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على

١١٩ـ اتعاظ الحنفا

النسخة المصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٦٠ تاريخ،نسخة مطبوعة

بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال مصر ١٩٤٨ م

١٢٠ — الخطط ( أربعة أجزاء ) مصر ١٣٢٤هـ

١٢١ — السلوك لمعرفة دول الملوك
طبع الدكتور محمد مصطفى زيادة مصر ١٩٣٩م

المؤيد ، هبة الله بن موسى
٢٢٢ — السيرة المؤيدة
نشر الدكتور محمد كامل حسين مصر ١٩٤٩م .

ابن ميسر ، محمد بن على بن يوسف
١٢٣ — اخبار مصر ، باهتمام هنرى ماسيه مصر ١٩١٩م

ناصر خسرو العلوى
١٢٤ — سفرنامه ترجمه الى العربية الدكتور يحيى الخشاب مصر ١٩٤٥م

ابن النديم ، محمد بن اسحق
١٢٥ — كتاب الفهرست ليبزج ١٨٧١م

النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى
١٢٦ — فرق الشيعة النجف ١٩٣٦م

النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
١٢٧ — نهاية الأرب نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة

النيسابورى ،
١٢٨ — استتار الامام تحقيق ايفانوف — مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد الرابع ديسمبر ١٩٣٦م

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى
١٢٩ — معجم البلدان طبع مصر ١٣٢٣هـ
طبعة أخرى مصورة عن طبعة وستنفلد ، طهران ١٩٦٥م

اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر
١٣٠ — تاريخ اليعقوبى ( ثلاثة أجزاء ) النجف ١٣٥٨هـ

**اليمانى ، محمد بن محمد**

١٣١ — سيرة جعفر الحاجب

تحقيق ايفانوف — مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة — المجلد الرابــع ديسمبر ١٩٣٦م

**يوليوس فلهوزن**

١٣٢ — احزاب المعارضة السياسية فى صدر الاسلام (الخوارج والشيعة)

ترجمه عن الالمانية الدكتور عبد الرحمن بدوى . ١٩٥٨م

## ثالثا: المراجع الانجليزية

Arbery, A.J.

— ١٣٣
Classical Persian Litrature London 1958

Barthold, W.

— ١٣٤
Turkestan Down to the Mongol Invasion Oxford 1928

Bowen, H.

— ١٣٥
The Sar-gudhasht —i— Sayydua, The "Tale of the three Schoolfellows" and the Wasaya of the Nizam al-Mulk. J.R.A.S. 1931 pp. 771—782.

Browne, E.G.

— ١٣٦
An abridged Translation of the History of Tabaristan by b. Isfandiyar London 1905

— ١٣٧
A Litrary History of Persia Vol. 1. London 1919

Boyle, J.A. (Translator)

— ١٣٨
The History of the World conquror, by Ala-ad-Din Ata Malik Juvaini — has been revised by V. Minorsky Harfard 1958

— ١٣٩
Ibn al-Tiqtaqa and the Tarikh —i— Jahan-Gushay of Juvaini B.S.O.A.S. Vol. XIV, part 1 1952

Freya Stark

— ١٤٠
The Valleys of the Assassins and other Persian travels London 1937

Hamadani, H.

— ١٤١ Some unknown Ismaili Authors and their Works J.R.A.S. 193

Ivanov, W.

— ١٤٢ The Alleged Founder of Ismailism Bombay 1946

— ١٤٣ Brief Survey of the evaluation of Ismailism London 1952

— ١٤٤ A Guide to Ismaili Litrature London 1933

— ١٤٥ Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimid Liden 1942

— ١٤٦ Kalami Pir, A treatise on Ismaili Doctrine Bombay 1935

— ١٤٧ Nasri Khusraw and Ismailism Bombay 1947

— ١٤٨ Studies In Early Persian Ismailism Liden 1948

— ١٤٩ Two Early Ismaili Treatises Oxford 1933

Lewis, B.

— ١٥٠ Ismaili Notes, B.S.O.A.S. London 1948

١٥١ -

The Origins of Ismailism — Cambridge 1940

Lock Hart, L.

Hassan—i—Sabbah and the Ismailism — ١٥٢ -

B.S.O.A.S. Vol. (V) — London 1929

Miles

١٥٣ -

The Numismatic History of Rayy — New York 1938

Minorsky, V.

١٥٤ -

Hudud al Alam — Lidden 1937

Rosenthal, E.

١٥٥ -

Political Thought in Medieval Islam — Cambridge 1958

Sanaullah, Mawlawi Fadil, — ١٥٦ -

The Decline of the Saljuqid Empire — Calcutta 1939

Stern, S.M.

١٥٧ -

The Early Ismaili Missionaries in North West
Persia and in Khurasan and Transoxania
B.S.O.A.S. — London 1960

١٥٨ -

The First Appearance of Ismailism — Tehran 1961

Ismaili Propaganda and Fatimid Rule in Sind, — ١٥٩
Islamic Culture — 1949

Vatikiotis, P.J.

The Syncritic Origins of the Fatimid Da'wa, — ١٦٠

Islamic Culture Oct. 1954

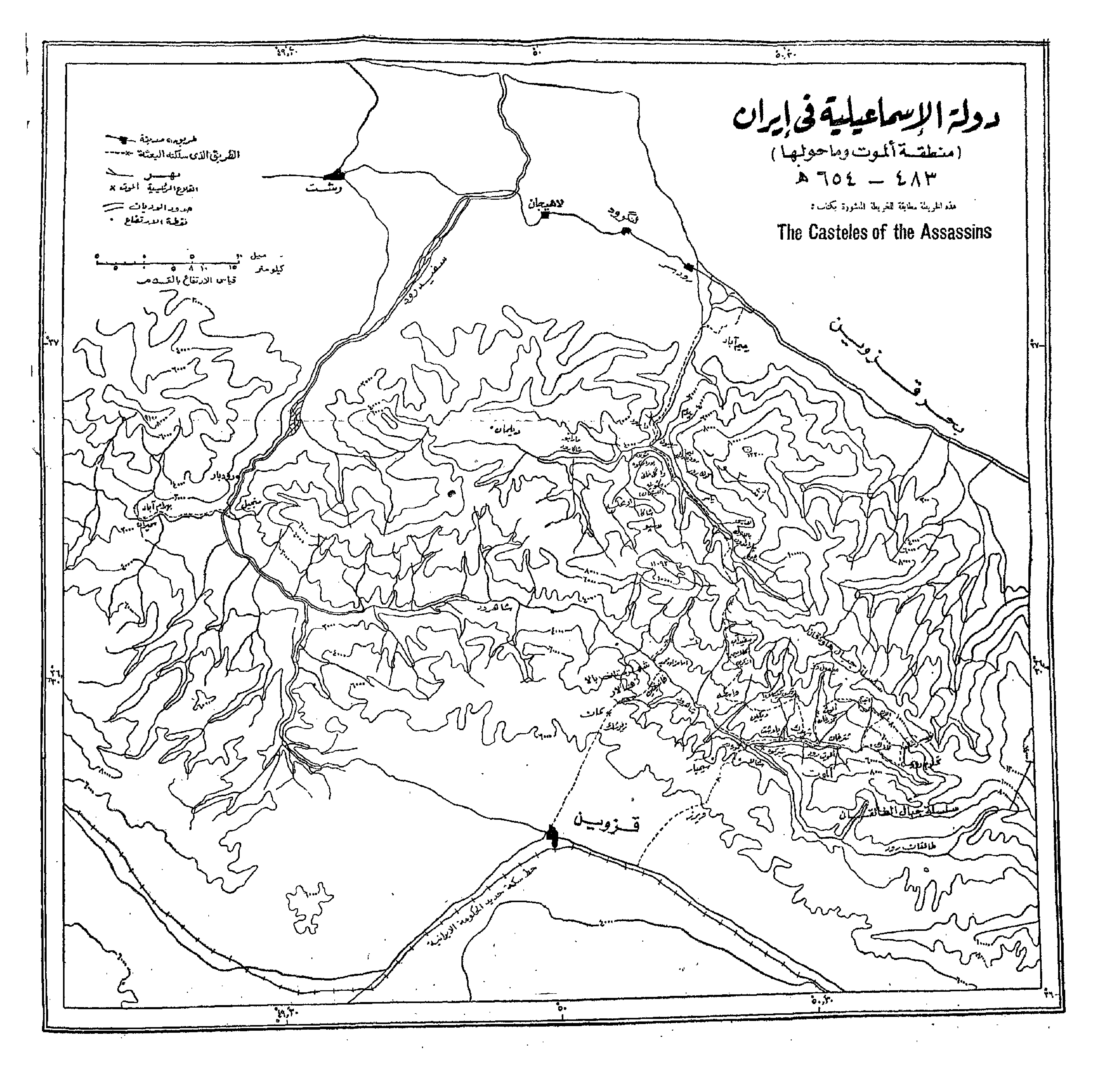
Walker, J.

The Coinage of the Second Saffarid Daynasty in Sistan. — ١٦١

New York 1936

Willey, P. — ١٦٢

The Castles of the Assassins London 1963


دولة الإسماعيلية فى إيران
( منطقة ألموت وماحولها )
٤٨٣ — ٦٥٤ هـ
هذه الخريطة مطابقة للخريطة المنشورة بكتاب :
The Casteles of the Assassins
الطريق الذى سلكته البعثة
نهر
القلاع الرئيسية
حدود الوديان
نقطة الارتفاع
ميل
كيلومتر
قياس الارتفاع بالقدم
رشت
لاهيجان
لنگرود
رودسر
سفيد رود
بحر قزوين
منجيل
ديلمان
شاهرود
ألموت
سلسلة جبال الطالقان
قزوين
خط سكة حديد الحكومة الإيرانية

